٩٧/١٤
٦١٣
١٧
١

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

لمعايير النقدية في المختارات الشعرية من القرن الخامس إلى القرن الثامن

إعداد
حنان محمد موسى حمودة

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود السمرة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

يوليو ١٩٩٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ١٩٩٧/٧/٢٩

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمود السمرة ، رئيساً أستاذ الأدب والنقد	.....
الدكتور محمد بركات أبو علي ، عضواً أستاذ النقد والبلاغة	.....
الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ، عضواً أستاذ الأدب العباسي والعثماني والمملوكي	.....
الدكتور محمد إبراهيم حوّر ، عضواً أستاذ الأدب العربي	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى الذي كان وكنت ، ومن كان تتجدد أجمل الذكريات

إلى الغائب في الحضور والحاضر في الغياب

إلى زوجي

إلى زينة الحياة الدنيا وريحانتها

يزن ، سليمان ، آية

رمز محبة ووفاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

يشرفني أن أكون في هذه الرحلة الشاقة مع أستاذي الدكتور محمود السمرة الذي لم يألُ جهداً في توجيهي وعوني ، فقد تابع هذا البحث بكل عناية ونظرة علمية ثاقبة ، وضحى كثيراً من وقته الثمين على الرغم من كثرة مشاغله رغبة في تسديد خطاي بنصائحه وتوجيهاته . جزاه الله عني كل خير وأدامه ذخراً للعلم وسنداً للمعرفة .

كما أقدم الشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذا البحث وتقويم ما اعتوره من خلل ، وستكون ملاحظاتهم محط عناية فائقة لأنها قطرات من فيض علمهم الجم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ح
مدخل : تاريخ المختارات منذ النشأة حتى القرن الثامن	٢
الفصل الأول : تبويب المختارات	٨
أ – حسب الموضوع :	١١
١– التشبيهات من أشعار أهل الأندلس	١٢
٢– اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت	١٨
٣– حماسة الظرفاء	٢٠
٤– مجموعة المعاني	٢٣
٥– الحماسة الشجرية	٢٦
٦– المنازل والديار	٢٩
٧– غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات	٣٢
٨– الحماسة البصرية	٣٥
٩– التذكرة الفخرية	٣٩
١٠– التذكرة السعدية	٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١- نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ٤٦

١٢- حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ٤٨

ب- حسب التعاقب الزمني : ٥٢

الحماسة المغربية ٥٢

جـ- حسب البيئة : ٥٦

رايات المبرزين وغايات المميزين ٥٧

د - غير مبوبة : ٥٩

١- المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ٥٩

٢- مختارات شعراء العرب ٦١

٣- المختار من شعر شعراء الأندلس ٦٣

٤- منتهى الطلب من أشعار العرب ٦٥

٥- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ٦٨

٦- مختار ديوان علم الدين أيدمر المحيوي ٦٩

٧- المختار من شعر ابن دانيال ٧٠

الفصل الثاني : المختار وثقافة صاحب الاختيار ٧٢

١- اختيار الأديب ٧٤

٢- اختيار الناقد ٨٦

٣- اختيار اللغوي ٩٠

٤- اختيار البلاغي ٩٦

٥- اختيار العالم ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : معايير المختارات :	١٠٥
١- مقدمة في معايير المختارات	١٠٦
٢- المعيار الجمالي	١٠٨
٣- المعيار التعليمي	١٢٥
٤- المعيار الأخلاقي	١٣٣
الفصل الرابع : المختارات والقضايا النقدية	١٤٥
١- اللفظ والمعنى	١٤٦
٢- السرقات	١٦٦
٣- البديع	١٨١
٤- القديم والحديث	١٩١
الخاتمة	١٩٩
المصادر والمراجع	٢٠٤
ملخص باللغة الإنجليزية	٢٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص الدراسة

المعايير النقدية في المختارات الشعرية

من القرن الخامس إلى الثامن

إعداد

حنان محمد موسى حمودة

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمود السمرة

اهتمت هذه الدراسة بالكشف عن المعايير النقدية في المختارات الشعرية من القرن الخامس إلي القرن العاشر الهجري . وقد جاءت في مدخل وأربعة فصول ، على النحو التالي :

المدخل : المختارات الشعرية عبر التاريخ : وقد قامت الباحثة فيه ببيان فكرة الاختيار الشعري منذ بدايتها ، ومدى عناية الأدباء والنقاد بهذا اللون من التصنيف الذي يحمل في طياته كثيراً من النقد الضمني .

وجاء الفصل الثاني : تبويب المختارات : وبينت الباحثة فيه أن أصحاب المختارات قد حاولوا تبويب مختاراتهم وفق معايير ارتضوها ، فكثير منهم قد اعتمد الموضوع أساساً للترتيب ، ومنهم من اتخذ من الزمن وسيلة لترتيب الأشعار التي اختارها ، وبعضهم سبق (تين) فاختار على أساس اختلاف بيئة الشعراء ، وقليل منهم من لم يعتمد مقياساً واضحاً في التبويب .

ومن خلال الفصل الثاني : المختار وثقافة صاحب الاختيار : حاولت الباحثة أن تظهر أثر ثقافة صاحب الاختيار في توجيه اختياراته ، فالأدباء يعتمدون الذوق المدرب في اختيار الشعر ، أما النقاد فهم يحاولون الوقوف على خصائص الشعر للحكم على الشعراء ، ومن ثم الاختيار من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصائدهم ، وقد حاولوا إرضاء الأذواق السائدة . أما النحاة فهم كثيراً ما يبحثون عن الشاهد والمثل ، وقد اهتم العلماء بالشعر الذي يتوافق ونقد المرحلة التي يعيشون .

أما الفصل الثالث : معايير المختارات : فقد جاء ليوضح أن المختارات عملية إبداعية ، وهي شكل من أشكال التفاعل القائم بين أصحابها والمجتمع ، ولا يمكن إنكار القيمة التي يقدمها صاحب الاختيار من خلال اختياراته ، ومن هنا يمكن القول : إن المختارات قد ناقشت العملية الشعرية من معيار جمالي ، وتعليمي ، وأخلاقي ، فمن أصحاب المختارات من مال إلى المعيار الجمالي أكثر ، ومنهم من عُني بالمعيار التعليمي التربوي ، ومنهم من اهتم بتربية النفس والأخلاق ، وقد كشفت المختارات عن وظيفة الشعر من جانب أخلاقي تعليمي جمالي .

وقد تناول الفصل الرابع : المختارات والقضايا النقدية : وعرضت فيه الباحثة لبعض القضايا النقدية منذ بدايتها لبيان علاقة المختارات بهذه القضايا من حيث التوافق والاختلاف ، ومن ثم الوقوف على دور المختارات في خدمة الأدب العربي في تلك المرحلة . وفيه درست الباحثة قضية اللفظ والمعنى ، وقضية السرقات ، وقضية البديع وختمت الفصل بقضية القديم والحديث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدخل

تاريخ المختارات منذ النشأة وحتى القرن الثامن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدخل

تاريخ المختارات منذ النشأة وحتى القرن الثامن

فكرة الاختيار الشعري قديمة ؛ وهي أسلوب نقدي برز مع ازدهار الحركة الشعرية قبل عصر التدوين عن طريق الرواية ، وما مجالس الحكم التي كانت تضرب في سوق عكاظ مثلاً إلا نمطاً من أنماط الاختيار بالمفاضلة ، إذ يتم تمحيص جيد الشعر من رديئه ، وينشدون الجيد فيعلو قدر هذا الشاعر دون ذاك . ويقع الاختيار للبيت المفرد أو البيتين ، ولذلك شاعت على الألسنة مصطلحات خاصة مثل : أمدح بيت ، وأغزل بيت ، وأفخر بيت ، وأهجى بيت ، المثل السائر ، والبيت الشارد.

ولما كان الشعر ديوان العرب ، فقد عُني الأقدمون منذ القرن الثاني الهجري بكتب الاختيارات الشعرية ، فكانت المعلقات الطوال أقدم المختارات الشعرية المدونة التي وصلتنا ، وجاء المفضل الضبي (ت ١٦٨هـ) ليهدي إلينا كتابه المفضليات ، وتلاه الأصمعي (ت ٢١٦هـ) بكتابه الأصمعيات ، وجاءت حماسة أبي تمام (ت٢٣١هـ) بعد ذلك ، وكان أبو تمام شاعراً ناقداً اختار الجيد الأصيل الذي دل على غزارة علمه ، وبُعد نظره ، وصفاء ذوقه الشعري ، ورائداً في تبويب هذا الاختيار تبويباً موضوعياً ، مضمونياً حسب معاني الشعر وأغراضه ، فطوّر بذلك مصطلح الاختيار نقدياً وشعرياً في الأدب العربي ، فلا غرابة إذا ما وقع إجماع النقاد على أن أنثولوجيا الحماسة هي أنقى ما جمع من مقطعات"[1] .

ولم تجد حماسة البحتري (ت ٢٨٤هـ) شهرة حماسة أبي تمام . وجاء محمد بن داوود

---

[1] عناد غزوان – آفاق في الأدب والنقد ، ص ٦٩-٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظاهري (ت٢٩٧هـ) ليصنع كتاب الزهرة الذي يضم مختارات من أشعار الحب . وقد أدخل أبو زيد القرشي -اختلف في تاريخ ميلاده ووفاته والأرجح أنه من أهل القرن الرابع- مصطلحات جديدة إذ أطلق على كل قسم اسماً لمجموعة القصائد المختارة مثل "المعلقات ، والمجمهرات ، والمنتقيات ، والمذهبات ، والمراثي ، والمشوبات ، والملحمات"[١].

ونشطت حركة الاختيارات في القرن الرابع وما تلاه من قرون ، جمع أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ) أشعاراً في كتابه الحماسة المحدثة ، وكذلك فعل العسكري (ت ٣٩٥هـ) وسمي كتابه باسم الحماسة العسكرية . وهناك كثير من كتب المختارات المعنونة باسم الحماسة ولكنها مفقودة لم تصلنا منها : حماسة محمد بن خلف المرزبان (ت ٣٠٩هـ) ، وحماسة محمد بن علي العجلي (ق٤)[٢] ، وحماسة أبي دماش . (ت ق٤ هـ)[٣] .

ولعل شهرة حماسة أبي تمام جعلت كثيراً من كتب الاختيارات تتصدر باسم حماسة ، إذ قامت حول الحماسة حركة علمية في المشرق ، ما لبثت أن انتقلت إلى الأندلس ، فرأينا كثيراً من المختارات الأندلسية تعنون بحماسة .

ولكن هناك كتب اختيارات لا تحمل اسم حماسة مثل : الأنوار في محاسن الأشعار لعلي بن محمد الشمشاطي (ت ٣٩٤هـ) ، وكتاب الأشباه والنظائر للخالديين – أبو عثمان سعيد بن هاشم (ت ٣٧١هـ- وقيل ٣٩٠هـ) ، وأبو بكر محمد بن هاشم (ت ٣٨٠هـ) – والمنتخب في محاسن أشعار العرب المنسوب للثعالبي[٤].

---

(١) أبو زيد القرشي – جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ١١٣ ، ٣٤٧ ، ٤٣٢ ، ٤٩٢ ، ٥٣٤ ، ٦١٨ ، ٦٩٨ .

(٢) الثعالبي – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) ابن النديم – الفهرست ، ص١٠٩

(٤) مؤلف مجهول – المنتخب في محاسن أشعار العرب المنسوب للثعالبي ، ج١ ، ص ٩٠٨ .
ولكن محققه عادل سليمان جمال ينفي هذه النسبة لسببين : أولهما اختلاف خط صفحة العنوان عن خط سائر الكتاب . وثانيهما كثرة الأخطاء في الكتاب وخاصة في نسبة الشعر إلى أصحابه ، وهذا يتنافى مع غزارة علم الثعالبي . وبمقارنة محاسن الاشعار بمختارات الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) الموسوم بـ (اللآلئ والدرر) نلحظ بينهما بوناً شاسعاً مما ينفي نسبة الأول للثعالبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمحمد بن المرزبان (ت ٣٠٩هـ) كتاب (تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) ، وسمى السرى الرفاء (ت ٣٦٢هـ) اختياراته باسم (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) ولعلها أول المختارات التي وصلتنا في موضوع واحد .

وما إن جاءت القرون التالية للقرن الرابع حتى شعر الأدباء والعلماء أن عليهم تدوين الأدب وجمعه لحماية كنوز الحضارة الإسلامية من الضياع نتيجة ظهور الدول المتتابعة من الحمدانيين والزنكيين والأيوبيين ، وصدّ خطر المغول الداهم ، وكان هدفهم من وراء ذلك الحفاظ على التراث العلمي والأدبي ، ومحاولة تقريب هذا التراث من طالبي العلم .

وقد وضّح محمد رجب النجار أهمية هذه الفترة في تاريخنا القومي ، وأهميتها في ظهور المعاجم والملاحم ودوائر المعارف فقال : "فكان هذا العصر –من ثم– عصر البحث عن الذات القومية التي تجلت في شكلها الايجابي في العناية بالتأريخ القومي ، والتاريخ الشعبي ، عصر تكامل السير والملاحم الشعبية ، وعصر الموسوعات العلمية الضخمة والمعاجم اللغوية الكبرى"[١] ، ولذلك نشطت حركة جمع الأشعار ، فظهرت المختارات التالية تباعاً : التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لأبي عبد الله محمد الكتاني الطبيب (ت٤٢٠هـ) ، واللآلئ والدرر للثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، وحماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء لعبد الله بن محمد العبد لكاني الزوزني (ت ٤٣١هـ) ، وكتاب (البديع في وصف الربيع) للشاعر الأندلسي اسماعيل الحميري (ت ٤٤٠هـ) ؛ وهي مختارات نثرية وشعرية في موضوع واحد وهو الربيع . وصنف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) كتابه المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام . وظهرت مجموعة المعاني لمؤلف مجهول (من رجال القرن الخامس) . وأما حماسة الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) فهي شرح لحماسة أبي تمام وليست اختياراً شعرياً .

وصنّف هبة الله المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) كتابين من أشهر كتب الاختيارات

---

[١] محمد رجب النجار–الشعر الشعبي السافر في عصور المماليك،عالم الفكر مجلد١٣،عدد٣ ،١٩٨٣م، ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هما : مختارات شعراء العرب ، والحماسة الشجرية . وجمع ابن الصيرفي (ت ٥٤٣هـ) شعرا لشعراء الأندلس في كتابه المختار من شعر شعراء الأندلس .

وبكى أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) الديار بعد الزلزال الذي أباد أسرته إضافة لبكائه الدمار الذي ألحقته الحروب المستمرة بين المسلمين والصليبيين والمغول في أراضي المسلمين ، فجمع أشعارا تفيض بالحزن في كتاب أسماه (المنازل والديار) . وانتقى أبو بحر صفوان الإدريسي (عصر الموحدين ، ق٧ هـ) من أشعار أهل الأندلس في عصر الدولة الموحدية في كتابه (زاد المسافر ، وغرة محيّا الأدب السافر) ، وجاء الجراوي التادلي (ت ٦٠٩هـ) ليصنع حماسته المعروفة باسم الحماسة المغربية وهي اختصار لكتاب (صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب) .

ويصعب على الباحث الإحاطة بكل كتب الاختيارات الشعرية ، ذلك أن هذه الاختيارات مبثوثة في مكتبات شتى ، والكثير منها ما زال مخطوطا دون تحقيق . وقد وصلتنا أخبار كثيرة في كتب التاريخ والتراجم عن اختيارات ما زالت إلى الآن مفقودة مثل : حماسة الشاطبي (ت ٥٤٧هـ) ذكرها البغدادي في الايضاح[١] ، وذكر صاحب الوافي[٢] حماسة لعلي بن أفلح العبسي (ت٥٣٥هـ) ، وهناك حماسة لمحمد بن علي الهيتي (ت ٥٧٠هـ) ، وأخرى بعنوان الحماسة المغربية لجمال الدين الأنصاري (ت ٦٥٣هـ)[٣] .

وتواصلت حركة اختيار الأشعار ، وعُني الأدباء والعلماء بهذا اللون من التصنيف الذي يحمل في طياته كثيرا من النقد الضمني كما أطلق عليه إحسان عباس[٤] ، فظهرت الحماسة البصرية لصدر الدين البصري (ت ٦٥٩هـ) ، ورايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) ، والتذكرة الفخرية لبهاء الدين الاربلي (ت ٦٩٢هـ) ، ومن هذه المصنفات

---

[١] اسماعيل بن محمد الباباني البغدادي – ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ج١ ، ص ٤٧ .
[٢] الصفدي – الوافي بالوفيات ، ج١١ ص ٢٩٣
[٣] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٦٣
[٤] احسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التذكرة السعدية لمحمد العبيدي (ت ٧٠٦هـ) ، وقد طبع منها جزء والباقي ما يزال مخطوطاً .

وجمع الصفدي (ت ٧٦٤هـ) من أشعار ابن دانيال ما أسماه ، "المختار من شعر ابن دانيال". وصنف لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) كتابين ؛ الأول : خاص بالموشحات وهو (جيش التوشيح) ، والآخر أسماه (السحر والشعر) وربما يكون هذا الفصل نابعاً من احساسه بأن المعايير النقدية التي تصلح للشعر قد لا تصلح للموشحات .

وقام الجنيد بن محمود (ت ٧٩٠هـ) بجمع أشعار في موضوع واحد في كتابه حدائق الأنوار وبدائع الأشعار .

وكان كتاب "نزهة الأبصار في محاسن الأشعار" لشهاب الدين العنابي (ت ٧٧٦هـ) آخر ما وقفت عليه من المختارات الشعرية .

ويبدو أن علماء وكتاب القرنين التاسع والعاشر انشغلوا بصنع كتب التراجم والموسوعات وتركوا الاختيار إلا ما ندر ، مثل كتاب "تثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان" وهو كتاب اختيار شعري ونثري.

ويبقى أن نقول مثلما قال ت.س. إليوت عن تذوق الشعر : "إن الأساس في النقد هو القدرة على اختيار قصيدة جيدة ، وإهمال أخرى رديئة ، وإن أي اختيار يتعرض له الناقد إنما هو في مقدرته على تفضيل قصيدة جيدة وفي الاستجابة الصحيحة لخلق فني جديد ، وأن الخبرة التي تتطور وتنمو في الشخصية الواعية ليست فقط مجموع التجارب الناشئة عن رؤية القصائد الجميلة . فإن الثقافة الشعرية إنما تتطلب تنظيماً خاصاً لهذه التجارب"(١)

(١) T. S. Eliot, Selected Prose, The appreciation of Poetry P. 50, 51

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تبويب المختارات

١- حسب الموضوع

٢- حسب التعاقب الزمني

٣- حسب البيئة

٤- غير مبوبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول : تبويب المختارات :

أ – حسب الموضوع :

١– التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، للطبيب الكتاني . (ت ٤٢٠هـ)

٢– اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت ، الثعالبي . (ت ٤٢٩هـ)

٣– حماسة الظرفاء ، العبد لكاني الزوزني . (ت ٤٣١هـ)

٤– مجموعة المعاني ، مؤلف مجهول . (من رجال ق٥)

٥– الحماسة الشجرية ، ابن الشجري . (ت ٥٤٢هـ)

٦– المنازل والديار ، أسامة بن منقذ . (ت ٥٨٤هـ)

٧–غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات،علي بن ظافر الأزدي (ت٦٢٣هـ)

٨– الحماسة البصرية ، صدر الدين البصري (ت٦٥٩هـ)

٩– التذكرة الفخرية ، بهاء الدين الإربلي (ت٦٩٢هـ)

١٠– التذكرة السعدية ، محمد العبيدي (ت٧٠٦هـ)

١١– نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، بهاء الدين العنابي (ت٧٧٦هـ)

١٢– حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، جنيد بن محمود (ت٧٩٠هـ)

ب– حسب التعاقب الزمني :

الحماسة المغربية ، عبد السلام الجراوي التادلي (ت٦٠٩هـ)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- حسب البيئة :

رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ)

د - غير مبوبة :

١- المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، عبد القاهر الجرجاني . (ت٤٧١هـ)

٢- مختارات شعراء العرب ، ابن الشجري (ت٥٤٢هـ)

٣- المختار من شعر شعراء الأندلس ، ابن الصيرفي (ت٥٤٣هـ)

٤- منتهى الطلب من أشعار العرب ، ابن ميمون (ت ٥٩٧هـ)

٥- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أبو صفوان بن ادريس (ت٥٩٨هـ)

٦- مختار ديوان علم الدين ايدمر المحيوي ، مؤلف مجهول (ت٦٧٤هـ)

٧- المختار من شعر ابن دانيال ، صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)

٤٨١٤١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسب النوع

لقد أدرك النقاد القدامى أن الاختيار الشعري ضرب من ضروب النقد الذي يمثل فيه الذوق حجر الزاوية ، ولكن هذا الذوق لم يكن ذوقاً ساذجاً أو بسيطاً بل كان مؤطراً بأسس متعارف عليها ، وقد أوضح المرزوقي ذلك في مقدمته "فليس الأمر كذلك ؛ لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ، ومرفوض اللفظ ومألوفه ، وميّز البديع الذي لم تقتسمه المعارض ، ولم تعتسفه الخواطر ، ونظر وتبحر ، ودار في أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن الكثير ، واللحظ الدال على الضمير ، ودرى تراتيب الكلام وأسرارها كما درى تعاليق المعاني وأسبابها إلى غير ذلك مما يكمل الآلة ، ويشحذ القريحة ، تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ، ولا يسمع إلا بأذن النصفة"[١] .

فالمرزوقي في حديثه عن أسس اختيار الشعر حسب الذوق والاتجاه الفني العام ، أرجع قواعد اختيار الشعر إلى الذوق والمزاج الخاصين ، ولكنه مع ذلك يخضع لقواعد ، ولا يسيّره الهوى وحده ، فردّ بذلك على ابن فارس الذي كان يقول : "إن اختيار الشعر موقوف على الشهوات"[٢] ، ودلل على وجود مقاييس نقدية عامة ، وأنّ مَن أتقن هذه المقاييس وتدرب على استعمالها "لا ينظر إلا بعين البصيرة ، ولا يسمع إلا بأذن النصفة ، ولا ينتقد إلا بيد المعدلة ، الحكم الذي لا يبدّل ، ونقده النقد الذي لا يُغيّر"[٣] .

وما من شك في أن الاختيارات القديمة كان لها أكبر الأثر في الاختيارات التالية لها زمنياً. فقد جاء أبو تمام فصنع كتاب الحماسة وأخضع الأشعار المنتخبة للتبويب ، فجعل المعاني المتشابهة في باب مستقل ، فجاءت حماسته عشرة أبواب وهي :

---

(١) المرزوقي – شرح ديوان الحماسة ، ص ١٦ .
(٢) أبو الحسن بن فارس – الصاحبي ، ص ٢٧٥ .
(٣) المرزوقي – شرح ديوان الحماسة ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجـاء ، والأضيـاف والمديـح ، والصفـات ، السير والنعاس ، والملح ، ومذمة النساء .

وقد جعل الكتاب يحمل اسم الباب الأول منه لكثرة الشـعر المختـار فـي هـذا البـاب بالنسـبة للأبواب الأخرى ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ؛ فمعاني الحماسة لها وقع في نفس العربـي الأبي ، إذ إن الشعر الحماسي واكب جهاد المسلمين مع أعدائهم فـلا عجـب أن يكـون لـه شـأنه ، ولعل أبا تمام قد حاول بث روح الشجاعة والقوة فـي النفوس لأن عصره كـان يمـوج بـالحروب الطاحنة بين العرب والروم . ولقد كان لهذه المختارات أثر كبير في النقد العربـي عامـة ، وفـي المختارات خاصة "فكان أبو تمام الشاعر الناقد الـذي بـوّب مختاراتـه تبويـب معـان ، وكـان لهـذا الأسلوب أثر في حركة تطور نقد الشعر ودلالته المنهجية عند العـرب"[١] . وهـذا ينفـي مـا ذهـب إليه بعضهم من "أن فنون الشعر لذلك العهد لم تكن حددت تحديداً دقيقاً واضحاً ، يرتضيه جمهور الأدباء ويتفقون فيه على رأي جامع ، فتصرف فيها أبو تمام على ما رأيت دون منهج في التقسيم والتصنيف"[٢] .

لقد جاء الكثير من مختارات هذه الحقبة من الزمن مبوبـة تبويـب معـان متـأثرة بعمـل أبـي تمام في تصنيف حماسته . وأول هذه المختارات :

---

[١] عناد غزوان – آفاق في الأدب والنقد ، ص ٥٧ .

[٢] علي نجدي ناصف – دراسة في حماسة أبي تمام ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس** ، أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب (ت ٤٢٠هـ) :

الذي قسمه إلى ثلاثة أجزاء ، كل جزء في عدة أبواب جاءت على النحو التالي :

الجزء الأول :

١- باب من التشبيهات في السماء والنجوم والقمرين .

٢- باب في انبلاج الصبح .

٣- باب في الريح .

٤- باب في البرق والرعد .

٥- باب في السحاب والمطر .

٦- باب في الربيع والزهر .

٧- باب في الورد .

٨- باب في تغريد الطير في الرياض ووصف الحمام .

٩- باب في الأنهار والجداول والمياه الجارية والأواجن .

١٠- باب في القصور والبساتين والصهاريج والأشجار .

١١- باب في النواعير والرحى .

١٢- باب في المأكولات من الفواكه وغيرها .

١٣- باب في الشراب وأوصاف الخمر .

١٤- باب في صفات الكؤوس والأقداح .

١٥- باب في السقاة والندامى .

١٦- باب في القيان والمغنين .

١٧- في العود والطنبور وسائر المعازف .

١٨- باب في الشعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم جاء الجزء الثاني وقسمه الكتاني إلى ثلاثة وثلاثين باباً وهي :

١- باب في الحسن .

٢- في الشعر وسواده وشقرته .

٣- في أصداغ القيان وعذر الغلمان .

٤- في إشراق الوجه وتشبيه الخدود والخيلان .

٥- في فتور العين ومرضها وغنجها .

٦- في الثغر وطيب الريق .

٧- في النهود .

٨- في مشي النساء وتشبيه القدود .

٩- في الحديث .

١٠- في الخصور والأرداف .

١١- في العناق والوداع .

١٢- في البكاء .

١٣- في خفوق القلب .

١٤- في طول الليل والسهر ومراعاة النجوم .

١٥- في الخيال .

١٦- في النحول .

١٧- في الوقوف على الديار والربوع .

١٨- في النيران .

١٩- في الشتاء والصقيع .

٢٠- في قطع المفاوز وصفات الإبل والمسافرين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١- في السراب .

٢٢- في البحر والسفن .

٢٣- في الطرد .

٢٤- في الحيات .

٢٥- في الخيل .

٢٦- في السيوف .

٢٧- في الرماح .

٢٨- في القسي والنبال .

٢٩- في الدروع والبيض .

٣٠- في الرايات والتجافيف والطبول .

٣١- في الحرب ووصف الطعان والضراب والجيوش والفتوح .

٣٢- في العروس والمصطوب .

٣٣- في الخوف والمهابة .

أما الجزء الثالث فقد جاء في معانٍ مختلفة وهي :

١- في الدواة والقلم والصحيفة .

٢- في السكين والجلم .

٣- في المذبة والمروحة .

٤- في الجود .

٥- في البخل .

٦- في الخوان والأكلة والطفيليين .

٧- في هجو النساء والمغنيات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- في الثقلاء والكذبة وشبههم .

٩- في اللحى .

١٠- في الطليسان والدرهم .

١١- في الاعتبار بفناء الناس وتقلب الدهر بهم .

١٢- في الشيب والهرم .

١٣- في ذم الدنيا وذكر الموت .

١٤- في الموتى والأجداث .

١٥- باب شواذ تقل نظائرها .

وصاحب هذا الاختيار قد اقتصر على بيئة مكانية واحدة وهي الأندلس ، وربما كان الدافع وراء ذلك تلك المحاولات التي كانت على أشدها بين أهل المشرق والمغرب ، ليثبت كل زعامته الأدبية والعلمية والحضارية . ولعل هذا ما جعل د. احسان عباس يقول في مقدمة هذا الكتاب : "إن هذا الكتاب كان مجاراة لما ينشر في المشرق . وقد بحث عن أوجه الشبه بين هذه التشبيهات وتشبيهات ابن أبي عون فوجد أن هناك خمسين باباً مشتركاً بين الكتابين في عناوينها"[1] . ومثل هذا التشابه يقطع بتأثر أهل الأندلس بالأدب المشرقي ونهج سبيله .

ولا يمكن أن نغفل عن الإشادة بترتيب الكتاني الذي جاء منظماً ، حيث وضع أبواباً ذات موضوعات لها علاقة فيما بينها متدرجة .

ففي الجزء الأول معان يمكن تقسيمها إلى ثلاثة معانٍ رئيسية وهي : -

(١-٥) صفات تتعلق بالمظاهر العلوية الجوية إن جاز التعبير .

(٦-١٢) صفات تتعلق بمظاهر طبيعية على سطح الأرض وهي ناتجة عن المظاهر السابقة ؛ فالريح والبرق والرعد والمطر هي التي تتسبب في نماء الورود والأزهار وجريان الأنهار

---

[1] انظر الكتاني الطبيب - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبناء القصور والنواعير حول هذه الطبيعة الخلابة .

(١٣-١٨) وصف لمجالس اللهو والشراب . ولعله أيضاً مناسب والطبيعة الخلابة التي تبعث في النفس الراحة ، وتعيد للإنسان حيويته وتجدده وألفته ، فيرتاد مجالس اللهو وسط هذا الجو الربيعي الجميل والطبيعة الأخاذة .

أما الجزء الثاني ففيه صفات تتعلق بالحسن الإنساني من (١-١٠) ، ومن (١١-١٧) معان تحمل مواقف عاطفية . ومن (١٨-آخر الجزء) تأتي أبواب تحمل معنى الصراع ؛ الأول : صراع الإنسان مع الطبيعة (١٨-٢٤) : صراع الإنسان مع الإنسان ، من (٢٥-٣٣) إذ تتناول هذه الأبواب صفات الحرب وأدواتها وما قد ينتج عنها .

ويأتي الجزء الثالث ليتناول صراع الإنسان مع الحضارة في أبوابه الأولى . ومن (٤-١٠) يتناول أخلاق البشر بأسلوب يتلون بلون الهجاء والسخرية ، وينهي هذه السخرية بأربعة أبواب يذكر فيها الموت لعل هذا الإنسان يعتبر ويتعظ .

ولكن المصنف أعجب بأبيات لم تتدرج حسب معانيها في أي باب من أبوابه ، فجعلها باباً مستقلاً بعنوان (شواذ تقل نظائرها) وكانت دون ترتيب أو تقسيم .

وقد أخل صاحب التشبيهات بالترتيب قليلاً حين أورد أبياتاً في وصف الأسد في باب (الأنهار والجداول والمياه الجارية والأواجن) :

قال الشاعر علي بن أبي الحسين يصف أسداً :

وهِزَبرٍ هادرٍ في غابةٍ ... يردعُ اللامحَ عنهُ بالزَّوْدْ (*)

فاغرٍ فاهُ فما يُغلِقُهُ ... سائلُ الريقِ مشيحٍ ذي لَبَدْ

لا يُرى مُنتَقِلاً مِن مَوضعٍ ... لا ولا مفترساً سِرْبَ نَقَدْ (١)

(*) الزّوْد : الذعر والفزع
مُشيح : حذر
(١) الكتاني الطبيب – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك وقع الخلل في باب (المذبة والمروحة) إذ فيه أبيات عن الشمعة وهي لا تتسق والعنوان ، وقد عدها د. احسان عباس دخيلة[١] ، وحُق له ذلك .

قال أبو اسحق الخفاجي في الشمعة :

وصفراءَ تبكي لا لِوَجدٍ ولوعـــةٍ ... فتَبْسِمُ والليلُ البهيمُ مُقَطِّـــــبُ

إذا صَدَعَتْ جُنْحَ الدجى بالتماعِها ... أظَلَّكَ زنجيٌّ من الليـلِ أشْنَـــبُ

تَحَلَّتْ بذوبِ التِبْرِ جِيْداً ولَبَّـــةً ... وفي رأسِها تاجٌ من النُّورِ مُذْهَبُ

وقد واجَهَتْنا وَسْطَ نهرٍ كأنَّـــه ... عمودُ صباحٍ طالعٍ فيه كوكـــبُ[٢]

---

[١] الطبيب الكتاني – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ١٦ ، ١٧ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ، ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- **اللآلئ والدرر أو (أحسن ما سمعت)** ، أبو منصور الثعالبي ، (ت ٤٢٩هـ)

قسم أبو منصور الثعالبي كتابه هذا إلى اثنين وعشرين باباً وهي :

١- في الإلهيات .

٢- في النبويات .

٣- في الملوكيات .

٤- في الإخوانيات .

٥- في الأدبيات .

٦- في الخمريات .

٧- في الربيع وآثاره .

٨- في الصيف والخريف والشتاء .

٩- في الآثار العلوية .

١٠- في الدنيا والدهر .

١١- في الأمكنة والأبنية .

١٢- في الطعاميات .

١٣- في النساء والتشبيب .

١٤- في الغزل المذكر .

١٥- في الشباب والشيب .

١٦- في مكارم الأخلاق والمدائح .

١٧- في الشكر والعذر والاستماحة وما يجري مجراها .

١٨- في مساوئ الأخلاق والأهاجي .

١٩- في الأمراض والعيادات وما ينضاف إليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠- في التهاني والتهادي .

٢١- في المراثي والتعازي .

٢٢- في فنون من الأحاسن مختلفة الترتيب .

إن الثعالبي كان واعياً في تقسيمه للأبواب وهذا ما جعله يفرد الأشعار الأخيرة في باب أطلق عليه (في فنون من الأحاسن مختلفة الترتيب) ، معنى ذلك أن الأبواب السابقة متفقة الترتيب . وقد بدأ الثعالبي بالمعاني الدينية السامية : الإلهيات ثم النبويات وسار في هذا الباب حسب التعاقب الزمني ، إذ بدأ بذكر آدم عليه السلام ، ثم ذكر نوح عليه السلام ، فإبراهيم ، فيعقوب فيوسف ... وهكذا إلى أن وصل إلى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد فصل الثعالبي بين شعر قيل في الملوك وآخر قيل في الإخوان إما للفارق الإجتماعي بين الفئتين وإما لصفة الصدق الغالبة على الشعر الثاني أكثر من الأول .

وكان أحياناً يأتي بالمعنى ثم يعقبه بالمعنى المضاد مثل (باب في الدنيا والدهر) فيه فصل يتحدث عن ذم الدنيا وآخر يليه في مدح الدنيا .

ومثله حين يتحدث عن إكرام الضيف ثم يليه فصل في ذم البخلاء ، ثم تحدث عن مدح النساء وتلاه ذمهن ، ثم فصل في ذم الشيب ثم فصل في فضل الشيب .

والملاحظ على ترتيب الثعالبي أنه تقسيم موضوعي وتفريع منطقي بشكل واضح ودقيق ، فهو حريص على التقسيمات الكلية والتفريعات الجزئية للأبواب والفصول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء** ، أبو محمد عبد الله بن محمد العبد لكاني الزوزني (ت ٤٣١هـ) .

وصاحب هذه الحماسة هو العبد لكاني الزوزني قد نهج في ترتيبه نهج أبي تمام في حماسته ، فرتبها ترتيب معانٍ وجعل أبواب حماسته عشرة ، وقد صرّح بذلك في مقدمته "شحن – أدام الله عزك – أبو تمام الطائي –رحمه الله– كتاب الحماسة بأشعار ألفاظ معظمها غرائب ، وتحتها من معانيها عقارب ، وأهل زماننا في السهل القريب أرغب ، لأنه من الأفهام أقرب ، فجمعت في كتابي هذا من مختار الشعر ومنتقاه ما يقرب من أبيات كتابه ، في أبواب عددها كعدد أبوابه"[1] ، وهذه الأبواب هي :

١- باب الحماسة .

٢- باب المراثي .

٣- باب الأدب والحكمة .

٤- باب الكبر والشيب .

٥- باب النسيب والملاهي .

٦- باب الهجاء .

٧- باب المديح .

٨- باب الأضياف والسخاء واصطناع المعروف .

٩- باب الصفات .

١٠- باب الملح .

لقد اختلف ترتيب الأبواب عند الزوزني عنه عند أبي تمام ، فالباب الخامس عند الزوزني يقابل الباب الرابع عند أبي تمام ، والسادس يقابل الخامس والسابع يقابل السادس الذي قسمه

---

[1] العبد لكاني الزوزني–حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، ج١، ص ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزوزني إلى بابين فهو عند أبي تمام بعنوان باب (المديح والأضياف) إلا أن الزوزني جعل المديح باباً سابعاً والأضياف باباً ثامناً ، أما الباب التاسع عند الزوزني فيقابل الباب السابع في حماسة أبي تمام . وباب الملح العاشر يقابل الباب التاسع عند أبي تمام .

أما باب مذمة النساء فقد حذفه الزوزني وضمه إلى باب الهجاء . وحذف باب السير والنعاس وأضاف باب الكبر والشيب .

وكان الترتيب حسب المعاني مسيطراً على فكر الزوزني إذ نراه يختار الأشعار التي تدور معانيها في فلك واحد تباعاً مثل ؛ قول أبي فراس الحمداني لما احتضر:

قُولـــــــي إذا سَاءلْتِنِي ... وعَيِيـــتُ عن رَدّ الجوابِ

زَيـــنُ الشبـــابِ أبو فرا ... س لـم يمتـــعْ بالشبـــابِ

وقول الفرزدق بن غالب لما احتضر :

إلى مَن تفزعونَ إذا حَثَيْتُـمْ ... بأيديكُمْ علـــيَّ من التراب

ومـــن هذا يقومُ لكم مقامِـي ... إذا ما الخَصْم كلّ عن الجواب[1]

ومثل ذلك الشعر الذي يكتب على القبور .

قال كشاجم في اعتبار موت الفتيات نعمة وعلينا شكر الله على هذه النعمة :

فتـــاةٌ أسبـــلَ اللـــــهُ ... عليهـــا أسبـــغَ السَّتـــرِ

ورزءٌ يشبـــــهُ النعمـ ... ـةِ للمـــرءِ وما يـــــدري

فقابـــلْ نعمةَ اللـــــهِ الـ ... ـتي أولاكَ بالشكـــــــرِ[2]

وقال الشاعر :

وُقيـــتَ المكارهَ والنائباتِ ... وُمُتّعْتَ ، ما عِشْتَ بالطيباتِ

---

[1] العبد لكاتي الزوزني – حماسة الظرفاء ، ج١ ، ص ٨٩ ، ٩٠

[2] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سروران ما لهما ثالـــثٌ حيـاةُ البنين ، وموتُ البنـــاتِ .

فرثاء البنات سرور عندهم ، ويقع التشابه في أبيات في رثاء الأعضاء[١] وهناك أبيات في هجاء الشعراء الأهل والأقارب كهجاء الحطيئة لأمه ولقومه ولنفسه ثم يتبعها بهجاء عمار الكاتب لذويه ، وهجاء أبي دلامة لنفسه ، وابن بسام يهجو أباه وأخاه وعمه[٢] . ثم يعمد إلى هجاء المصابين بعاهات مستديمة[٣] ، وختم الباب بهجاء الرؤوساء والحكام[٤] .

وقد فصل الزوزني بين المدح والاستعطاف والاعتذار فجعله عنوانا[٥] آخر ولكنه ضمّن باب المديح لما بين المعنيين من ارتباط وثيق . وقد بدأ بمدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم بمدح الملوك والأمراء ثم بالأخوة والعشيرة .

---

(١) العبد لكاني الزوزني - حماسة الظرفاء ، ج١ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ : ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥
(٥) المصدر نفسه ، ج٢ : ٢١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- مجموعة المعاني ، مؤلف مجهول (ت ق ٥) :

وهو كتاب لمؤلف مجهول يعتقد أنه من رجالات القرن الخامس ، وذلك لتوقف اختياراته عند شعراء القرن الخامس[١] ، ولكن عبد الله الجبوري يذهب إلى أنه من رجال القرن السادس أو السابع ، يقول : "لعل مؤلفها -مجموعة المعاني- من رجال القرن السادس أو السابع للهجرة ، وتشترك هذه المجموعة والتذكرة السعدية في ذكر جمهره من الشعراء المقلين أو المغمورين ، "ومن المؤكد أن مؤلف التذكرة أفاد كثيراً منها ، وإن لم يصرح بذلك ، لتشابه روايات الكتابين في جملة من النصوص التي انفرد بها"[٢] .

لا يعني تشابه روايات الكتابين أن يكون الكتابان قد كتبا في عصر واحد أو متقارب ، فربما وقع كتاب (مجموعة المعاني) في يد محمد العبيدي فاستفاد منه ، وربما يكون التشابه مصدره اعتماد صاحب التذكرة وصاحب مجموعة المغاني على حماسة أبي تمام . ولذلك أرى أنه من الأولى القول بأنه من رجال القرن الخامس الهجري .

أما بالنسبة لمنهجه في الترتيب لموضوعات كتابه فقد بيّن ذلك في مقدمته : "قال عليه الصلاة والسلام : (إن من الشعر لحكمة) أحببت أن أجمع منه نبذة أذكر فيها من أشعار القوم ومقاصدهم في كل معنى بديع ، ولفظ منيع ، ما يطرب ذوي القلوب ، ويجلي به الكروب ، فجمعت منه ما ينتظم في مائة معنى تصلح للمتمثل أن يصل بها خطابه ، ويحلي بمحاسنها كتابه ، وأضفت إلى كل معنى ما يجانسه أو يضاده للملاءمة التي بين الضدية والمثلية ، ولئلا تكثر الأبواب فتعيي طالبها"[٣] .

ويمكن أن يعد كتاب (مجموعة المعاني) من كتب الاختيارات التي اقتدت بحماسة أبي تمام إذ بوّبها صاحبها حسب المعاني الشعرية ، وقد جاءت الأشعار في مائة باب مقتضب وأكثر هذه

---

(١) مؤلف مجهول - مجموعة المعاني ، ص١١

(٢) محمد العبيدي - التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، ص ١٤

(٣) مؤلف مجهول - مجموعة المعاني ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبواب في معانٍ جزئية ، ولذا كانت مختاراته ، في معظمها – أبياتاً مفردة ومقطعات ، لذا يمكن القول إنه تأثر بحماسة البحتري في كثرة التفريعات والتقسيمات ، وإذا كان البحتري قد قسّم كتابه إلى مائة وأربعة وسبعين باباً فإن صاحبنا مؤلف المجموعة قد قسمها إلى مائة باب . ولعل هذا التأثر ناتج عن ميل المؤلف للبحتري ولشعره ، ولذلك كان اختياره من شعر البحتري أكثر من شعر أبي تمام .

وقد أشاد محقق الكتاب بترتيبه إذ قال : "وهو فيما أعتقد أوسع مدى من المفضليات والأصمعيات في مختاراته ، وأكثر تنويعاً من حماسة أبي تمام ، وأجود ترتيباً من حماسة البحتري"[١] .

وتبدأ المجموعة بمعنى دينيّ وهو الحض على التقوى ورفض الدنيا ويماثل هذا المعنى الحديث عن حوادث الزمن والتفرق فيجعله الباب الثاني ، ولما كانت مصائب الدهر متتابعة كان على الإنسان رفض هذا الزمان والاتسام بالحنكة والبعد عن الحمق والحزم في كل الأمور مع العمل بجد وعزم .

إن المعاني التي اختارها المؤلف يسلم واحدها للآخر ، حتى تلك التي تتميز بالضدية مثل المعنى الخامس (الحنكة والتجارب) والمعنى السادس (الحمق والهوى والجهل) فالأبيات في المعنى الخامس تحُض على المشورة وفي المعنى السادس تنهى عن الجهل والهوى والتعسف ، وكأن المعنيين أصبحا معنى واحد . وكذلك المعنى الثامن والتاسع ، والعاشر والحادي عشر ، والثاني عشر والثامن عشر ، والرابع عشر والخامس عشر إلى نهاية المعاني.

ويمكن لنا أن ننظم المعاني المائة[٥] في مجموعة من المعاني الرئيسية التي تشبه إلى حد كبير معاني حماسة أبي تمام وهي : "المدح ، والفخر والهجاء ، والرثاء ، والوصف ،

---

[١] مؤلف مجهول – مجموعة المعاني ، ص ٩

[٥] نظراً لطول هذه المعاني آثرت عدم ذكرها ، والإحالة إلى فهرس كتاب (مجموعة المعاني) ص ٦٢١-٦٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحماسة ، والأدب والحكمة ، والملح والنوادر" .

فـالمدح يشـمل المعـــاني (٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠)

الفخر يحمل المعنى (٣٩)

الهجاء يشمل المعاني (٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤)

الوصف يشمل المعاني من (٦٢-٦٧) و (٨٧-٩٧) إضافة إلى المعنيين ٥٥ ، ٥٦

الحماسة تشمل المعاني : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥

الحكم تشمل المعاني : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، (٥٧-٦٠) ، ٦٨ ، (٦٩-٧٥) ، (٧٧-٨٢) .

المُلح : وجاءت في المعنى الأخير (المائة) .

إن إدراك المصنف للمعاني الدقيقة هي التي حدت به إلى هذه التفريعات والتقسيمات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- الحماسة الشجرية ، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) .

تأثر الشجري في حماسته بحماسة أبي تمام ، فقد أخضع الشعر الذي انتقاه للترتيب حسب معانيه وأغراضه ، ويعود ذلك لشهرة أبي تمام ، ولما لمعاني الحماسة من وقع في النفوس .

وجاءت الحماسة في قسمين كبيرين ضما ستة عشر باباً ، وهناك تفريعات وفصول لبعض الأبواب ، وجاءت على النحو التالي :

١- الشدة والشجاعة
٢- اللوم والعتاب
٣- المراثي
٤- المديح
٥- الهجاء
٦- الأدب
٧- النسيب
٨- الحنين إلى الأوطان
٩- في الارتياح عند هبوب الرياح
١٠- في الاشتياق عند لمعان البروق
١١- في النزاع عند نوح الحمائم
١٢- في الشوق عند حنين الابل
١٣- في الطيف والخيال
١٤- مقتطفات من غزل شعر جماعة من المحدثين
١٥- الصفات والتشبيهات
١٦- الملح

نلحظ أن الباب الأول يختلف في التسمية عما عند أبي تمام . ووقع باب المديح هنا رابعاً وعند أبي تمام سادساً ، والهجاء وقع خامساً وعند أبي تمام رابعاً ، والأدب وقع سادساً وكان لدى أبي تمام ثانياً ، أما النسيب فقد كان عند أبي تمام ثالثاً وهنا جاء سابعاً ، والأبواب الخامس عشر والسادس عشر هنا وقعا عند أبي تمام سابعاً وتاسعاً والشجري لم يُسقط إلا باب مذمة النساء ، والغريب أنه لم يذكره في باب الهجاء ، فقد خلا هذا الباب من شعر هجاء للنساء سواء كن هاجيات أو مهجوات . وقد أدخل باب السير والنعاس في الأبواب التي تلي النسيب وذلك لارتباط معناها ارتباطاً تاماً ، فالأبواب من الثامن إلى الرابع عشر تتدرج ضمن الباب السابع (النسيب) إلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن المصنف حاول أن يكون وسطاً بين نهج أبي تمام ونهج البحتري ، ولكنه كان أميل لأسلوب أبي تمام . إذ على غرار ما فعل أبي تمام حين أطال الباب الأول فعل الشجري فأطال هذا الباب إلى أن وصل حوالي نصف القسم الأول حوالي مائتين وسبع وأربعين صفحة .

ويتضح الترتيب حسب المعاني وضوحاً تاماً في باب الصفات والتشبيهات . يبدأ هذا الباب بصفات المرأة وهي صفات حسية معهودة في الأدب العربي مثل : البشرة البيضاء ، والخدود الحمراء الوردية ، والوجه الحسن ، وثقل الأعجاز ، ووضوح الجبين وما إلى ذلك . وهي صفات عامة ما لبث المصنف أن اختار شعراً يُعنى بجزئيات هذا الجمال ، وبدأ باختيار شعر فيه صفات تعرف بحاسة التذوق مثل : طيب النكهة وعذوبة الريق عند الاستيقاظ من النوم ، وقد جعلها في فصل مستقل .

قال كثير :

أَلِمًا على سَلْمى نُسَلِّمْ ونسـأَل ... سُؤالَ حَفِيٍّ بالحبيبِ مُوَكَّلِ

سَبَتْهُ بعَذْبِ الريقِ صافٍ غُرُوبُهُ ... رقيقِ الثَّنايا باردٍ لَمٍّ يُفَلَّلِ

وقال عبيد الله بن الأبرص :

كَأَنَّ ريقَتَها بعدَ الكرى اغتبقَتْ ... من ماءِ أدكنَ في الحانوتِ نَضَّاحِ

أو من مُشعشعةٍ كالمسكِ نَشَّرتُها ... أو من أنابيبِ رُمانٍ وتُفّاحِ[1]

وجاء الفصل الذي يليه يحوي أشعاراً تتناول طيب الريح وهذه الصفة تعرف بحاسة الشم .

أحسن ما قيل في طيب الريح قول امرئ القيس:

خَليلَيَّ مُرا بي على أم جُندبِ ... نُقَضِّي لباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

أَلَمْ تَرَ أني كُلّما جئتُ طارقاً ... وَجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ[2]

---

[1] ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ج٢ ، ص ٦٦٦-٦٦٩ .

[2] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما فصل (العين والنظر) فهو يضم أشعارا تتناول جمال العين وفعل النظرة في المحب ، وهذه أمور تدرك بحاسة البصر .

مثل قول النابغة الذبياني :

نَظَرَتْ إليكَ بحاجةٍ لم تقْضِها نَظَرَ المريضِ إلى وُجوهِ العُوَّدِ[١]

وجمع الشجري الأشعار التي تبين وقع الحديث وطيبه على نفس المحب وهذه الصفة تدرك بحاسة السمع من ذلك قول البحتري:

وحديثُها السحرُ الحلالُ لو أنـــــه لم يَجْنِ قَتْـلَ المُسْلمِ المُتَحَـرِّزِ

إن طالَ لم يُمَلَل ، وإن هِي أوجزتْ وَدَّ المُحَدَّثُ أنهَـــا لم تُوجِـــزِ[٢]

ويأتي الفصل الأخير من صفات النساء بعنوان (وصف المضاجعة وشدة الالتزام) وهذا الوصف لا يدرك إلا باللمس . ومن ذلك قول علي بن الجهم:

سَقى اللهُ ليلاً ضمنا بعدَ هَجعةٍ وأدنـــى فؤاداً من فؤادٍ مُعذبِ

فَبِتنا جميعاً لو تُـراقُ زُجاجـةٌ من الراحِ فيمـا بيننا لم تَسَرَّبِ[٣]

نرى أن الفصول سالفة الذكر مرتبطة من حيث المعاني ارتباطاً تكاملياً وشيج الصلة ، إذ كل فصل يعضد الآخر في بيان صفات المرأة ووقعها على المحب لتعطي صورة كاملة للحب الجياش الذي يتملك الشعراء بكل حواسهم .

---

(١) ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ج٢ ، ص ٦٨٢

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٨٦

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- **المنازل والديار** ، مجد الدولة أسامة بن منقذ الكناني (ت ٥٨٤هـ) :

كان الدمار بؤرة انطلاق أسامه بن منقذ في انتقاء هذه المختارات ، دمار أعقب الحروب ، ودمار آخر كان أشد وقعاً على نفسه ، ذاك الدمار الذي أعقب الزلزال فأباد أسرته ، وولد في نفسه مشاعر جياشة فحاول التأسي بهذا المختار الذي جاء في جزأين مقسمين إلى ستة عشر معنى وهي : المنازل ، والديار ، والمغاني ، والأطلال ، والربع ، والدمن ، والرسم ، والآثار ، والمساكن ، والأرض ، والأوطان ، والمدن ، والبلاد ، والدار ، والبيت ، وبكاء الأهل والإخوان.

وكان لكل معنى فصل أو فصلان أو ثلاثة تحمل العنوان نفسه وبشكل متتالٍ ، وكان لمعظم المعاني فصلان عدا (ذكر البلاد) فكان في ثلاثة فصول .

وعمد ابن منقذ للتفريق بين المعاني التي أوردها لتوضيح مدلول كل معنى ، فيقدّم للفصل بآيات قرآنية يذكر فيها المعنى الذي يوضّحه مثل معنى (الديار ، والآثار ، والدار ، والبيت ،...).

والكتاب كله عويل ونياحة[1] فهو يدور حول معنى واحد ويجمع أشعاره إحساس واحد .

وعند مقارنة الأشعار التي وردت في الفصل الأول لمعنى معين ،والفصل الثاني لذات المعنى ، لا نجد اختلافاً أو حداً فاصلاً بين الفصلين ، ولا ندري لم فصل بين الأشعار ، فمثلاً في فصل ذكر المنازل نجد المعاني التالية (وصف المنازل الدارسة ، وخلو المنازل من أهلها ، البكاء على الأيام الخوالي حيث العيش الرغد ، المنازل وقد أصبحت مرتعاً للغربان ، تحية المنازل ووقوف الشاعر لبكائها) . ومثل هذه المعاني نجدها في الفصل التالي له والمعنون بعنوان : فصل آخر في ذكر المنازل .

---

[1] أسامة بن منقذ – المنازل والديار ، ج١ ، ص ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال جرير بن عطية : (وهي أبيات من فصل في ذكر المنازل)

شَعِفْتَ بعهدٍ ذَكَّرَتْهُ المنازلُ ... وكيفَ تناسي الحِلْمُ والشَّيبُ شاملُ

لعمرُكَ لا أنسى ليالي مَنْعِجٍ ... ولا عاقلاً إذْ منزلُ الحيِّ عاقلُ

فيا حبذا أيامَ يحتلُّ أهلُهُ ... بذاتِ الغضى والحيُّ في الدارِ آهلُ

وإذ نحنُ آلافٌ لدى كلِ مَنزلٍ ... ولما تفَرَّق للطِياتِ الحمائلُ[1]

وقال عدي بن الرقاع : (وهي أبيات من فصل آخر في ذكر المنازل)

أتَعرفُ بالصحراءِ شرقيَّ شابكٍ ... منازلُ أعرَاها الأنيسُ وَملْعبا

ظَلِلْتُ أُرائيها صِحابي وقد أرى ... بها أهلَها من بينِ غَرٍ وأشيبا

ومُحْتَجِباتٍ بالستُورِ كأنّما ... تُجنُّ ستُورُ الخَزِ منْهُنَّ رَبْرَبا

أخطرهُ شوقٍ في الفؤادِ تعرَّضَتْ ... لِتَتكأَ قلباً مُستهاماً مُعذبا[2]

وكذلك الحال في باب في ذكر الديار :

قال عبد الله بن قيس الرقيات:

هل للديارِ بأهلِها عِلْمُ ... أمْ هل يُبينُ فَينْطِقُ الرَّسْمُ

يا صاحِ هل أبكاكَ مَوْقِفُنا ... أمْ هل علينا في البُكا إثْمُ

أم ما بُكاؤكَ منزلاً خَلَقاً ... قَفْراً يلوحُ كأنَّهُ الوشْمُ[3]

وقال المرقش الأكبر في باب آخر في ذكر الديار :

هل بالديارِ أن تجُيبَ صَمَمْ ... لو كانَ رَسْمٌ ناطِقاً كَلَّمْ

---

(١) اسامة بن منقذ – المنازل والديار ج١ ، ص ٣٤ .
شعفت : من الشعف وهو شدة الحب ، منعج : واد بين حفر أبي موسى والنباج ، ويوم منعج من أيام العرب لبني يربوع بن حنظلة . عاقل : واد لبني أبان بن دارم وهو يحاذي منعج . الطيات : المفرد الطية وهو الوطن والمنزل .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٨١ . شابك : موضع من منازل قضاعة بالشام
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ص ١٣٢–١٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدارُ قفرٌ والرسومُ كمـــــا رَقَشَ في ظَهـرِ الأديمِ قَلَمْ[١]

وكل الأبواب على هذه الشاكلة لا نكاد نجد فرقاً بين الفصل الأول والثاني لكل معنى[٢].

وقد وقع خرم في ترتيب أسامة حين جعل فصلاً بعنوان (في ذكر المساكن والمحل والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات) في الجزء الأول ، وجاء الفصل الثاني بهذا العنوان ولكن في الجزء الثاني ، وقد كرر فيه اختيار بيتين لأبي العتاهية افتتح بهما الفصلين ثم روى قولاً عن أبي الدرداء عن المساكن ، ثم اختار لأبي العلاء المعري في الفصلين ، ثم بدأ الفصل الثاني في الجزء الثاني يختلف إذ أورد أسامة آيات قرآنية ورد فيه لفظ البيت . وقد عهدنا أسامة يورد آيات بمعنى معين ثم يختار شعراً في هذا المعنى ، وحين ذكر لفظ البيت أتبعه بشعر يتناول لفظ البيت ، وعند الانتهاء من هذا الفصل ، بدأ فصلاً بعنوان (فصل آخر في ذكر البيت) ، هذا يعني أن الفصل السابق له كان في ذكر البيت .

هذا الخرم ربما كان ناتجاً عن ضياع بعض هذا الكتاب ، أما تكرار ذكر (باب المساكن) فربما يكون خطأ دار النشر ، إذ لا يُعقل أن يكرر أسامة جزءاً من الباب تكراراً حرفياً .

---

[١] انظر أسامة بن منقذ – المنازل والديار ، ج١ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥

[٢] المصدر نفسه ، ج٨ ، ص (٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦) ، ج٢ ، ص (١٧ ، ٢٨، ٤٣ ، ٦٧، ٩٩ ، ١٤٧، ٢٢٠ ، ٢٣٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- **غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات** ، علي بن ظافر الأزدي المصري(ت ٦٢٣هـ) :

إن عنوان هذا الاختيار يدل على قصر صاحبه اهتمامه بنوع واحد من الشعر وهو الذي يحوي تشبيهاً عجيباً . ولما كان الأصل في التشبيه أنه "تعبير فني ، وضرب من المحاكاة التي يبحث الشاعر من خلالها عن معادل من الطبيعة للمعاني التي يريد ، ونظراً لتفاوت الشعراء في ثقافاتهم تفاوتت تشبيهاتهم"[١] . وهذا ما أغرى ابن أبي عون الكاتب لتصنيف كتابه "التشبيهات" الذي جعله في اثنين وعشرين باباً "جمع فيه عيون التشبيهات والمعاني الغريبة البعيدة دون المتداولة المخلقة"[٢] .

وهذا هو هدف المصري الذي بحث عن روعة التشبيه وجماله في معنى واحد وهو الوصف.

وقد قسم كتابه إلى ستة أبواب ثم قسم كل باب إلى عدد من الفصول ، وأبواب الكتاب :

الأول : في تشبيه الأجرام العلوية.

الثاني : في التشبيه الواقع في صفات المياه والأنهار والغدران .

الثالث : في تشبيه الأزهار والأثمار والنبات .

الرابع : في التشبيه الواقع في الخمريات .

الخامس : في التشبيه الواقع في الغزل .

السادس : يبدأ من الفصل الخامس وهو ما قيل في الراي الطري من التشبيه .

نلاحظ أن الأبواب الثلاثة الأولى تتناول أحوال الطبيعة ، أما البابان الرابع والخامس فهما في تشبيه الذوات وما يتعلق بها ، أما الباب السادس فهو في تشبيهات مختلفة أي متنوعة الموضوعات ، وقد حدث اضطراب في ترتيبه إذ جاء ذكر الثريا في الفصل الأول من الباب

---

(١) ابن ظافر المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ١٧

(٢) ابن أبي عون الكاتب – التشبيهات ، ص ٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول وعاود ذكر تشبيهاتها في الفصل السابع من الباب ذاته .

وحدث خرم آخر في الفصلين الأخيرين ، ففي الباب الخامس يقول إنه من ستة فصول ، ولكننا لا نجد إلا فصلاً واحداً في الثغور والشفاه ، والباب السادس في تشبيهات مختلفة يبدأ من الفصل الخامس . وأكبر الظن أن قسماً من هذا الكتاب قد أتت عليه يد الدهر ، هذا الجزء الضائع يجوي الفصول الخمسة الأخيرة الخاصة بالغزل ، والفصول الثلاثة الأولى الخاصة بالباب الأخير . فإن كان هذا الافتراض صحيحاً سلم الكتاب من سمة الخلل.

وقد غلب على هذه المختارات أشعار المحدثين والمعاصرين له خاصة الشعراء الأندلسيين والمصريين ، ولعل هذا يرجع إلى أن شعر الأندلسيين يكثر فيه وصف الطبيعة فكثرت تشبيهاتهم وأبدعوا فيها . أما كثرة وجود شعر المصريين في هذا الكتاب فلا عجب في ذلك إذ صاحبه مصري الأصل .

ويختار الأزدي المصري الأشعار متقاربة المعاني بشكل متتابع مثل :

ومن أحسن ما قيل في الأقحوان قول ظافر الحداد :

والأُقْحُوَانةُ تحكـــي ثَغْرَ غانيـــةٍ تَبسَّمتْ فيه من عُجْبٍ ومـــن عَجَبِ
في القدِّ والبُردِ والريقِ الشهيِّ وطيـ ـبِ الريحِ واللونِ والتفليـــجِ والشنبِ
كشمسةٍ من لجينٍ فـي زبرجـــدةٍ قد شَرَّفَتْ تَحْتَ مِسْمارٍ من الذَّهـبِ

وقال ابن عباد الإسكندري في المعنى وشاركه في كثير من اللفظ :

والأقحوانةُ تحكي وهي ضاحكـــةً عن واضحٍ غيـرِ ذي ظَلْمٍ ولا شَنَـــبِ
كأنها شَمسةٌ من فضةٍ حُرِسَـــتْ خَوْفَ الوقوع بِمِسْمـارٍ مـن الذَّهـبِ[1]

---

[1] علي بن ظافر الأزدي المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ٩٢ .وانظر ص (١٣،٢١،٢٤،٢٨،٣٥،٣٦،٣٧،٤٥،٦٢،٦٧،٦٨،٧٣،٨٥،١٠٣،١١٧،١٢١،١٣٩،١٤٥،١٦٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبه المصنف للأبيات التي تجمع المعاني كلها دون تكلف ، ويحكم له بالجودة ، أما ذلك الشاعر الذي يزيد على المعنى بتكلف فيسمه بالتقصير مثل :

ومن أحسن ما قيل في تشبيه ورد الباقلاء قول الصنوبري:

ونباتِ باقلاءَ يُشْبِهُ زَهْرُهُ بُلَقَ الحَمام مُقيمةً أذنَابَها

وقال كشاجم في المعنى وقصّر عنه :

تَخالُ فيه النَّوْرَ جَزعا من ذهبٍ أو بُلَقَ طَيرٍ وُقّعٍ على القُصَبْ[1]

---

[1] علي بن ظافر الأزدي المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ٩٨ . وانظر ص (١١،١٤،٢٨،١٠٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- **الحماسة البصرية** ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ) .

تقف هذه الحماسة إلى جانب حماسة أبي تمام في شهرتها وتفوق عليها في ضخامتها ، وقد رتبها حسب المعاني "إذ الشعر عنده على اختلاف معانيه وأصوله ومبانيه ينقسم إلى نعوت وأوصاف ، فما وصف به الإنسان من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها سمي حماسة وبسالة ، وما وصف به من حسب وكرم وطيب سمي مدحاً وتقريظاً وفخراً ، وما أثنى عليه بشئ من ذلك ميتاً يسمى رثاء وتأبيناً ، وما وصفت به أخلاقه المحمودة من حياء وعفة وإغضاء من الفحشاء ومسامحة عن زلات الأخلاء سمي أدباً ، وما وصف به النساء من حسن وجمال وغرام بهن سمي غزلاً ونسيباً ، وما وصف به من إيقاد النيران ونباح الكلاب سمي قرى وضيافة ، وما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء ، وما وصفت به الأشياء على اختلاف أجناسها وأنواعها يسمى نعتاً ووصفاً وملحاً ، وما ذكر به الإنابة إلى الله تعالى ورفض الدنيا سمي زهداً وعظة والله أعلم"[1] .

إن صدر الدين البصري نهج نهجاً علمياً حين قدّم بهذه المقدمة التي أبان فيها طريقة عمله وأسلوب تصنيفه ، وقد التزم بهذا الاسلوب ولم يحد عنه .

وهذه الحماسة – كما ذكرنا – ليست ببعيدة عن حماسة أبي تمام إذ أحتوت أبواب حماسة أبي تمام كلها ، وأضاف إليها ثلاثة أبواب جاءت في الختام .

وقد أشار إلى ذلك محقق الحماسة الشجرية : "ومن أنعم النظر في الحماسة البصرية لاحظ أن صاحبها أخذ عن حماسات أبي تمام ، وأبي عبادة ، وابن الشجري والأشباه ، وقد حاول في مختاراته أن يكون بينها صلات في المعنى أو تضاد أو تشابه في المعنى والأسلوب ، أو القافية والبحر ، أو يكون هناك تماثل بين الشعراء من حيث العصر ، أو الطائفة التي ينتمون إليها . كل

---

[1] صدر الدين البصري – الحماسة البصرية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ج١ ، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك يدل على اختيار واع ينفرد به صاحبها" .[١]

إن محقق الحماسة الشجرية في قوله هذا لم يجانب الصواب ؛ إذ البصري يجمع بين الأبيات التي تحمل المعنى نفسه أو قريباً منه ، مثال ذلك الأبيات التي تتحدث عن الفرار وقت اشتداد المعركة ، هذا المعنى جاء في خمس مختارات متتالية .

قال زفر بن الحارث :

لَعَمْري لقد أَبْقَت وقيعةُ راهطٍ ... لمروانَ صَدعاً بيننا مُتَنائيا

فلم تَرَ مني نبوةً قَبلَ هذه ... فَراري وتركي صَاحِبيَّ ورائيا

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي :

لعمْرك ما ولَّيتُ ظَهري محمداً ... وأصحابَهُ جبناً ولا خِيفةَ القتلِ

ولكنني قلَّبتُ أمري فلم أجِدْ ... غِناءً لسيفي إن ضربْتُ ولا نبلي

وقال أوس بن حجر :

أجاعلةٌ أم الحصينِ خزايةً ... عليَّ فِراري أَنْ لقيتُ بني عبسِ

لقِيتُ أبا شأسٍ وشأساً ومالكاً ... وقيساً فجاشَتْ من لقائهمُ نفسي

وقال الفرار السلمي :

وكتيبةٍ لَبستها بكتيبةٍ ... حتى إذا التبسَتْ نَفَضْتُ لها يدي

فتركْتُهمْ تَقْصُ الرماحُ ظهورَهُمْ ... من بينِ مُنعفرٍ وآخرَ مسندِ

وقال الحارث بن هشام المخزومي :

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قِتالَهم ... حتى عَلوا فرسي بأشقرَ مزبدِ[٢]

وقد أتى بثلاث منصفات[٣] للعرب بشكل متتال ، والمنصفة قصيدة يُذكر فيها مناقب العدو

---

(١) ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ج١ ، ص (ل أ) .
(٢) البصري – الحماسة البصرية ، ج١ ، ص ٢٦–٢٨
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٥٣ ، ٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصور بسالتهم في الحرب . ويختتم باب الرثاء بست مختارات لمن رثى نفسه حيا[١].

ومنه أنه ذكر في باب الأضياف[٢] مدحا للكريم وتصوير بشاشته في وجه الضيف ، ثم يأتي بالمعنى المضاد فيهجو من كان بخيلاً وقد أخمد ناره ، ورغم أن هذه المعاني تأتي في باب الهجاء إلا أن اهتمامه بالمعنى دفعه إلى ذلك ، فقد اختار ست عشرة مختارة في النيران الموقدة والكلاب النابحة التي تمثل مدح الكريم ، وأتبعها بتسع مختارات فيمن أخمد ناره وكعم[٥] كلبه مخافة أن يهتدي به طارق ليل .

ومن هذا التضاد في المعنى وصفه لشدة الحر ثم وصفه للبرد وشدته[٣] .

وكذلك اختار أبياتاً لمن يفخر بأعماله وشجاعته ومكانته التي صنعها بيديه ، ثم يختار أبياتاً لمن يفخر بشهرته التي هي موروثة عن آبائه وأجداده[٤] ، وقد يكون التشابه في الأسلوب سبباً في الاختيار المتتالي ، مثل استخدام أسلوب النفي (لا) في الأبيات مثل :

قال آخر :

هـــذا الذي آمـــلُ تَعميـــرَهُ ... لِـدَفْعِ ما أخشى من الدهـــــــرِ

مـــا قال (لا) قط ولو قالَهَـــــا ... صامَ لها العشـــرُ من الشهـــــرِ

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

وبنو الريانِ لا يأتـــــونَ (لا) ... وعلى ألسنِهـــمْ خفَـــتْ (نعـم)

وقال آخر :

لَزِمْتَ (نعَمْ) حتى كأنَّكَ لم تكـــنْ ... بـ(لا)عارفاً في سالفِ الدهرِ والأممْ

---

[١] البصري – الحماسة البصرية ، ج٢، ص ٢٤٥

[٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٠

[٥] كعم كلبه : أسكته بأن شد فمه حتى لا ينبح .

[٣] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢

[٤] المصدر نفسه، ج١ ، ص ٧٢،٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنكرتَ (لا) حتى كأنَّكَ لم تكـــن سَمِعْتَ من الأشياءِ شيئاً سوى نعمْ[١]

وقد يختار لشعراء من عصر واحد بشكل متتال كما حدث في باب النسيب ،إذ اختار لعدي بن الرقاع ، وقيس بن الخطيم ، وأبي حية النميري ، وذي الرمة وكلهم من العصر الأموي[٢] .

وقد يختار لشعراء ينتمون إلى طائفة واحدة ، كاختياره من شعر الشعراء الصعاليك وهم : "السليك بن السلكة ، وعروة الصعاليك ، وعبيد بن أيوب بن ضرار ، وعمرو بن برامة الهمذاني ، وعروة بن الورد ، وأبو النشناش"[٣] .

وقد اختار في باب الرثاء لنساء شاعرات بشكل متتابع وهن : "الخنساء ، والفارعة بنت شداد ، وليلى الأخيلية ، وزينب بنت الطثرية"[٤] .

ونجده أحياناً يلتزم الترتيب الزمني وذلك حين بدأ برثاء الرسول ثم رثاء الخلفاء[٥] .

إن صاحب الحماسة البصرية قد التزم بمنهجه في الترتيب وأصاب محقق الحماسة الشجرية حين وصف اختياره بأنه اختيار واع تفرد به البصري .

---

[١] البصري – الحماسة البصرية، ج١ ، ص ١٦٨

[٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٤،٨٥،٨٦

[٣] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٠٩-١١٢

[٤] المصدر نفسه ،ج١ ، ص ٢١٨-٢٢٢

[٥] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٩٥ وما تلاها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- **التذكرة الفخرية** ، بهاء الدين المنشئ الإربلي (ت ٦٩٢هـ) :

مجموع شعري قدّمه بهاء الدين الإربلي في عصر الموسوعات الذي كان ينعت بالفترة المظلمة ، وقد حاول بهذا المجموع حفظ تراث الأمة من الضياع وسط الهجمات الشرسة للصليبيين والمغول على المسلمين ، وكتاب التذكرة الفخرية "ليس جمعاً أو إعداداً لقصائد شعرية، وإنما حفظ لمجاميع شعرية كان المؤلف يشعر بأهميتها ، ويحرص على الحفاظ عليها ، ويدرك أن محاولات الطمس بدأت تمتد إليها لتقتل روح الإبداع التي قدمتها الأمة ، وتقطع وشيجة التواصل التي بقيت تمدّ الأمة بروح الوفاء لكل فضيلة"[١] .

فالكتاب ثروة شعرية وافرة لملمت شتات شعر كثير لم نجده إلا فيه ، وقد رتبه صاحبه حسب معاني الشعر يقول : "ولما أحكمت الأيام في خدمته -فخر الدولة- عهود الوداد ، وحصل من طول الصحبة حُسن الاتحاد ، طلب أن أجمع له مجموعا مشتملاً على معانٍ من الأشعار ، ليشرفه بمطالعته ، وينوب عن حضوري إذا غبت عن خدمته"[٢].

إن تركيز الإربلي على ذكر المعاني يدل على اهتمامه بها ، وقد جاء ترتيبه للكتاب على النحو التالي :

١- وصف في الشباب والخضاب والمشيب .

٢- وصف في الغزل والنسيب .

٣- وصف في الخمر وما يتصل بها .

٤- في وصف الغناء وما يتعلق به .

٥- وصف في الربيع وأزهاره وما يلازمه .

٦- وصف في السحاب والغيث والبرق والمياه وما يتصل بذلك .

---

[١] بهاء الدين المنشئ الإربلي - التذكرة الفخرية ، مقدمة المحقق ، ص ١٣ .
[٢] المصدر نفسه ، ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- وصف في الليل والنجوم والمجرة ، والهلال والصبح والشمس وما يتعلق بذلك .

٨- وصف في المدح والفخر والتهاني وما يضاف إليها .

وقد وضّح الإربلي سبب ابتدائه بوصف الشباب "لأنه باكورة الحياة وإبان صفو العيش ، ووقت التمكن من الأغراض وزمن الطرب والغزل ، وفيه استقامة القوى الطبيعية وجريها على أحسن حالة وأتم انتظام ، والتصرف في ملاذ النفس ، واقتضاء الجوارح للحركات والنشاط على التمام"[١] .

ولما كان الشباب باكورة الحياة كان باكورة هذا المجموع أيضاً ، وقد ربط الشباب بالخضاب والشيب ، وهي ألفاظ تحمل التضادية في المعنى ولكن حقيقة الأمر غير ذلك ، إذ الإنسان لا يشعر بشبابه ولا يتحسر عليه إلا في أيام المشيب ، فالشباب والمشيب متلازمان يبكي الشاعر الأول ويمج الثاني ، أما الخضاب فذكره معهما لأنه شباب مستعار وغالباً لا يكون إلا في أيام الشيب .

والأوصاف التي حفل بها هذا المجموع تنقل لنا صورة حضارية لذلك العصر المفعم بوسائل اللهو والمتعة ، فالمعاني تتمحور في ثلاثة مرتكزات هي : الغزل ، والوصف ، والمدح . ويطغى الوصف على سائر المعاني وكأنه يريد أن ينمي روح الجمال في النفوس ، وربما ليبيّن أن شعر العصور المتأخرة التي لم يستشهد بشعرها لا يقل جودة عن شعر الأقدمين ، ولذلك مال في أكثر مجموعه "إلى أشعار المحدثين من أهل العصر إلا ما قل"[٢].

وقد أورد الإربلي الأشعار التي تحمل معاني متقاربة مثل ذكره لطيب الثغر في سبع عشرة مختارة متتالية[٣] .

وقد يختار أشعاراً لا تمت للمعنى الرئيسي بصلة وإنما لأن المعنى الدقيق للأبيات استخدم

---

(١) الإربلي - التذكرة الفخرية ، ص ٤٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣

(٣) المصدر نفسه ، ص (٥٧-٥٩) ، و(١٤١،١٤٢) وص ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أكثر من غرض مثل :

قال أبو الشيص :

وَقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ... متأخرٌ عنـــهُ ولا متقـــدمُ

ويعلق بقوله : البيت نقل من الغزل إلى المديح إلى الهجاء وأنا أذكر منه ما يتفق ، فمن ذلك في الغزل :

تركتُ فيكِ المُنـــى مُفرَقـــةً ... وأنـــتِ منهـــا بمَجْمَعِ الطُرقِ

ومثله في المديح :

إنَّ المكـــارمَ والمعروفَ أوديـــةٌ ... أحلَّكَ اللهُ منها حيـــثُ تَجْتمـــعُ

وقريب من هذا المعنى :

إن السماحـــةَ والمـروءةَ ضمَّنَـــا ... قبراً بمَـرْوَ على الطريقِ الواضحِ

ومثله في الهجاء :

أنتُمْ قَرارةُ كلِّ معـــدنِ ســـوْءةٍ ... ولكـــلِّ سائلـــةٍ تسَيـلُ قَـرارُ[1]

وكذلك فعل في باب المديح إذ بدأ باختيار ثلاث مختارات في مدح الرسول تحمل معاني متقاربة[2].

وقد يختار معنى ثم يختار ضده مثل قول المتنبي:

وكَـــمْ لظلامِ الليلِ عِنْدَكَ من يـــدٍ ... تُخَبِّـــرُ أنَّ المانويـــةَ تكذِبُ

ضده لابن منير الطرابلسي :

ما مانَ مانيّ لولا ليـــلُ عارضِـــهِ ... مـــا شَدَّ حَبْلَ المنايـــا بالأمانـــيِّ[3]

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٦١ ، ٦٢ ، و ص ٩٨–١٠٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٨ . وانظر ص ٨٤

مان : كذب

المانوية : قوم ينسبون إلى ماني . وهو رجل يقول : الخير من النهار ، والشر من الليل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يوالي اختيار قصائد تشترك في الوزن والقافية مثل قول ابن قلاقس :

قلـــــتُ لهُ لَمّا عَدا طـــــورُهُ ... والقلبُ مني في العذابِ الأليمِ

رِفْقاً بقلبـــي إنّنـــــي شاعـــــرٌ ... منْ حبّـــهِ في كـلّ وادٍ يهيمُ

وعلى هذا الوزن والروي لآخر :

يسطو على ذُلي وضَعْفي معـــا ... بحُســـنِ لحظٍ وبلفظٍ رخيـمِ

ذا فاتِـكٌ عَضبٌ وذا فاتِـــــنٌ ... عَـذبٌ صحيحٌ ذا وهذا سقيمُ

وقلت :

أَرَّقَنـــي هَجرٌ غَزالِ الصريـــمِ ... فبتُّ إذ بتُّ بليـلِ السّليـــمِ[1]

إن ترتيب الإربلي لمختاراته كان ترتيب شاعر عالم بدقائق الشعر يبحث عن المشترك بين الأشعار ليجعلها معاً . وكانت المعاني المعيار الأساسي في ترتيبه الشعر ، وحرص على انتقاء معان عصرية لتتناسب وهدفه من الكتاب ، وهو "أن يجمع شعر المتأخرين لقرب معانيهم وحسن مذهبهم في تلطيف الألفاظ والمعاني ... ، ولأن الجيد من أشعار الجاهلية ومخضرمي الإسلام ، ومخضرمي الدولتين والمحدثين لا يخلو منها كتاب أو مجموع ، وأن المصنفين لم يغادروا منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها"[2] .

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ وانظر ص ١١٢ ، ١١٣ ، وانظر ص ١٤٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- التذكرة السعدية ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي (ت ٧٠٦هـ)

حال هذا المجموع الشعري كحال سابقيه إذ يتخذ من الترتيب حسب المعاني الشعرية إطاراً عاماً له . ويصح أن نطلق عليه كتاب الحماسة السعدية لأخذه من الحماسات الثلاث ، وجريه على طريقة أبي تمام في تقسيم الأبواب ، وقد صرّح بذلك في مقدمته : "التمسوا مني أن أجمع مجموعة متضمنة لطائف شعر المتقدمين ، وطرائف قريض الجاهليين والمخضرمين في فنون شتى ، فرأيت التماس ما اقترحوا عليّ أولى وأحرى ، فأقدمت على اختيار ما هو نفيس المعنى ، بارع اللفظ والفحوى ، مختار السبك ، مستقيم الوصف ، جميل المطلع ، حسن المقطع ، مادة للمترسل والشاعر متكفل بشحذ الذهن ، وجلاء الخاطر ، من الحماسات الثلاث التي وقعت إليّ ، حماسة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وحماسة أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، وحماسة الشيخ أحمد بن فارس رحمهم الله ، مضيفاً إليها لطائف أشعار المحدثين وطرائف قريض المتأخرين في كل آخر باب"[1] .

في هذه المقدمة ملاحظتان على منهج العبيدي في ترتيب كتابه :

الأولى : أنه متأثر بالحماسات الثلاث خاصة حماسة أبي تمام كما سنلاحظ .

الثانية : أن اهتمامه بالمعنى واكب اهتمامه بالزمن فحاول ترتيب الشعر زمنياً ، ودليل ذلك تقديمه حماسة أبي تمام لأنه أسبق زمنياً من ابن فارس وأبي هلال العسكري ، وإضافته لشعر المحدثين والمتأخرين جعله في آخر كل باب لتأخرهم زمنياً . فهل التزم بذلك تماماً ؟

جاءت أبواب الكتاب على النحو التالي :

١- في الحماسة والافتخار .

٢- الأدب والحكم والأمثال .

٣- النسيب .

---

[1] محمد العبيدي – التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، ص ٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- النسيب . ٤- المدح والاستجداء والاستعطاف والتقاضي .

٥- المراثي . ٦- الهجاء .

٧- الإخوانيات . ٨- التهاني .

٩- الاعتذار . ١٠- الصفات .

١١- المعاتبات والشكاية من حوادث الزمان والصبر عليها .

١٢- الملح . ١٣- في الأشياء المتفرقة . ١٤- الدعاء .

هذه الأبواب في معظمها كأبواب حماسة أبي تمام إلا أن المصنف أضاف أبواب : (الإخوانيات ، والتهاني ، والاعتذار ، والمعاتبات ، والأشياء المتفرقة ، والدعاء) وحذف بابي السير والنعاس ، ومذمة النساء .

وكانت اختياراته متقاربة المعاني أو متضادة مثل قول القاضي التنوخي :

خُذ الفَلْسَ من كَفِّ اللئيمِ ، فإنَّهُ أعزُّ عليهِ من حُشاشَةِ نفسِهِ

ولا تَحْتَشِم ما عِشْتَ من كُلِّ سِفْلَةٍ فليسَ لهُ قدرٌ بمقدارِ فَلْسِهِ

فعارضه بعضهم بقوله :

صُنِ النفسَ عن ذُلِّ السؤالِ ونَحْسِهِ فأحسنُ أحوالِ الفتى صَونُ نفسِهِ

ولا تتعرَّضْ للئيمِ ، فإنَّهُ أذَلُّ لديهِ الحرُّ من شَطْرِ فَلْسِهِ[1]

وأحياناً يذكر أبياتاً يرد فيها شاعر على آخر فيكون المعنى مترابطاً . وتشترك الأبيات في الوزن والقافية[2]. وحتى الكلمات تكون متقاربة .

وعند استعراض أسماء الشعراء الذين اختار لهم العبيدي لم نجده قد التزم منهجاً تاريخياً

---

(١) العبيدي - التذكرة السعدية ، ص ٢٧٤ . وانظر ص ٧٨

(٢) المصدر نفسه ، ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التزاماً تاماً كما ذكر محقق الكتاب ، بقوله : "يمكن اعتبار منهج التذكرة منهجاً تاريخياً ، ومعنى ذلك أنها تبدأ باختيار كلام المتقدمين من الجاهليين ، والمخضرمين ، والإسلاميين ، والمحدثين ، فالمتأخرين إلى عصر المؤلف أو ما يقرب منه" [١] .

ففي الباب الأول اختار المصنف لأربعة شعراء جاهليين ثم لستة شعراء إسلاميين ثم يعاود الاختيار لشاعرين جاهليين (تأبط شراً ، وودّاك المازني) ثم يعاود الاختيار لإسلاميين ، ثم لثلاثة شعراء جاهليين ، ثم لشاعرين أمويين (قراد بن عباد ، وأوس بن ثعلبة) ثم يعود ليختار لجاهليين وإسلاميين ثم يختار لشعراء من العصر العباسي ، ثم من عصره . ولكن دون التزام تام بالترتيب الزمني . فمثلاً يختار للغزي (ت ٥٢٤هـ) قبل ابن نباته السعدي (ت ٤٠٥هـ) ، ويختار لأبي لؤلؤ (ت ٦٨٠هـ) قبل الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)[٢].

وكذلك الحال في البابين التاليين إذ بدأ باب الأدب[٣] بالاختيار لشعراء من مخضرمي الدولتين مثل المرار بن سعيد الفقعسي ثم اختار لشعراء جاهليين وإسلاميين . ومثل هذا الخلط وقع في باب النسيب[٤] إذ اختار للصمة القشيري (أموي) قبل أبي الطمحان القيني (إسلامي) ، واختار لبكر بن نطاح (عباسي) قبل النميري (أموي) ثم اختار لأبي دهبل الجمحي (إسلامي) .

نستطيع القول إذن أن العبيدي لم يلتزم الترتيب الزمني ولعله نظر إلى الشعر من منظار القديم والحديث ، أي من وجهة نظر نقدية أرادت الخروج على المعايير النقدية المتعارف عليها من تقديس القديم والاحتجاج به ، فجعل أول أبوابه يضم هذا الشعر الذي يحتج به وآخر أبوابه يضم شعر المتقدمين والمحدثين .

---

[١] العبيدي – التذكرة السعدية ، ص ١٩
[٢] المصدر نفسه ، ص ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٦
[٣] المصدر نفسه ، ص ١٧٨ – ١٨٢
[٤] المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ – ٣٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١- نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، شهاب الدين أبو العباس العنابي (ت ٧٧٦هـ) :

قسم شهاب الدين أحمد كتابه إلى سبعة أبواب ، كل باب جاء في فصول وفروع جاءت على النحو التالي :

الباب الأول : في المدح ومكارم الأخلاق :

ويحتوي على ثلاثين فصلاً .

الباب الثاني : في الإخوانيات

وينقسم إلى ستة عشر فصلاً .

الباب الثالث : في الحكم والآداب

الباب الرابع : في الغزل والنسيب

الباب الخامس : في التشبيهات :

وهناك معان كثيرة تتفرع عنه .

الباب السادس : طبقات الناس : الملوك والسلاطين والوزراء .

الباب السابع : في الألغاز والتصاحيف والمعمى وغرائب الصنعة وفنون الشعر .

إن كثرة التقسيمات والتفريعات تدل على فهم المصنف للشعر فهماً مميزا،مما جعل أبيات كل فصل من فصوله متقاربة المعاني[1] . بل نستطيع القول إن بينها وشائج قوية. مثل قول الشاعر:

وَمُهَفْهَفٍ بِعيُنكِ روضةُ وَجْهِهِ ... كما يُنَمِّقُهُ الربيعُ وينسجُ

فالخدُّ وَرْدٌ واللواحِظُ نرجِسٌ ... والثغرُ نَورٌ والعُذارُ بَنَفْسَجُ

---

[1] العنابي - نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ٣٨٨ ، وانظر ص ١٣٢،٣٨٨،٣٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن المعتز :

في وجهِـهِ كلُّ ريحـانٍ تُراحُ بِهِ مِنّا قلوبٌ وأبصارٌ وأفـــواهُ

النرجسُ الغَضُّ عيناهُ وطرتُـــهُ بنفسِـجٌ وجَنْيُ الوردِ خَـــدّاهُ[1]

إن هدف المصنف في أن يكون كتابه عونا لكتاب الإخوانيات ، ومساعداً لملقي المحاضرات أوحى إليه باختيار أشعار تحمل المعان التي تلزمهم مثل : الأشعار التي تتناول مكارم الأخلاق ، والأشعار التي في الإخوانيات وتلك الخاصة بالملوك والسلاطين وكذلك شعر الحكم والآداب .

[1] العتابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ٣٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، تصنيف جنيد بن محمود بن محمد (انتهى من تصنيفه هذا ٧٩٠هـ).

هذا الكتاب مجموع شعري خصصه صاحبه لفن واحد ؛ هو فن وصف الربيع والأشجار ، والأزهار ، والثمار ، مما يدل على اهتمام الشعر العربي بمظاهر الطبيعة منذ العصر الجاهلي إذ يختار المصنف لثلاثة شعراء جاهليين ، وشاعرين مخضرمين ، وشاعر إسلاميّ وخمسة شعراء أمويين ، وأحد عشر شاعراً من مخضرمي الدولتين ، واختار من أهل القرن الثالث اثنين وعشرين شاعراً ، وستة وثلاثين شاعراً من أهل القرن الرابع ، وثلاثة عشر شاعراً من أهل القرن الخامس ، وستة شعراء عاشوا في القرن السادس ، وتسعة من أهل القرن السابع ، وشاعرين من القرن الثامن هما المصنف وابنه .

وقد ذكر المصنف شعراً لشعراء لم تقف التراجم عندهم أمثال : محمد بن عبد الله الحسيني، وأبي عبد الله القدسي ، والقاضي أوحد الدين أبي البدر بن الربيع ، وسعادة الحمصي ، وابن عبديل ، وكردوس بن مزينة ، وعلاء الدين الغالي ، هذا بالنسبة للشعر المنسوب ، وهناك الكثير من الشعر غير منسوب بلغ ثلاثمائة وثلاث قطعة .

وما يهمنا من هذه الأرقام هو دلالتها على تركيز المصنف على الاختيار من شعراء القرنين الثالث والرابع ، إلى جانب اختياره لشعر شعراء جلهم من الشرق ، إذ لم يختر إلا لشاعرين من أهل الأندلس هما : ابن خفاجة ، وأبو القاسم بن هذيل الأندلسي ، وأبو القاسم هذا غير معروف . وكأن صاحب الاختيار قصد إظهار فضل الشرق ومكانته في الفن الوصفي ، ليرد على من قصر إجادة الفن الوصفي على أهل الأندلس أمثال الحميري في كتابه (البديع في وصف الربيع) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء الكتاب في ثلاثة أقسام : القسم الأول جعله في ثمانية أبواب هي :

١- باب صفة الربيع وتنزه العين في نقشه البديع .

٢- فيما يُحث على إدراك زمانه وانتهاز العيش في إبانه .

٣- في الرياض المبهجة والمروج المونقة .

٤- في تغني الأطيار على الأفنان ، وما يهيج صبوة العاشق الأسوان .

٥- في استنشاق الهواء وتنسّم الرياح ، وما تهتز به القلوب والأرواح .

٦- في البرق ولمعانه ، وما يبدو من حاشية أردانه .

٧- في الرعد والمطر والسحاب ، وتهطال دمعه على الآكام والظراب .

٨- في الجداول والبرك والغدران والأنهار ، وسقوط الطل والندى على أوراق الأشجار.

أما القسم الثاني فقد تضمن سبعة عشر باباً ، وهو في الرياحين والأزهار :

١- في الأكمة والأنوار	٢- في النرجس	٣- في البنفسج
٤- في الورود	٥- في المنثور	٦- في الياسمين
٧- في السوسن	٨- في الريحان	٩- في الآذيون
١٠- في الشقائق	١١- في النيلوفر	١٢- في الآس
١٣- في النمام	١٤- في الزعفران	١٥- في الخيري
١٦- في الأقحوان	١٧- في أزواج من نبات شتى	

وأما القسم الثالث ، في الأشجار والفواكه والثمار وقد جاء في ستة عشر باباً :

١- في السرو والصنوبر والبان	٢- في السفرجل
٣- في التفاح ٤- في الكمثرى	٥- في الأترج
٦- في النارنج	٧- في الشمام والليمون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- في الكرم والعنب ٩ - في النخيل والبسر الرطب

١٠- في الموز والتين . ١١- في المشمش والخوخ والإجاص

١٢- في الفستق واللوز والجوز والشاه بلوط

١٣- في الرمان والتوت ١٤- في العُناب والنبق والزعرور

١٥- في البطيخ وما يتبعه ١٦- في أصناف متفرقات

لقد اعتمد المصنف الموضوع أساساً للتقسيم ، فكل باب يحوي أشعاراً في موضوع واحد ، أو في موضوعات بينها صلة كأن تكون من أصل واحد مثل باب الكرم والعنب ، وباب (النخيل والبسر والرطب) .

أو تشترك معاً في اللون مثل (الشمام والليمون) ، أو تكون ثماراً ذات قشور مثل الفستق واللوز والجوز والشاه بلوط .

وأحياناً تكون معاني الأبيات متناقضة رغم أنها في موضوع واحد مما دفعه لأن يجعل لكل باب تفريعات جزئية . ومن المعاني المتناقضة ذكره لأبيات تصف الإشراق على الأوراق ، وأتبعها بأبيات تصف احتجاب الشمس بالغمام[١].

ومنه ما قيل في وصف الريح الشمالية ، ثم ما قيل في وصف الريح الجنوبية[٢] .

وكذلك الحديث عن التفاؤل بالنرجس ، ثم ذكره باب ذم النرجس[٣].

ومنه تفضيل البنفسج وتعاطيه بين الأحباب ، ثم ذكر أبياتاً في ذم البنفسج[٤] .

---

(١) جنيد بن محمود بن محمد - حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، ص ٩١،٩٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ، ١١٨

(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٢،١٩٥

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠،٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمصنف لا يتبع الترتيب الزمني فمثلاً يختار لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ثم الحسن بن وهب (٢٥٥هـ) ثم ابن الدمينة (١٨٠هـ) ثم أوس بن حجر الكندي (ت ٢ق.هـ)[١] .

وهو يختار للشعراء أكثر من مرة ، إما بشكل متتالٍ مثل اختياره لزهير المصري[٢] وللرسني[٣] . أو بشكل متقطع مثل اختياره للكافي أبزون العُماني[٤] ، وجمال الدين الصرصري[٥].

والمصنف لا يسير على منوال واحد في مختاراته من حيث الطول والقصر ، إذ تطول هذه المختارات أحياناً فتصل إلى اثنين وعشرين بيتاً[٦] ، وقد تقصر فتكون بيتاً واحداً[٧] ولكنها على العموم تميل إلى القصر .

ويبقى هذا المصنف دليلاً على حب العربي للطبيعة وامتزاجها بإحساسه ، وارتباطها بمشاعره ، فالشاعر يذكر السوسن فيتذكر حبيبه المسمى به ، ويتذكر الوصال عنده[٨] ، وحين يرى الشقائق يتذكر أحبابه فيسر برؤيته[٩] ، ولكن لا يسعد برؤية السفرجل لأنه يذكره بالسفر والفراق[١٠].

---

(١) جنيد بن محمود – حدائق الانوار وبدائع الاشعار ، ص ١٣٠ ، ١٣٢
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٠ ، وانظر ٥٨،٦٨،٦٩،٧٢،٧٣،٧٦،٨٤،٩٧،٩٩
(٣) المصدر نفسه ، ص٦٠،٦١
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨،٥١
(٥) المصدر نفسه ، ص٤٠،٥٥
(٦) المصدر نفسه ، ص٣٤٨،٣٥٣،٣٥٥
(٧) المصدر نفسه ، ص٢٢٣،١٨٥،٦٨،٤٤،٢٠٩،٣٥٠
(٨) المصدر نفسه ، ص٢٣٠،٢٣١
(٩) المصدر نفسه ، ص٢٥١،٢٥٢
(١٠) المصدر نفسه ، ص٢٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسب التعاقب الزمني

الحماسة المغربية ، عبد السلام الجراوي التادلي (ت ٦٠٩هـ) :

وهو مختصر لكتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، وجاءت هذه الحماسة ضمن كتب الحماسات وهي شبيهة بها في اعتمادها التقسيم حسب المعاني كإطار عام ، ولكن المؤلف توخى في كل باب ترتيب أشعاره ترتيباً زمنياً ولذلك آثرت أن يكون من الكتب التي اتخذت من التعاقب الزمني معياراً لترتيب أشعارها .

جاء الكتاب في جزأين كبيرين على النحو التالي :

الجزء الأول ضم : ١- باب المدح : أ - مدح النبي ب- سائر الأمداح

٢- باب الفخر

الجزء الثاني ضم : ١- باب المراثي ٢- باب النسيب ٣- باب الوصف

٤- باب الأمثال والحكم ٥- باب الملح

٦- باب ذم النقائص ٧- باب الزهد والمواعظ

لقد بدأ الجراوي كتابه بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول إنه لم يحذف منه شيئاً تبركاً بتفصيله وجملته[١] .

جاء تين في العصر الحديث وجعل للنقد ثلاثة معايير كبرى هي : الجنس ، والعصر ، والبيئة[٢] ، وقد سبقه الجراوي إذ جعل لترتيب الأشعار -التي هي نقد ضمني- ثلاثة معايير كبرى هي : المعنى العام ، العصر ، البيئة .

أما المعيار الأول : فقد وزّع الأشعار في كل باب حسب المعنى العام للأبيات.

---

[١] عبد السلام الجراوي التادلي - الحماسة المغربية ، ج١ ، ص ٣٧

[٢] ستانلي هايمن - النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ج١ ، ص ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المعيار الثاني : فهو ما أطلقت عليه اسم التتابع الزمني أو التعاقب الزمني .

أما المعيار الثالث : فقد تحقق عند المصنف حين اختار لشعراء أهل المشرق أولاً ثم لشعراء أهل المغرب والأندلس ، وهذا الفصل ناتج عن تقدم الأول على الثاني زمنيا ، أو نابع من إحساس الجراوي باختلاف نمط الشعر هنا وهناك لاختلاف بيئة كل فريق . ويكون الجراوي بذلك قد سبق تين في التلميح لمعيارين من معاييره وهما : (العصر والبيئة) .

وبعد تتبع شعراء الحماسة زمنيا وبيئيا وجدنا أن الكاتب قد التزم تماماً بذكر شعراء المشرق أولاً ثم شعراء أهل المغرب والأندلس تاليا ولم يخرج عن ذلك في كل الأبواب .

أما الترتيب الزمني فقد تمسك به ولم يحدث الخرم إلا في المواضع التالية :

١- في باب مدح الرسول صلى الله عليه وسلم : اختار لأبي الطفيل عامر بن واثلة[١] (وهو أموي) قبل العباس بن مرداس وكعب بن زهير ، ومازن بن الغضوبة وغيرهم من الشعراء الجاهليين والإسلاميين .

٢- في باب سائر الأمداح : أدخل شعر الشماخ[٢] (مخضرم) بعد الأخطل وجرير وذي الرمة وكثيّر ثم عاد إلى الترتيب الزمني . وأخطأ حين جعل شعر أبي الغول الطهوي[٣] بعد شعر بكر بن النطاح الحنفي.

٣- في باب الفخر[٤] : بدأ بشعراء إسلاميين مثل (علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وحسان بن ثابت) ،ثم عاد للعصر الجاهلي فاختار لعمرو بن كلثوم ، وامرئ القيس وتابع الترتيب الزمني الملتزم . وربما يكون هذا التقديم للشعراء الإسلاميين بدافع ديني بحت إذ هو وكما قال

---

(١) الجراوي التادلي – الحماسة المغربية ، ج١ ، ص ٦٢

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٦

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٨٩

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٦٧-٥٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مقدمته يتبرك بالأشعار ذات المدلول الديني ، ولذلك بدأ باب المديح بمدح الرسول ، وباب الرثاء بما رُثي به الرسول ، وباب النسيب[١] بشعر كعب وحسان لما فيه من مدح الرسول .

٤- في باب النسيب : أدخل شعراً للنابغة بعد شعر مالك بن أسماء وقد علل ذلك بقوله "من جيد هذا الشعر وقديمه"[٢] إذ إن معنى بيت مالك قد ذكره بشعر النابغة فساقه في هذا المجال ، ولكنه ليس في سياقه الزمني ، بل في سياقه التذكري إن جاز هذا التعبير ، ودل على المراد .

٥- أما في باب الأوصاف[٣] : فقد ذكر أبياتاً لعبد القيس البرجمي (جاهلي) بعد عمر بن معد يكرب والمرزد وهما مخضرمان.

٦- في باب الأمثال والحكم[٤] : اختار لصالح عبد القدوس (ت ١٦٧هـ) بعد ابن أبي سهل الخشني (٤٠٦هـ) .

إن هذا الانزياح لا يمثل شيئاً مقارنة بضخامة هذا المختار . ويجدر بنا الفخر بهذا العمل الذي يدل على سعة اطلاع صاحبه .

لقد التزم بعض المصنفين التعاقب الزمني بشكل جزئي كما فعل الثعالبي في الباب الثاني من كتابه اللالئ والدرر[٥] ، إذ رتب الشعر فيه ترتيباً زمنياً ولكن ليس لصاحب القصيدة ، وإنما حسب زمن من قيلت فيه القصيدة فبدأ في ذكر آدم ، ثم نوح ، ثم ابراهيم ، ... وهكذا إلى أن وصل إلى النبي المصطفى عليه السلام .

وحاول صاحب الحماسة الشجرية أن يرتب الشعر زمنياً ، ولكن ترتيبه كان يداخله الخلل

---

(١) الجراوي – الحماسة المغربية ، ج٢ ، ص ٨٩٥
(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٨٨
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٨٨
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٧٢
(٥) الثعالبي – اللالئ والدرر ، ص ٣٢ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاضطراب ، وذلك كذكره في باب الشدة والشجاعة شعراً ليحيى الآرمني[١] (ت٢٤٩هـ) مع الشعراء المخضرمين .

أو اختياره لشعر عامر بن طفيل[٢] (ت ٦٦هـ) بعد أبي الخطار الكلبي (ت ١٣٠هـ) .

وقد التزم في باب المراثي الترتيب الزمني إلا أنه أخل به حين ذكر رثاء الشاعرات[٣] مثل الخنساء ، والفارعة ، وليلى الأخيلية بعد الشعراء الأمويين .

وكذلك وقع الخلل في باب المديح إذ اختار للبيد وسلم الخاسر وجعلهما بعد الفرزدق وابراهيم بن هرمة[٤] .

أما في الأبواب الأخيرة القصيرة[٥] فكان التزامه بالتعاقب الزمني أكثر ، وقد أفرد باباً لشعر الغزل الخاص بجماعة من شعراء النصف الثاني من القرن الخامس .

ويأتي كتاب "رايات المبرزين وغايات المميزين" ، ليلتزم التزاماً شبه تام التعاقب الزمني والترتيب البيني ، وقد آثرت تناوله في القسم التالي لأن التقسيم البيني جاء أظهر وأقوى .

---

(١) ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ج١ ص ٨٣

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٠٤،٣٠٥،٣٠٨

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٧٢ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٥٧٧-٥٩٣ ، ص ٦٣٣-٦٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسب البيئة

بدأ النقد الحديث المبني على دراسة البيئة بكتاب العلم الجديد للناقد فيكو (١٧٣٥م)، ثم تطور فيما بعد على يد منتسكيو في كتابه (روح القوانين) ١٧٤٨م ، فقد قال فيه بفكرة الوسط حين جعل جو المنطقة وطبيعة الأرض ضمن العناصر المكونة للأمة . إلى أن جاء كولردج بكتابه (السيرة الأدبية) ١٨١٧م ، فتحدث عن علاقة الأدب بالبيئة . وقد جعل تين (١٨٢٨-١٨٩٣م) ثلاثة معايير كبرى للنقد هي : الجنس ، والعصر ، والبيئة ، ومما قاله : "فالرجل ثمرة من ثمرات البيئة التي ولد وتربى فيها"[١] .

وإذا كان تين قد نظر إلى البيئة على أنها عامل من عوامل النقد ، فإن شبنجلر يرى أنها كل شئ في العملية الإبداعية[٢] . ولعله من هنا آمن الجغرافيون بنظرية (الحتم الجغرافي) Determinisme geographique والمقصود بها الأثر الحتمي للبيئة في الكائن الحي[٣] .

ولعل حسنة النقد الحديث تكمن في تقنينه لأبواب المعرفة والثقافة وإطلاق المسميات لها ، إذ الأدب العربي يحوي ما جاؤوا به ولكن بشكل متناثر . فلقد أدرك مصنفو كتب الاختيارات أثر البيئة ، ولذلك رأينا كتباً خاصة بشعر شعراء الأندلس لما بين هذا الشعر من وشائج تربطه ، ولعل هذه الوشائج نابعة من ارتباطهم ببيئة واحدة . ومن هذه الكتب : التشبيهات من أشعار أهل الأندلس للكتاني الطبيب ، وكتاب المختار من شعر شعراء الأندلس لا بن الصيرفي ، وكتاب زاد المسافر وغرة محيّا الأدب السافر لأبي صفوان بن ادريس .

---

(١) ستانلي هايمن – النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ج١ ، ص ٢٤-٢٧

(٢) عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ٢٧١

(٣) ابراهيم سلامة – تيارات أدبية بين الشرق والغرب (خطة ودراسة في الأدب المقارن) ، ص ٢٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) :

إن معايير تين الثلاثة ظهرت في هذا الكتاب الذي جاء في قسمين على النحو التالي :

القسم الأول : مختص بجزيرة الأندلس وهو مقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : مختص بالمغرب الأقصى من جزيرة الأندلس .

الثاني : مختص بالمغرب الأوسط من جزيرة الأندلس .

الثالث : مختص بشرق الأندلس .

الرابع : مختص بجزيرة يابسة .

وهناك فصل لمن تيقن أنه من أهل الأندلس وتشكك في بلده .

القسم الثاني : مختص ببر العدوة . وهو قسمان :

الأول : مختص بالمغرب الأقصى .

الثاني : مختص بالمغرب الأوسط من بر العدوة .

القسم الثالث : المختص بإفريقية

القسم الرابع : المختص بجزيرة صقلية .

إن مثل هذا التقسيم لا ينتج إلا عن عقلية منظمة تدرك اختلاف المناطق عن بعضها اجتماعياً وثقافياً وتاريخياً ، وهذا الاختلاف ينعكس على أدب هذه المناطق . وقد جاء هذا الإدراك عملياً ، فمن ناحية اجتماعية :

يفرد المصنف شعر الملوك عن شعر الوزراء وعن شعر الأعيان فيجعل لكل طبقة قسماً مستقلاً .

ومن ناحية ثقافية : فقد فرّق ابن سعيد الأندلسي بين الكتّاب ، وعلماء الشريعة ، وعلماء العربية ، والأدباء . وهذا التفريق نابع من إحساسه بأن اختلاف الثقافة ونوعيتها يؤثران تأثيراً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالغاً على الشعر ومعانيه وجودته .

أما من ناحيـة تاريخيـة : فكـان يبـدأ فـي كـل قسـم بشـعراء المائـة الرابعـة وينتهـي بالمائـة السابعة ، وقد عمد إلى هذا الترتيب "لتتنبه به المحاضرة ، وتتزين به المذاكرة"[١].

ومما يعضد هذا الطـرح – أن ابـن سـعيد كـان يـدرك أثـر الاختـلاف الإجتمـاعي والثقـافي والتاريخي – تلك الكلمـات التـي كـان يبـدأ بهـا أحيانـاً قبـل الاختيـار مـن شـعر شـاعر مثـل قولـه (القاضي الفقيه أبو الفضل جعفر بن محمد بن الشيخ النحوي اللغـوي أبـي الحجـاج الأعلـم ، جـده الأعلم صاحب الشروح المشهورة على شعر المتنبي وغيره ، ونشأ أبو الفضل بإشبيلية"[٢] .

فهذه لا تعد ترجمة بقدر ما هي لمحات توافق معيـار المصنـف فـي التقسيم للأشـعار التـي اختارها ، خاصـة وأنه يؤكد في مقدمته على أن الكتاب مجمـوع شـعري ، "فهـذا مجمـوع أوردت فيه من غرائب شعر المغرب ما كان معناه أرق من النسيم ، ولفظه أحسن من الوجه الوسيم"[٣] .

---

[١] ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٣٣

[٢] المصدر نفسه ، ص ٦٣ ، وانظر ص (٤٠-٤٢) ، (٤٨-٥٢) .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٣١،٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير مبوبة

١- **المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام** ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

كان ترتيب وتقسيم هذا الكتاب من عمل المحقق يقول : "فجمعتها كلها في كتاب ، وقسمتها إلى قسمين : قسم يمثل الأدب الجاهلي وما يشبهه ، وقسم يمثل العصر العباسي وما يشبهه"[١] .

وما يهمنا من الطرائف القسم الثاني الذي فيه اختيار الجرجاني من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام ، وهذا الشعر المختار لم يخضع لتبويب موضوعي ، أو زمني ، أو بيني . ويتمثل منهج الجرجاني في اختيار أبيات من قصائد دواوين الشعراء الثلاثة ، وكان أقصر اختيار بيتاً واحداً وأطوله ثمانية عشر بيتاً[٢] .

وحال الجرجاني في ذلك حال النقد العربي القديم الذي كان في جملته نقداً يتصل بالجزئيات ولا يخرج عنها إلا قليلاً ، فقد كان محوره غالباً البيت والعبارة ، بحيث يمكن أن نقول : "إن نشاطهم النقدي كان أقرب إلى البلاغة منه إلى النقد الخالص"[٣] .

فالنقد القديم قد اهتم بوحدة البيت واستقلاله ، فابن سلام يعجب بالأبيات المقلدة المشهورة التي تستغني بنفسها[٤] ، وأصبح المثل السائر عنوان الجودة وميدان التسابق بين الشعراء[٥] ، وإذا وقعت الأمثال السائرة في شعر شاعر ما قضي له بالفلج والظفر والفوز[٦] .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص (د) .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣-٣٠٥
(٣) شوقي ضيف – في النقد الأدبي ، ص ٣١
(٤) ابن سلام – طبقات فحول الشعراء ، ج١ ، ص٣٦٩-٣٦٨ .
(٥) ابن أبي عون – التشبيهات ، ص ١ ، ٣ . وانظر القاضي الجرجاني–الوساطة بين المتنبي وخصومه،ص ٣٣ وابن رشيق – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج١ ، ص٤٨
(٦) الجاحظ – البيان والتبين ج١ ، ص ٢٠٧ ، وانظر أبا هلال العسكري – الصناعتين ، ص ١٥٥. وانظر ابن وهب الكاتب البغدادي – البرهان في وجوه البيان ، ص ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يختر الجرجاني من كل قصائد الشعراء وإنما ترك الكثير من قصائدهم دون أن يختار منها شيئاً ، وقد نوه المحقق وأشار إلى ذلك بقوله : "وقد أمعنت النظر في اختياره هذا ، فرأيته يغفل تارة ما هو أمثل بكثير مما اختاره واثبته ، وبحسبك أنه ذهب عليه من شعر المتنبي مقطعة حكيمة لا يعادلها شئ من حكم المتنبي في سائر شعره وهي :

صَحِبَ الناسُ قَبْلَنَا ذا الزمانا"[١]

هذا الترك لبعض الأبيات واختيار بعضها الآخر قد أحدث خللاً في المعاني في بعض الأحيان . ومن ذلك اختياره للمتنبي قوله :

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زُوحِمتْ ... وإذا نَطَقْتُ فإنني الجوزاءُ

وإذا خَفِيتَ على الغبيِّ فعاذرٌ ... أن لا تراني مُقلةٌ عمياءُ

وتذِيمُهُم وبِهِمْ عرفنا فَضْلَهُ ... وبِضِدِّها تتبينُ الأشياءُ[٢]

فعلى من يعود الضمير (هم) في [تذيمهم ، بهم] ؟

إن البيت الأخير هنا يفصله عن سابقه هنا خمسة عشر بيتاً في الديوان[٣] ونجد أن الضمير (هم) يعود إلى (اللؤماء) في البيت السابق له وهو :

مَنْ يظلمُ اللؤماءَ في تكليفِهِم ... أن يُصبِحُوا وهُم له أكفاءُ

وقد قدم الجرجاني المتنبي على الطائيين فاختار من شعره أولاً وحجته في ذلك أن أمثاله أسير ، ومعانيه فيها أغزر ، ومعارفه في الحكم والآداب أكثر"[٤] . ولعله في هذا التقديم كان صدى للحركة النقدية السائدة في ذاك العصر والتي دارت حول الشعراء الثلاثة الذين اختار لهم .

---

(١) الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ١٩٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ وانظر ص ٢٠٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧
(٣) المتنبي – الديوان ، ج١ ، ص ١٥،٢٢
(٤) الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- **مختارات شعراء العرب** ، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) :

قسم هبة الله مختاراته ثلاثة أقسام ، احتوى القسم الأول على اثنتي عشرة قصيدة وجاءت على النحو التالي :

الأولى قصيدة للقيط بن يعمر الأيادي . والثانية لقعنب بن أم صاحب ، والثالثة لأعشى باهلة ، والرابعة لحاتم الطائي والخامسة لبشامة بن الغدير ، والسادسة للنمر بن تولب ، والسابعة للشنفري والثامنة لكعب بن سعد الغنوي واختار قصيدتين للمتلمس ، وقصيدتين لطرفة بن العبد.

وفي هذا القسم لم يلتزم ابن الشجري بالترتيب الزمني ، إذ بدأ بشاعر جاهلي ثم أموي ثم جاهلي ثم إسلامي وعاد لشاعر جاهلي ، وهكذا ....

ولم يلتزم الترتيب الموضوعي ، إذ إن قصيدة لقيط في إنذار قومه غزو كسرى ، وقعنب هجا أناسا يناصبونه العداوة ، والأعشى رثى أخاه ، وأما بشامة فيحض قومه على حرب بني صرمة .

أما القسم الثاني فقد اختار ابن الشجري سبع قصائد لزهير بن أبي سلمى ، وست قصائد لبشير بن أبي خازم ، واثنتي عشرة قصيدة لعبيد بن الأبرص .

وجاء ترتيب قصائد كل شاعر -في غالب الأحيان- حسب مراحل حياة الشاعر . وقد كانت قصائد زهير في معنى واحد اشتهر به وهو المدح ، خاصة مدحه لهرم بن سنان والحارث بن عوف .

أما قصائد بشر فقد جاءت متنوعة المعاني من هجاء ، وفخر ، ومدح .

واختص القسم الثالث بقصائد للحطيئة ، فاختار ابن الشجري أربع وعشرين قصيدة من شعر الحطيئة ، توزعت بين الهجاء ، والمدح ، والرثاء ، والفخر ، والوصف دون ترتيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عمد ابن الشجري إلى التدرج في عدد ما يختار لكل شاعر ، ففي القسم الأول اقتصر على مختارة أو اثنين فقط ، أما في القسم الثاني فقد راوحت مختاراته بين ست قصائد واثنتي عشرة قصيدة . أما القسم الثالث فوصلت إلى أربع وعشرين قصيدة . إلا أن طول المختارة الواحدة كانت في القسمين الأول والثاني أطول منها في القسم الثالث ، فأقصر مختارة في القسمين الأولين بلغت اثني عشر بيتاً ، في حين وصلت في القسم الثالث إلى البيتين فقط .

إن عمل ابن الشجري في هذه المختارات يختلف تماماً عما صنعه في حماسته التي سبق ذكرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- **المختار من شعر شعراء الأندلس** ، علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي (ت٥٤٣هـ) .

حدد ابن الصيرفي إطاراً زمانياً ومكانياً لاختياراته كما وضّح ذلك في مقدمته "ولقد وقفت للعصريين من شعراء الأندلس على ما لا عذر في جحد إحسانه ، ولا حجة في ترك استحسانه ، فرأيت أن أعلق في هذا الجزء ما تيسر لي"[١] .

ولكن هذا الإطار كان فضفاضاً ، إذ المكان الأندلس بشكل عام دون تخصيص ، وأما الزمان فقد كان في الغالب عصر ملوك الطوائف .

إن ابن الصيرفي اختار شعراً يدور في معظمه في فلك المعتمد بن عباد ، فابن عمار ، وابن وهبون ، وابن لبانة أشهر الشعراء الذين التفوا حول المعتمد بن عباد ، كانوا أكثر الشعراء الذين اختار لهم ابن الصيرفي ، ولا ننسى ابن زيدون وزير آل عباد . وبدأ اختياراته بشعر للمعتمد بن العباد .

ولكننا لا نعدم ارتباط بعض الأبيات ببعضها لقرب معانيها .مثل قول المتنبي :

كَفَلَ الثَّناءُ له بِرَدِّ حياتِهِ ... لما انطوى فكأنَّهُ مَنْشُورُ

قال ابن جني : فكأنه أخذه من قول التيمي :

رَدَّت صنائِعُهُ عليه حَيَاتَهُ ... لمّا انطوى فكأنَّهُ منشُورُ

ولموسى بن عمران البصري :

طَوَتْهُ المنايا والثناءُ كَفِيلُهُ ... بِرَدِّ حياةٍ ليسَ يُخْلِقُها الدَّهرُ

---

[١] ابن الصيرفي – المختار من شعر شعراء الأندلس ، ص ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمهيار :

أفنى الثراءَ على الثناءِ لعِلْمِـهِ أنَّ الفناءَ مع الثنـاءِ خُلـــــودُ

ولابن القمي :

ماتَ الكِرامُ فأحيَتْهُمُ فواضِلُهُ كأنَّ مَبْعَثَ أهلِ الجُودِ مَولِدُهُ[١]

فلقد خرج ابن الصيرفي عن إطاريه العامين –الزماني والمكـاني– فاختار لشـعراء ليسوا من عصره ولا من أهل الأندلس ، والدافع كان تقارب المعاني .

وأحياناً يختار شعراً يعجبه فيه صعوبة القافية من ذلك قول ابن المعتمد لأبيه :

مولايَ أشكـــو إليـــكَ داءً أصبـــحَ قلبي به قَرِيحـــا

سُخْطُكَ قد زادني سَقـامـــا فابعثْ إلـــيَّ الرِّضا مَسيحـــا[٢]

وقوله مسيحاً من القوافي التي يتحدى بها .

وقد اختار بعد ذلك اثنتي عشرة مختارة أعجبته قوافيها ، وفيـه الكثير من الشـعر لشـعراء من عصور مختلفة ، ومناطق شتى مثل : الأعشى ، وأبي فراس الحمداني[٣] .

ومهما يكن من أمر تبقى هذه المختارات دون ترتيب .

---

[١] ابن الصيرفي – المختار من شعر شعراء الأندلس ، ص ٤٠ ، ٤١

[٢] المصدر نفسه ، ص٤١

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤٢–٤٤ ، ٥٢–٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤-منتهى الطلب من أشعار العرب ، أبو غالب ابن ميمون محمد المبارك (ت ٥٩٧هـ)

إنّ هذا الكتاب من جملة كتبٍ ألفت دون أن يعمد أصحابها لترتيب شامل ثابت ، يقول : " ولما أردت أن أجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء، وتقديم بعضهم على بعض لم يمكنني لأنه لم يتفق أني أقف على ذلك على ترتيب فأعذر في ذلك "[١]

وقد بدأ ابن ميمون الكتاب بقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) تيمناً واختار له خمس مختارات ، ثم اختار من شعر خفاف بن ندبة (جاهلي) ، وعمر بن قميئة (جاهلي) ، وعلقمة (جاهلي) ، ثم اختار من شعر توبة بن الحمير وليلى الأخيلية وعبد الله بن الحمير وهم من العصر الأموي ، ثم عاد فاختار لشاعرين من العصر الإسلامي وهما (النمر بن تولب ، وتميم ابن مقبل) ثم اختار لشعراء من العصر الجاهلي وهم : الأسود بن يعفر وزهير بن جناب وعنترة والحارث بن حلزة وعبيد بن الأبرص وأوس بن حجر ، ثم نجده بعد ذلك يختار لجميل بثينة وهو أموي ، وهكذا يستمر في أجزاء الكتاب الثلاث دون التزام بالترتيب الزمني .

وحين يختار من شعر شاعر ما فإنه لا يرتب الشعر المختار وفق الموضوع ، فمثلاً نجده يختار من شعر كثير قصيدة في مدح عبد الملك ، ثم قصيدة في الغزل ، ثم قصيدة في مدح بشر ابن مروان وأمه ، ثم في الغزل ثم قصيدة مدح ليزيد بن عبد الملك ثم أخرى في مدح أبي بكر ابن عبد العزيز [٢] ، إلا أن صاحب منتهى الطلب يسير على منوالٍ واحد في الاختيار لكل شاعر مختارات يذكرها تباعا ، ولكنها متفاوتة العدد . فقد اختار لشاعر قصيدة واحدة كما فعل حين اختار لبشامة بن الغدير ، والرحال بن مجدوح ، وزهير بن جناب ، وعمر بن كلثوم ، وعبد يغوث ، وبشامة بن عمرو ، وقد يختار أكثر من عشر مختارات للشاعر مثلما فعل حين اختار

---

(١) ابن ميمون – منتهى الطلب من أشعار العرب ، ص ١٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ ، ص ٣٢٦ ، وانظر ص ٥١،٥٣،٥٤،٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتميم بن مقبل ، وعبيد بن الأبرص ، وعروة بن أذينة ، وقد صرح بأنه " اختار أكثر شعر المتوكل الليثي"[١] أما كثير فقد اختار له خمس عشرة مختارة أنهى الكتاب بها وذكر أن الجزء الذي يليه يبدأ بقصيدةٍ لكثير .

وعلى الرغم من عدم اعتماد ابن ميمون منهجاً معيناً في الترتيب إلا أننا نجد أحياناً صلة بين الشعراء الذين يختار لهم ، فقد اختار من شعر توبة بن الحمير في ليلى الأخيلية قوله :

رماني بليلى الأخيلية قومُـــها ... بأشياءَ لم تُخْلَقْ ولَم أدْرِ ما هِيا

فليتَ الذي يلقى ويحزن نفسَها ... ويلقونَه بيني وبينَ ثِيابيـــــا

ثم أتبعه بشعر ليلى الأخيلية في رثاء توبة حين قالت :

نظرتُ ودُوني من عمايةِ منكِبٌ ... وبطنِ الركاءِ آيٌّ نظرةَ ناظـــرِ

ثم اختار لعبد الله بن الحمير قوله في أخيه :

تأوَّبَني بعارِمَةَ الهمـــــوم ... كما يعتادُ ذا الدينِ العزيـــــمِ

كأنَّ السهمَ ليس يُريدُ غيري ... وإن أَمســـــى له نبطٌ وروم [٢]

هذا التتابع جاء بسبب العلاقة التي تربط الشعراء ، وكذلك فعل حين اختار من شعر عروة ثم من شعر عبيد بن أيوب ثم الخطيب المحرزي والسمهري بن بشر وجحدر بن معاوية وطهمان ابن عمرو الكلابي والقتّال وقد ذكر أنهم من اللصوص [٣]، وهذا ينم عن محاولة ايجاد صلة بين شاعر وآخر، ولكن هذه الصلة لم تكن بين الأشعار إلا ما ندر ، ومن ذلك ما ورد من شعر للجران العود يهجو زوجته ثم أتبعه بشعر للرّحال بن مجدوح يهجو زوجته ، وقد بيّن أنّ

---

(١) ابن ميمون – منتهى الطلب ، ص ٢٣٤
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢، ٤٥، ٤٧
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ – ٢٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الرحال بن مجدوح النميري يهجو امرأته مثل ما هجا جران العود امرأته ، وكانا صديقين وليست من الألف المختارة " [١] قال جران العود :

طرّبنا حين راجَعنا أذكارُ وحاجاتٌ عَرَضْنَ لنا كِبارُ

يكادُ الموتُ يدركُهُ إذا ما بدا الثديانِ وانقلبَ الإزارُ

وقال الرحال بن مجدوح :

أقولُ لأصحابي الرواحَ فقَرّبُوا جُمالِيّةً وَجْنَاءَ توزَعُ بالنَّقرِ [٢]

ركّز ابن ميمون في مقدمته على " إدخاله قصايد المفضليات ، وقصايد الأصمعي التي اختارها ، ونقايض جرير والفرزدق ، والقصايد التي ذكرها أبو بكر بن دريد في كتاب له سماه الشوارد ، وخير قصايد هذيل ، والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات" [٣]، ولكن الشعر الذي ورد في الكتاب في معظمه كان مفضلياً . ولم يذكر ابن ميمون أنه استفاد من جمهرة أشعار العرب ، فقد اختار معلقتين (لعنترة وعمرو بن كلثوم) ، واختار مشوبتين (لكعب بن زهير، وتميم بن مقبل) ، واختار ثلاث مجمهرات (لنمر بن تولب وعبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازن) ، واختار ثلاث منتقيات (لعروة بن الورد ودريد بن الصمة والمرقش الأصغر)[٤] نخرج من كل ذلك إلى القول بأن صاحب منتهى الطلب لم يعمد إلى ترتيبٍ معين باعترافه هو، وإنما كان يشكل شعر الشاعر وحدة مستقلة يختار بعضاً منه ، وكان يصدر اختيار بعض الشعراء بالقول " المختار من شعر عروة "[٥] مثلاً .

---

(١) ابن ميمون – منتهى الطلب ، ص ١٠١
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ – ١٠١
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠
(٤) أبو زيد القرشي – جمهرة أشعار العرب ، ص ١٨٣ ، ٢١١، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٧٣، ٣٦٥، ٣٩٥ .
(٥) ابن ميمون – منتهى الطلب ، ص ٢٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥-**زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر** ، أبو صفوان ابن ادريس التحبيبي (ت ٥٩٨هـ) :

يصرّح مصنف الاختيار بعدم ترتيبه الأشعار وفق أي منهج يقول : "أما بعد حمد الله والصلاة على محمد نبيه وعبده ، فهذه جملة علقتها من أشعار المولدين ممن أدركته بعمري ، أو لحقه أهل عصري ، ولم أتوخ بالتقديم فيهم ولا التأخير إشعاراً بمزية أو تنقص تعصب ، بل ذكرتهم حسبما يسر لي والله المستعان"[١] .

إن هذا الكتاب من جملة الكتب التي ألفت لبيان فضل أهل الأندلس ومزيتهم ، نظراً للصراع الثقافي الذي دار بين المشرق والمغرب ، ولذلك قصر اختياراته على شعراء أهل الأندلس ، في عصر الموحدين فقط .وكان في اختياراته يذكر اسم الشاعر ثم يختار له دون نظر إلى معاني شعره فمثلاً اختار لأبي عبد الله بن حبوس ، وجاءت معاني الأبيات على النحو التالي[٢] : مدح المهدي بن تومرت، ووصف الرياض مدح الوزير أبي جعفر بن عطية ، وذم الوزير بعد النكبة ،وذم الشعر ، والحض على مجاملة الناس ،ومدح أمير المؤمنين ، وفخر بأهل المغرب .وعلى هذا النمط سارت مختاراته .

والمصنف معجب بنفسه ويثني عليها من خلال اختيار أبيات لشعراء يمتدحونه ويثنون على شعره مثل اختياره قصائد للوزير أبي رجال بن غلبون ومنها[٣] :

إيه أبا بحرٍ وَمَنْ لـــي أن أَرَى ... مِنكُمّ بشاطِي زاخرٍ مَسجُـــورِ

ولو أنَّها مني المُنى تُدنيكِـــمُ ... لَسَبَحْتُ مِنْهُ بماءِ وردٍ جُوري

وهو يحس بأنه قد يؤاخذ على الافتخار ، خاصة وأنه أفرد فصلاً لشعراء بني ادريس فنفى ذلك

---

(١) أبو صفوان ابن ادريس (التحبيبي المرسي) – زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، ص ٤٣

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ، ٤٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوله "لعل أحداً يقف على هذا الفصل الذي جمعت فيه بني ادريس فيقول قصد الازدهاء والتبجح. هذا على أني لو افتخرت لما أرجأت ذكرهم إلى آخر الكتاب ولا أخرت . ولو أني قدمتهم فيمن قدمت ، لما اجترأت على الحق الواجب ، ولا احترمت والله أسأل العصمة من الخيلاء"[١] .

وهذه حجة مردودة عليه ومنه هو . فقد جعل التأخير دليل خير إذ أخر شعر أبي بكر السلاوي ليكون ختامه مسك . أليس في نفيه إثبات ؟وقد حوى هذا الكتاب شعراً لثلاثة وستين شاعراً ، وكان لا يختار لهم كثيراً من الأبيات فنراه يقتصر أحياناً على اختيار مقطوعة واحدة للشاعر[٢] وربما يعود ذلك لقلة انتاج بعض هؤلاء الشعراء .

٦-مختار ديوان علم الدين أيدمر المحيوي ، مؤلف مجهول

ان صاحب هذا الاختيار مجهول إذ كتب على أول صفحة منه : "اختيار العبد ... محمد ابن... عبيد الله ...)[٢] . ولعل هذا المصنف المجهول من زمن علم الدين إذ يقول في آخر الكتاب ، وله أيضاً ، أنشد فيها ولم أجدها في ديوانه:

يا حبّذا مسرى النسيم وقد سَرى بجنابِ مُهتزِّ الثرى مَيّاسِهِ

ريّان عطر أرضَهُ وسمـــاءُهُ عَبَقُ الرياح بوردِهِ وبآسِهِ[٣]

فقوله (أنشد فيها) دليل على سماع القصيدة منه مما يجعلنا نذهب إلى أنه من معاصريه .

وهذا الاختيار دون غيره يقتصر على شاعر واحد فقط ، وتدور معظم قصائده على المدح ، وتخلل هذا المعنى معان كثيرة مثل : التهنئة ، والغزل ، والوصف ، والحكمة .

وكان معظم المدح لنجم الدين أيوب ولا عجب في ذلك فهو شاعر من شعراء الملك

---

[١] أبو صفوان الادريسي – زاد المسافر ، ص ١٥٧

[٢] مجهول – مختار ديوان علم الدين أيدمر المحيوي ، ص (ط)

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصالح نجم الدين أيوب[١] وختم كتابه بمدح الخلفاء الراشدين وقد رتبهم زمنياً .

٧-**المختار من شعر ابن دانيال** ،صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) :

لم يعتمد الصفدي منهجاً معيناً في الترتيب إذ لم يعتمد ترتيب المعاني،فقد بدأ كتابه بمختارات يطلب فيها المغفرة من الله،وختم المختار ببيتين يطلب فيهما الشاعر أن يغفر الله له ذنوبه .

ومعظم قصائد الديوان في المدح ، وقد تخلل هذ المعنى قصائد في الحديث عن الحرمان ووصف الفقر ، ووصف مجالس اللهو والترف والمجون ، وهجاء لبعض المسؤولين ، ووصف للحشرات ولأشياء مختلفة مثل "فرس ، موزة ، قطر ، تقويم"[٢] . أما رثاء هذا الرجل فكان يرثي الحيوان ولم يرث إنساناً[٣] .وكل هذه المعاني جاءت دون ترتيب يذكر . والسمة التي تجمع قصائد الديوان سمة المجون والخلاعة ، ولعل هذ السبب كان دافعاً للصفدي لأن يفتتح مختاراته بأبيات التوبة ويختمها بهذا المعنى. وخروج الأبيات عن الذوق والأدب دفعت المحقق لأن يحذف أبياتاً[٤] ، وكثيراً ما حذف كلمات[٥] تتسم بالعربدة والتخبط في الضلالة .ويمكن أن نصف كثيراً من قصائده بأنها دعوة للفجور ، مثل تلك التي قالها في شيخ تاب فدعاه إلى الرجوع لعهد اللهو فاستجاب[٦] .لقد كان لذوق المصنفين أثر واضح في منهجهم في ترتيب المختارات فكلٌ نظر إلى الموضوع من زاويته الخاصة وفق ثقافته .

وعلى أية حال يبقى الترتيب هيكل كليّ للعمل ، وهذا العمل له ملامح جزئية بحاجة إلى جهد استكشافي للإحاطة بجوانبه ، وهذا ما سنحاول عمله في الفصول التالية .

---

[١] أبو صفوان الادريسي – زاد المسافر ، ص (ز)

[٢] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي – المختار من شعر ابن دانيال ، ص ٦٣ ، (٧٥-٨٠) .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٨١،١٥٩،٢١٦.

[٤] المصدر نفسه ، ص ١١٢،١٣٨

[٥] المصدر نفسه ، ص ١٠٢،١٠٤،١٠٧،١٠٨،١١٤،١١٥،١٢٠،١٣٧،١٣٨،١٤١،١٥٠،١٦٦،١٧١، ١٧٣، ١٧٤،١٧٦،١٩٩،٢٠٠،٢١٠،٢١١،٢١٣،٢١٤،٢١٥،٢١٩،٢٢٢،٢٢٧،٢٢٩،٢٣٦،٢٤٠،٢٤٦،٢٤٩.

[٦] المصدر نفسه ص ١٨٨ وانظر ص ٨٩ ، ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

المختار وثقافة صاحب الاختيار

١- اختيار الأديب

٢- اختيار الناقد

٣- اختيار اللغوي

٤- اختيار البلاغي

٥- اختيار العالم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختار وثقافة صاحب الاختيار

من المعروف أن ثقافة الإنسان تلقي بظلالها على أفكاره ؛ فالأدباء لهم آراؤهم في الشعر والشعراء ، وقد استمد نقدهم مقوماته من الذوق والحس اعتماداً على الملكة التي يتمتعون بها ، التي تستطيع أن تحكم على الفن ، وكان اعتمادهم يتجه إلى الخبرة والذوق المدرب قبل أن يحكموا المقاييس النقدية التي -مهما تنوعت وتعددت- لن تحيط بخفايا الجمال وأسراره.

وقد حاول النقاد الوقوف على خصائص الشعر للحكم على الشعراء ، فاهتموا بمقياس الأصالة والابتكار ، وقوّموا الشاعر حسب أصالته في فنه ، أو أخذه عن غيره من الشعراء ، وحكموا خصائص الفن الشعري وأصوله مهتدين إلى ذلك بالذوق والحذق وطول الدربة ، فكانت لهم وقفات فنية تمس جوهر الأدب ، واتضح ذلك عن طريق الموازنة بين شعر القدماء وشعر المحدثين ، التي كانت تهدف إلى الخروج بنظرية في الشعر : "فقد اشتدت المعارك حول بشار ابن برد وأصحابه من شعراء البديع ، وحاول العلماء والأدباء ، منذ أواسط القرن الثاني أن يقفوا على أصول فن بشار ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، والعتابي ، وأن يقارنوه بفن القدامى ، وأن يخرجوا بنظرية في الشعر خاصة ، والبيان عامة ، على ضوء هذه الفنون ، وضروب التعبير التي استحدثها أولئك الشعراء"[1] .

أما النحاة فقد حاولوا التوصل إلى كثير من القواعد والخصائص لضبط الاستعمال ، فاهتموا بمدى ملاءمة اللفظ للمعنى الذي يورده الشاعر ، وتحققوا من تطبيق الشعراء لقواعد النحو وأصول اللغة ، واهتموا بالقوافي وملاءمتها لقواعد النحو ، وقد جعلت لغة القرآن حكماً في النقد اللغوي . وقد نشبت المعارك بين الأدباء والنحاة نتيجة ما دأب النحاة على توجيهه إلى لغة

---

[1] محمد زغلول سلام – تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع ، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعراء من ملاحظات لم يقنع الأدباء بها فرفضوها وهاجموا النحاة[١] .

ولما كان اللغويون يهتمون غالباً بالبعد الخارجي ، والنقاد بالبعد الفني الداخلي في الشعر ، فقد اتهم الأدباء اللغويين بعدم القدرة على فهم الشعر ، وتبيين أسرار لغته ، وقد ذهب صاحب الوساطة إلى أن المعترضين أحد رجلين : "إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر"[٢] ، "أو نحوي مدقق لا علم له بالإعراب ولا اتساع له في اللغة"[٣] .

"فالنحاة لا فتيا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ، ولا عندهم معرفة بأسرارهما من حيث إنهم نحاة"[٤].

وقد نتج عن اختلاف هذه الفئات اختلاف في تناول النصوص ، ويوضح ذلك قول الجاحظ : "طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، قال الصاحب على أثر هذه الحكاية : فلله أبو عثمان ، فلقد غاص على سر الشعر ، واستخرج أدق من السحر"[٥] .

فمن أيّ فئة كان أصحاب المختارات ؟

إن بعض المختارات –التي نحن بصدد دراستها– صدرت دون معرفة اسم مصنفها مثل : مجموعة المعاني ، والمختار من ديوان علم الدين أيدمر محيوي ، ومن المختارات من عرف اسم مصنفها ولكن كتب التراجم سكتت عنه ، فلا نكاد نجد ترجمة له رغم شهرة كتابه مثل : محمد

---

(١) من أشهر من أخذوا بنصيب في هذه المعارك الفرزدق ، عبد الله بن اسحاق الحضرمي . انظر أبو الطيب اللغوي – مراتب النحويين ، ص ٣١–٣٢ ، وانظر ابن سلام الجمحي – الطبقات ، ج١ ، ص١٦،١٧ . وانظر القاضي الجرجاني – الوساطة ، ص ٨،٩

(٢) القاضي الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٤٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣٨ .

(٤) انظر ضياء الدين بن الأثير – المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٦٤ ، ٣٩٦

(٥) ابن رشيق القيرواني – العمدة ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العبيدي صاحب التذكرة السعدية ، وصدر الدين البصري صاحب الحماسة البصرية ، وجنيد محمد صاحب حدائق الأنوار وبدائع الأشعار .

ويصعب على الدارس تصنيف أصحاب المختارات ضمن أي فئة ، ويعود ذلك لاتساع ثقافتهم التي اتسمت في كثير من الأحيان بالشمولية . فالجرجاني مثلاً أديب ناقد ، بلاغي ، نحويّ عالم بالدين . ففي أي فئة ندرجه ؟

إن تصنيف أصحاب المختارات سيكون حسب الجانب المميّز في ثقافتهم ، ولا يعني ذلك عدم تأثير الجوانب الأخرى في ثقافتهم على مختاراتهم . وقد تأثرت هذه المختارات بشكل عام بالمفهومات البلاغية والنقدية التي سادت في هذه الفترة ، ووجهتها بشكل لافت ، إذ أخذ هؤلاء المصنفون ينتقون شعراً دون النظر إلى وحدة العمل الفني بوصفه كلاً ، "وإنما قصدوا الصورة الأدبية المفردة التي يتكون العمل الأدبي من مجموعة منها"[١] . لذا جاءت المختارات في معظمها أبياتاً مفردة .

ونبدأ باختيار الأدباء لما لهؤلاء من حس مرهف يجعلهم كما قال الجاحظ : يغوصون على سر الشعر فيختارون السحر منه ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر كثرة المختارات التي لهم نسبة إلى الفئات الأخرى .

١- اختيار الأديب :

إن "الناقد الشاعر كان النموذج الذي تنسب إليه الإجادة في الفن"[٢] ، فالجرجاني كان يرى أن الشعراء والكتاب أقدر على نقد الشعر من اللغويين والنحاة ، "لأن في الشعر أموراً خفية تجعل نظماً أحسن من نظم"[٣] " ومن ذلك ما روي عن البحتري ."روى أن عبيد الله بن عبد الله بن

---

(١) محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث ، ص ٢٨٦ .
(٢) احسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٢٧
(٣) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٤٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طاهر سأله عن مسلم وأبي نواس أيهما أشعر ؟ فقال : أبو نواس ، فقال : إن أبا العباس ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا -نقد الشعر- من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون علمه ، إنما يعلم ذلك من دُفع في سَلك طرق الشعر إلى مضايقه ، وانتهى إلى ضروراتـه"[١]

.

إن استحسان شعر أو استجادة أبيات معتمد على مقاييس نقدية عامة ، وأن من أتقن هذه المقاييس وتدرب على استعمالها كان ناقداً بحق ، وقد استوت هذه المقاييس عند المرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة[٢] إذ بدأ حديثه عن أسس اختيار الشعر حسب الذوق والاتجاه الفني العام ، وعرض آراء العلماء والأدباء السابقين فيما ينبغي توافره في الشعر المختار من صفات ، وقد أرجع قواعد اختيار الشعر إلى الذوق ، والمزاج الخاضعين لقواعد عمود الشعر ، تلك القواعد التي برز معظمها في المختارات ، وكانت النظرة الجزئية مسيطرة على العمل الأدبي ، فأصحاب المختارات كانوا يتتبعون المثل السائر أو البيت المشهور ، ولا يختارون إلا بيتاً أو أبياتاً مفردة يرون أنها تجمع فصاحة العرب ، ومتانة الأدب ، وأن مبانيها قد أحكمت ، فقد نظروا إلى القصيدة على أنها متفاوتة ، فيختارون أبياتاً منها ويتركون أبياتاً . ولكننا لا نعدم وجود رابط بين الأبيات المختارة ؛ فأسامة بن منقذ[٣] قد اختار أشعاراً يربطها باعث نفسي ، فتمثلت في كتابه وحدة عاطفية شعورية جمعت أشتات الأبيات المختارة رغم اختلاف قائليها ، والمناسبات التي قيلت فيه القصائد . يقول : "فاسترحت إلى جمع هذا الكتاب ، وجعلته بكاءً للديار والأحباب ، بما يوافق حالي ، وتتبع هذا المعنى صعب ، وحصره لا يمكن ، وقد أوردت فيه ما يُبرّد اللوعة

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٩٥ ، ٢١٠

(٢) المرزوقي - شرح ديوان الحماسة ، ج١ ، ص ١٥

(٣) انظر ترجمته عند ابن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج١ ، ص ١٩٥-١٩٩ . وياقوت الحموي - معجم الأدباء ، ج٥ ، ص ١٨٨-٢٤٥ ، وقد ترجم لنفسه في كتاب الاعتبار إذ تحدث عن سيرته وأحواله في أطوار حياته ، وقد ألفه وهو ابن تسعين سنة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسكن الروعة"[١] .

إن الأشعار التي أوردها في ذكر المنازل ، أو في ذكر الديار ، أو المغاني أو الأطلال ... قد وحّدها الجو النفسي رغم اختلاف موضوعاتها ، وجمعتها غاية واحدة ، وهي تبريد اللوعة وتسكين الروعة ، فانظر إلى قول عبد الله بن الزِّبَعْري في العاص بن وائل يصف المنازل :

وأصبحتِ المنازلُ وهيَ قَفْرٌ ... مُخَيَّلاةٌ عليهنَّ القَتَامُ

كأنَّ الناسَ بعدَكَ نَظْمُ سِلْكٍ ... تَقَطَّعَ لا يَقومُ له نِظَامُ[٢]

وقال آخر يصف ديارا قد خلت من أهلها :

أينَ أهلُ الديارِ من قومِ نُوحٍ ... ثُمَّ عادٍ من بعدِهِمّ وثَمُود

بينما هُمْ على النمارقِ والسُّدِ ... باجِ أفضَتْ إلى التُّراب الخدودُ[٣]

وقال أبو الشعر موسى بن سحيم الضبي يصف مغانما :

فيا صاحِ ألمِمْ بالمغاني فَحيِّها ... مَغانٍ لهند عُطِّلَت وملاعِبِ

مَغانٍ خَلَتْ من غِبْطَةٍ ونَضَارةٍ ... مغاني الغواني والغِنى والرَّغائبِ[٤]

ثم يورد أسامة أبياتاً له في وصف الأطلال :

نَعَمْ هذه الأطلالُ قَفْرٌ كما ترى ... فما عُذْرُ أجفاني إذا لم تَفِضْ دما

ولليوم أعدَدْتُ الدُموعَ وصُنْتُها ... وما يُسْتَجُم الدمْع إلا لِيُسْتَجَمَا[٥]

وقال آخر في الوطن :

لا بُدَّ للمشتاقِ من ذِكرِ الوَطَنْ ... واليأسِ والسَّلوةِ من بعدِ الحَزَنْ[٦]

---

(١) أسامة بن منقذ – المنازل والديار ، ج١ ، ص ٤

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٩٧

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٢٢

(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن إحساس أسامة بضرورة الإضاءة حول النص ليستطيع القارئ الوقوف على معنى الأبيات والإحاطة بجو النص فيتفاعل معه ، ويحقق كتابه ما أراد له ، من أن يكون الشعر فيه مبرداً للوعة ومسكناً للروعة ، إن هذا الاحساس جعله يذكر أخبار عمران بن حطان وإن لم يقتض التأليف ذلك ليوضح مُراد الشاعر أبي الفتيان بن حيّوس في قوله :

وللحَمِيَّةِ لا عن زَلَّةٍ حَكَمَتْ ... بالبُعدِ فارَقْتُ إخواناً وأوطانا

تُخيفُني بلدةٌ حتى أميلَ إلى ... أُخرى كأنّي عِمْرانُ بنُ حِطّانا[1]

ومن ذلك أيضاً حديثه عن متمم بن نويرة "حين بكى أخاه مالكاً ، فخاف قومه عليه أن يذهب بصره من البكاء ، فزوجوه أم خالد لعله يسلو ويكف عن البكاء . فبينا هو واضع رأسه على فخذها إذ بكى ، فقالت : لا إله إلا الله ، ألا تنسى أخاك في حال ، فقال :

أقولُ لها لما نَهَتْني عن البُكا ... أفي مالكٍ تَلْحَيْنَني أُمَّ خالدِ؟

فإنْ كانَ إخواني أُصيبوا وأخطأَتْ ... بني أمِّكِ أسبابُ الحتوفِ الرَّواصِدِ

فكُلُّ بني أمٍ سيَمْسُون ليلةً ... ولَم يَبْقَ من أعيانِهِمْ غيرُ واحدِ"[2]

إن شعر متمم بن نويرة يُفهم دون الخبر السابق له ، ولكن أسامة حاول أن يدخل القارئ في جو الأبيات ليستشعر مدى الألم في نفس متمم ، ذلك الألم الذي تغلغل روحه ، فلم تعد هذه الروح تشعر بالسعادة حتى في أجمل اللحظات ، وهذا ما جعل أم خالد تستاء ، وترد عليه باستنكار ألا تنسى أخاك في حال !

ويشير ابن منقذ إلى أنه يورد أخباراً ليست ضمن الكتاب ولكن توجبها الأبيات[3] .

إن النظرة الجزئية المسيطرة وجهت اختيار الأدباء فنظروا إلى الألفاظ مفردة ، وكانت نظرتهم تمثل تطبيقاً لما وضعه النقاد من خصائص تختص بها فصاحة الألفاظ المفردة ؛ وهي :

---

(١) أسامة بن منقذ – المنازل والديار ، ج٢ ، ص ١٩–٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٩٣

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٩،٩٧،١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تكون اللفظة مألوفة الاستعمال ، جارية على العادة المألوفة لتكون خفيفة على الألسن فتؤثر في النفس . وهذا يعني أن تكون اللفظة جزلة في مواضع ؛ كوصف الحروب والمخاطر ، ورقيقة في مواطن أخرى ؛ كالغزل والنسيب وما يشبهها ، "فأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً لا ينغلق معناه ، ولا يُستبهم مغزاه"[١] . "والسهولة قد تطلق ويراد بها خفة اللفظ ، كما تطلق ويراد بها وضوح المعنى"[٢] وليس معنى ذلك أن يكون "اللفظ سهلاً والمعنى مكشوفاً بيناً لأنه عندها يكون من الشعر الرديء المردود"[٣] .

من هنا انطلقت نظرة العبد لكاني[٤] للشعر فرأى "أن حماسة أبي تمام فيها أشعار ألفاظ معظمها غرائب وتحتها من معانيها عقارب ، وأن أهل زمانه من السهل القريب أرغب ، لأنه من الأفهام أقرب"[٥] . وقد تصدى العبد لكاني لصنع حماسة يسهل تناولها ويقرب فهمها فجاءت كما أراد لها في معظمها ؛ فانظر إلى مختاراته في باب الحماسة قول عنترة :

إني امرؤٌ مني السماحةُ والنـدى ... والمجـدُ ، أخلاقٌ أصبْتُ لِبابَها

وأنا الربيعُ لمنْ يَحلُ بساحَتـي ... أسدٌ إذا ما الحربُ أبْدَت نابَهـا

شمَّرتُ فيهـا عند ذلك مِئْزَري ... ولبسْتُ للحربِ العُوانُ ثيابَهـا

ومَشَيتُ مرتدياً بسيفـي نحوهـا ... قُدُماً إذا البطلُ المجرِّبُ هابَهـا[٦]

فالشعر خفيف على اللسان ، مألوف الاستعمال ، والمعنى سريع الوقوع في النفس ، وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ثنتانِ لو بكَتِ الدماءُ عليهمـا ... عَينـايَ حتى تُؤْذِنا بذِهَـابِ

---

(١) أبو هلال – كتاب الصناعتين ، ص ٨١ .
(٢) عبده عبد العزيز قلقيلة – النقد الأدبي في العصر المملوكي ، ص ٢٨٢ .
(٣) أبو هلال العسكري – كتاب الصناعتين ، ص ٧٩ .
(٤) علي بن الحسن بن علي الباخرزي – دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ج١ ، ص ٢١٣ .
(٥) العبدلكاني الزوزني – حماسة الظرفاء ، ج١ ، ص ١٥
(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تبلُغا المِعْشارَ من حَقَيْهِمـــا ... فَقْدُ الشباب وفُرقَةُ الأحبـــاب[١]

وقال آخر :

مَنْ عاشَ في الدنيا بغيرِ حَبيـبٍ ... فحياتُهُ فيهـــا حَياةُ غريـــبِ

أوَ مَا ترى الطَّيْرَين كيف تزاوجا ... من غيرِ خاطبةٍ وغيرِ خطيـــبِ[٢]

وقال الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام :

لئن كانَتِ الدنيا تُعدُّ نفيسَـــــةً ... فدارُ ثوابِ اللهِ أعلـــى وأنبـــلُ

وإنْ تكنِ الأرزاقُ قِسْمًا مُقـــدَّرا ... فقِلَّةُ حرْصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ

وإنْ تكنِ الأموالُ للتـركِ جَمْعُهـا ... فما بالُ متروكٍ به المـرءُ يبخـــلُ

وإنْ تكنُ الأموالُ للموتِ أُنشِئَـتْ ... فقتلُ امرئٍ في اللهِ بالسيـفِ أفضلُ[٣]

إلا أن ذلك لا ينفي وجود شعر مستقل كقول الحجاج بن يوسف :

قـــد أتيـــتُ العراقَ وهي كنـــارٍ ... من ذكـورٍ تلـوحُ مثْـلَ الريـــاطِ

وعناجيـــج فوقَها كلُّ قـــــرنٍ ... باســـلِ الحـدِ كالحســـامِ الإباطي[٤]

ومثله قول آخر :

فما ذنْبُنا إنْ جاشَ بحرٌ برُغْمِكُمْ ... وبَحْرُكَ مَحْلٌ لا يُوارِي الدَّعامِصَـا

فلو كُنتُـمُ تمراً لكنتُـــم جَزامةً ... ولو كنتُـــم نبْـلاً لكُنتُمْ مَشَاقِـــصَا[٥]

---

[١] العبدلكاني الزوزني – حماسة الظرفاء ، ج٢ ، ص ٣٠

[٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ١٠٣

[٣] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٨١

[٤] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٥٢.

[٥] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٧٧ . وانظر ج١ ، ص٢٩،٤٧،٥٢،٨٨،١٥٧،١٦٠،١٧٣ . ج٢ ، ص ٤١،٤٤،٦١ ، ١٠٦،١٢٩،١٩٤،٢٠٢،٢١٤ .

الدعامصا : أراضي سهلة فيها رملة تحمي عليها الشمس فتكون رمضاؤها أشد حراً من غيرها .

جزامة : صرام النخيل ، والصرام جني الثمر ، مشاقص : سهم ذو نصل عريض .

الرياط : جمع ريطة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين .

العناجيج : جياد الخيل ، واحدها عنجوج ، الإباطي : صفة للحسام ، منسوب إلى الإبط ، لأنه يتأبط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن طلب السهولة والبعد عن الإغراب جعل أصحاب المختارات يقدمون على الاختيار من أشعار المحدثين : "لقرب تناول معانيهم وسلامة ألفاظهم ، وتناسبها ، وحسن مذهبهم في تلطيف الألفاظ والمعاني ، ورشاقة السبك ، وإصابة الغرض ، وتجنب حوشي اللغة ووحشيها ، ليكون ذلك أدعى إلى الرغبة فيه ، وأنسب إلى ما اقتضته الحال التي جُمع لها ، وأليق بطباع أهل العصر"[١].

ونظرة إلى أبواب التذكرة الفخرية تدلنا على ما تحويه من شعر رشيق الألفاظ ، رقيق المعاني ، فالإربلي[٢] يختار شعراً في أوصاف الشباب ، والغزل ، والخمر ، والربيع ، والغناء والليل . ومن هذا الشعر أبيات ابن زيدون :

بِنْتُمْ وبِنّا فما ابتلَّتْ جوانِحُنَا ... شَوقاً إليكُمْ ولا جَفَّتْ مآقِينا

تَكادُ حِينَ تُناجِيكُمْ ضَمائِرُنا ... يَقضي علينا الأسى لَولا تَأسّينا[٣]

ومثله قول المجد بن الظهير :

قُمْ فانتهِزْ فُرَصَ السُرورِ ولا تَبِعْ ... زَمَنَ الصِّبا واللهوِ بَيْعَةَ خاسِرِ

وَافتُكَ أيامُ الربيعِ منيرةً ... ساعاتُهَا بشموسِ زهرٍ ناضرِ[٤]

وقد كان الصراع الثقافي بين المشرق والمغرب عاملاً مهماً في اقتصار بعض المختارات على شعر الأندلسيين وأهل المغرب ، لبيان ما يميّز هذا الشعر ، فوجدوا "أن معناه أرق من النسيم ، ولفظه أحسن من الوجه الوسيم ، فتتعلق الأسماع بمعاده تعلق عين المحب بطلعة المحبوب ، وحق له ذلك"[٥] . ولا عجب في ذلك فتأثير الطبيعة على نفسية الأندلسيين وانعكاس ذلك على شعرهم ليس موضع جدال ، فقد كانت غذاءً لروحهم وإطاراً للتعابير المجازية

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٤٣

(٢) محمد بن شاكر الكتبي – فوات الوفيات والذيل عليها ، ج٣ ، ص ٥٧–٦٠ .

(٣) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٧٣

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣

(٥) ابن سعيد الأندلسي– رايات المبرزين ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتشبيهات عندهم ، والشعر الذي اختاره ابن سعيد الأندلسي[١] يحمل هذا التأثير ؛ من ذلك قول أبي العباس أحمد بن صفوان :

وبيضـــــاءَ تَحْسَبُهـــــا دُرَّةً ... تَذوبُ إذا ذُكِـــرَتْ أو تكَـــادْ

تُتَمْنِـــمُ بالمســـكِ كافـورَتِي ... مُحَيَّا حَوَى الحسُـــنَ طُـــرّاً وزادْ

فَقُلْتُ وقد كانَ مـــا كـــانَ مِـن ... تَخَلُّـــلِ خيـــلانِهـــا بالفُـــؤادْ

أَكُـــلُّ وصالِـــكِ ذاكَ البيـــاضْ ... وبعـــضُ صُـــدودِكِ ذاكَ السوادْ[٢]

ومثله قول أبي العباس أحمد بن سيد المعروف باللص :

فالليل إن هجرت كالليل إن وصلت ... أشكو من الطول ما أشكو من القصر[٣]

ولا نعدم أبياتاً تخلو من حلاوة اللفظ ورقته وذلك كقول أبي القاسم الإلبيري :

أليلَتَنَا إذ أرْسَلَتْ وارداً وجْفَـــــا ... وبِتْنَـــا نرى الجوزاءَ في أُذْنِهـــا شَنْفَا

وباتَ لنا ساقٍ يَصولُ على الدجـــى ... بَشُمْعـــةِ صُبْحٍ لا تُقَـــطُّ ولا تَطْفَـــا

أَغَنُّ غَضيضٌ خَفَقَ الليّـــنُ قَـــدَّهُ ... وأثقَلَـــتِ الصَّهبـــاءُ أجفَانَهُ الوُطْفَـا

ولمْ يُبقِ إرعاشُ المُـدام لِـــه يَـــدا ... ولم يُبْـــقِ إعناتُ التَّثَنِّي له عِطْفَـــا[٤]

ورغم كثرة التشبيهات في أبيات أبي القاسم إلا أنها لا تستهوي القارئ .

وقد جعل ابن سعيد التشبيه مقياساً في تقسيم الشعر إلى مراتب : (المرقص ، المطرب ، المقبول ، المسموع ، المتروك) والمرقص عنده هو : "الشعر القائم على غريب التشبيه ، وهناك تشبيهات جميلة ولكنها لا تصل حد المرقص أطلق عليها اسم المطرب" .

---

[١] ترجم ابن سعيد لنفسه في كتابه المغرب في حلى المغرب وذكره أحمد بن محمد المقري التلمساني في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج١ ، ص ١٩٧، ٢٠١ . ج٢ ، ص٣

[٢] ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين ، ص ٤٢ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤٨

[٤] المصدر نفسه ، ص ٨٦–٨٨

الوارد : الشعر المسترسل ، الوجف : الشعر المسود الكثيف ، الأغن : الذي في صوته غنة ، الغضيض : فاتر الجفن ، الصهباء : الخمر ، الوطفا : الغزيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظراً لاهتمام زهير بالحكمة ، وقلة التشبيه في شعره قياساً بالحكمة فقد جعل ابن سعيد شعر زهير في طبقة المقبول ، وقد جعل ذا الرمة فارس أهل ذلك العصر الأموي في معاني الغوص لتولعه بالتشبيه والتمثيل وحسن التخييل وهو رئيس الإسلاميين"[١] ونظرته هذه لا تختلف كثيراً عن نظرة ابن سلام حين جعل "ذا الرمة أحسن الإسلاميين تشبيها"[٢].

وإذا كان بعض أصحاب المختارات قد عمدوا إلى البحث عن شعر يتسم بسهولة ألفاظه ، ورقة معانيه ، فإن أبا العباس الجراوي[٣] قد اختار شعراً يتسم بالرقة من شعر الأندلسيين .

والجراوي يتمتع بحس الأديب إذ يختار مقطعات طويلة خاصة في أغراض المدح ، والفخر ، والمراثي ، وربما يعود ذلك لإحساسه بوحدة العمل الأدبي ، فارتباط الأبيات ببعضها يمنعه من بترها . من ذلك قول ورقة بن نوفل :

لَجِجتُ وكُنْتُ في الذكرى لَجوجاً ... لِهَمٍّ طالمـــا بَعَثَ النَّشيجـــا

وَوَصْفٍ من خديجَةَ بعدَ وصفٍ ... فَقد طالَ انتظاري يـا خديجـــا

بِبَطْنِ المكَّتَيْـــنِ علـــى رجـاءٍ ... حَديثُـــكِ أن أرى منْهُ خُروجا[٤]

فقد أورد النص كاملاً في ثلاثة عشر بيتاً .

ومن ذلك أيضاً قول أبي تمام مادحاً الحسن بن رجاء :

كُفَّـــي وَعَاكِ فإنَّـــي لَـــكِ قَالِ ... لَيْسَـتْ هَوادي عَزْمَتـــي بتوالِ

أنا ذو عَرَفْتِ فإنْ عَرَتْكِ جَهالـةٌ ... فأنـــا المُقِيـــمُ قِيامَـــةَ العُذَّالِ[٥]

ويعمد أحياناً إلى اختيار مقطعات طويلة من قصائد الشعراء تاركا بعض الأبيات منها بما لا يؤثر

---

(١) ابن سعيد الأندلسي – المرقصات والمطربات ، ص ٣٠

(٢) انظر ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء ، ص ٤٦

(٣) ابن خلكان – وفيات الأعيان ج٧ ، ص ١٣٦–١٣٨ ، وانظر ابن سعيد الأندلسي – الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ص ٩٨ ، ابن الأبار – التكملة لكتاب الصلة ، ج١ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩

(٤) الجراوي – الحماسة المغربية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٥) المصدر نفسه ، ص ، ٣٤٣،٣٤٤ وانظر ص ٨٥٨،٨٥٩،٨٧٣،٩٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على معنى النص[١] .

وقد فعل الصفدي[٢] فعل الجراوي فاختار قصائد لابن دانيال دون أن يحذف منها شيئاً مهما طالت من ذلك قصيدته على لسان المشاعلية التي بلغت ما ئة وبيتين :

لا ودخـــانِ المِشْعَـــلِ وجَمْـــرُهُ المُشْتَعِـــلِ

وعَرْفِـــهِ الـــذي سَـــرى يَـــزْري بعَِـــرْفِ المِنْدلِ[٣]

وصاحب هذا الشعر رغم أنه قد عايش فترة من فترات أمتنا الزاخرة بالبطولات ، إلا أنه يصور جانباً من الحياة اللاهية ، وقد أبقى الصفدي على كثير من الألفاظ الماجنة البذيئة التي أسقط معظمها المحقق .

وقد اختار أبو بحر صفوان بن ادريس[٤] أشعاراً في الغزل بالغلمان فيها كثير من المجون ، ذات ألفاظ فاحشة ، وأسلوب الشعراء الذين اختار لهم يقرب من أسلوب ابن دانيال الذي اختار له الصفدي ؛ هذا الأسلوب الذي يميل إلى السخرية[٥] .

ولئن كان الشعر الحديث قد قوبل بالنفور ، فلقد رزق نقاداً أقبلوا عليه ، وأحسنوا درسه فأعجبوا به ، واختاروا منه شعراً كثيراً ، وكان هؤلاء في أغلبهم من الأدباء ، وهذا لا يعني أنهم لم يهتموا بلغة الأدب نظراً للتطور اللغوي الذي صاحب العربية عقب الفتح الإسلامي ، وانتشار الفساد اللغوي الذي استفحل في العصر العباسي ، "فموجة الفساد التي دهمت العربية في العصر الأموي ، لم تتراجع في العصر العباسي ، بل قويت واتسع مداها ، ولغة التفاهم التي نشأت عند

---

(١) الجراوي – الحماسة المغربية ، ص٤٩،٥١–٥٤،٦٤،٦٥،٧٣–٧٥،٧٨،٨٠–٨٥،٨٩–٩١،٩٤–٩٦، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١٢٤، –١٢٦،١٤٠–١٤٦،١٧١–١٧٢،٢٥٣–٢٥٩،٢٧٤–٢٧٧،٢٨٨،٢٩٠–٢٩٤،٣٠٠،٣٠٦–٣١٣،٣٢١–٣٢٤ ، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤،٣٣٧،٣٤٠،٣٤٥،٧٩٥–٧٩٦،٨٤١–٨٤٢،٨٥٠–٨٥٤،٨٥٦–٨٥٩،٩٦٤–٨٧٨،٨٨٥–٨٨٦،٨٩٠–٨٩٢،٩٥٩–٩٦٦،٩٧٧–٩٨٧ .

(٢) ترجمته عند خير الدين الزركلي – الأعلام ، ج٣ ، ص ٢٩٥

(٣) الصفدي – المختار من شعر ابن دانيال ، ص ١٢٥–١٣١ . وانظر قصيدته في توبة الشيخ ٨٤–٨٨ ، وقصيدته في زلفة الحمام ص ٨٨–٩٢ ، وقصيدته في الثقة ص ١٠١–١٠٣، وقصيدته في يوم أبطلوا المسكرات ١١٩–١٢١ وقصيدته في خضاب ابن القمص ، ص ٢٠٧–٢١٢ .

(٤) ترجمته في الأعلام ، ج٣ ، ص ٢٩٥ ، الغصون اليانعة ، ص ٣٤

(٥) صفوان بن إدريس – زاد المسافر ، ص ٥٦،٥٧،٦٧،٧٣،٧٥،٨٩،٩٠،٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختلاط العرب بغيرهم في أثناء الفتوح ترسخت في هذا العصر ، واتسعت مسافة الخلف بينها وبين الفصحى"[١] . واستمر تفشي الفساد في العصور التالية .

وكان لهذا الوضع أثر في انقسام أصحاب المختارات إلى قسمين : -

١- قسم يؤازر الشعر الحديث فيختار منه كما فعل ابن ادريس ، والإربلي ، وابن سعيد الأندلسي .

٢- وقسم آخر اختار أشعاراً لشعراء من العصر الجاهلي إلى عصرهم في محاولة لتصحيح ما فسد ، ولذلك ركزوا على أن المجاميع الشعرية هدفت التعليم[٢] ، ومنهم الثعالبي[٣] الذي اختار درر الشعر ليكون غذاءً للروح وجلاءً للعيون[٤] ، فبدأ بالإلهيات لتسمو بها الروح ثم النبويات لتكون مثلاً وقدوة ، ويكاد كتابه يخلو من ألفاظٍ شائنة ، أو أشعارٍ ماجنة ، وأحسن الشعر عنده قول بعضهم :

شَغَلَتْكَ عن حُسنِ السَماعِ مِدائحٌ ... حَسُنَتْ فما تَنفَكُ تُطْرِبُ سامعا

طَلَعَتْ عليكَ أبا الفوارسِ أنجمٌ ... مِنهنَّ يَخْجَلْنَ النجومَ طوالعا

جاءَتْكَ مِثْلَ بدائعِ الوَشْيِ الذي ... ما زالَ في صنعاءَ يُتعبُ صانعا

أو كالربيعِ يُريكَ أخضَرَ ناضِراً ... ومُوَرِّداً شَرْقاً وأصفَرَ فاقعا[٥]

وهو يمج الشاعر المتكسب بالشعر لانتفاء صفة الصدق عن شعره غالباً ، فلا يكون شعره لطيفاً أو بديعاً . وأحسن ما قيل عنده في ذم شاعر :

أنتَ بينَ اثنتينِ تبرزُ للنا ... سِ وكِلْتاهُما بوجهٍ مُذال

---

(١) يوهان فك – العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) ، ص ١٠٠ ، ١٠٤ .

(٢) انظر مقدمة كل من : حماسة الظرفاء ، ص ١٥، التذكرة السعدية ، ص ٣٢ ، الحماسة المغربية ، ص ٣٧ ، نزهة الأبصار ، ص ١٧ .

(٣) الباخرزي–دمية القصر ، ج١ ، ص٢٢،٣٢،١٢٩،١٦٦ ، ج٢ ، ص ٧٧٨،٩٦٦ ، محمد بن الأنباري – نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤) الثعالبي – اللآلئ والدرر (أحسن ما سمعت) ، ص ١٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَسْتَ تَنفكُّ طالباً لوصـــــــالٍ من حبيبٍ ، أو طالباً لســـــؤال[١]

فهو يريد شاعراً مترفعاً عن ذل السؤال ، شامخاً حتى في الحب ، لأن الشـعر قـوت للنفـوس كمـا أنه غذاء للروح ، فجمع الثعالبي في كتابه لآلئ الأمثال ، ودرر الحكم مثل :

أقْلِلْ عِتابَ من استربْتَ بودِهِ ليســـتْ تنـــالُ مـــودةٌ بقتالِ[٢]

ومن ذلك قول أبي الفرج الكاتب :

هـيَ الدنيا تقولُ بملءِ فِيهـــا حَـذارِ حَـذارِ من بطشـي وفَتكي

ولا يغرّركُم حسْنُ ابتسامـــي فقولي مُضحِكٌ ، والفعـــلُ مبكي[٣]

ومنه قول المتنبي :

فإنّ تفُـــقِ الأنامَ وأنتَ مِنْهُم فإنّ المِســكَ بعضُ دَمِ الغَـــزالِ[٤]

أما ابن ميمون [٥]فقد اختار قصائد من الشعر الذي يحتج به ولم يختر أبياتاً مفردة ، فالنظرة الجزئية انعدمت ، اذ أنه نظر الى العمل على أنه وحدةٌ متكاملة ، وعلى الرغم من تأخره زمنياً إلا أنه توقف في الاختيار عند شعراء العصر الأموي . وقد عمد الى شرح بعض الغريب " وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الأوراق "[٦]، محاولة منه في تقريب الشعر من المتلقي، وكثير من المعالي التي أدرجها كانت تحليلاً لرموز استخدمها ، قال كعب بن زهير :

كانَتْ مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

---

(١) الثعالبي – اللآلئ والدرر (أحسن ما سمعت) ، ص ٥٨

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ ، وانظر ص ٨٧،٩١،٩٨،١٢٠،١٢٥

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ ، وانظر ص ١٢٧–١٣٩ .

(٥) انظر ترجمته عند الزركلي – الأعلام ، ج ٧ ، ص ١٧ وفي كشف الظنون ص ١٨٥٧

(٦) ابن ميمون – منتهى الطلب ن ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أوضح ابن ميمون " أن عرقوب من العمالقة وعد صديقا له تمر نخلة ومطله بها " (١)

ومثله قول النمر بن تولب :

لُقيمُ بن لقمانَ من أختِهِ وكانَ ابنَ أختٍ لهُ وابنما

" لقيم بن لقمان رجل من الأمم السالفة يقال إن أخت لقمان كانت عند رجل وكانت تلد ولداً ضعافاً فاحتالت لأخيها بالسكر حتى وقع عليها فولت لقيما " (٢) .

إن الأدباء حاولوا جمع شعر ذي ألفاظ موحية تثير في نفس السامع معاني لها وقع كبير في النفس ، وتختلف هذه المعاني في درجة تأثيرها من فرد إلى آخر حسب تجاربه وطبيعته . أما النقاد فقد انشغلوا بقضايا النقد ولم يعيروا الاختيارات كبير اهتمام ، فلم نجد سوى اختيار الجرجاني .

اختيار الناقد :

إن عبد القاهر الجرجاني(٣) رغم فكرة النظم التي أتى بها إلا أنه لم ينظر إلى العمل الأدبي وحدة تامة ، وإنما -نظر كغيره من النقاد- نظرة جزئية . فكان يختار أبياتاً من قصيدة ويترك أبياتاً فوقع أحياناً خرم في المعنى . ولعل ذلك منبعه إلى "أن الصورة الأدبية لديه مفردة يتكون العمل الأدبي من مجموعة منها"(٤) . وهو "في نظرية النظم نظر في الجملة ولم ينظر في القصيدة ككل"(٥) ، حاله في ذلك حال سابقيه الذين كانوا يبحثون عن الأبيات المستقلة بنفسها عن غيرها ، التي تجري مجرى الأمثال ، وهو يصرح بذلك : "هذا اختيار من دواوين المتنبي ، والبحتري

---

(١) ابن ميمون – منتهى الطلب ، ص ١١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦

(٣) الباخرزي – دمية القصر ، ج١ ، ص ٢٤،١٢٧،٥٦٣،٥٧٢ ، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج٢ ، ص ١٠٦

(٤) محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث ، ص ٢٨٦ .

(٥) شكري عياد – كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبي تمام ، عمدنا فيه لأشرف أجناس الشعر وأحقها بأن يحفظ ويروي ويوكل به الهمم ، ويفرّغ له البال ، وتصرف إليه العناية ، ويقدم في الدراية ، وتعمر به الصدور ، ويستودع القلوب ، ويعد للمذاكرة ويحصل للمحاضرة ، وذلك ما كان مثلاً سائراً ، ومعنى نادراً ، وحكمة وأدباً ، وقولاً فصلاً ، ومنطقاً جزلاً ... وبدأنا بشعر المتنبي ، لأن أمثاله أسير ، ومعانيه فيها أغزر ، ومعارفه في الحكم والآداب أكثر"[١] .

وقد كان هذا المختار ثمرة من ثمار المعارك الأدبية والنقدية التي دارت حول هؤلاء الشعراء الثلاثة : "التي كانت تقف عند البيت أو البيتين"[٢] .

ومن نظرته الجريئة اختياره لقول المتنبي :

غيري بأكثرِ هذا الناسِ يَنْخَدِعُ ... إن قَاتلوا جَبُنُوا أو حَدّثُوا شَجُعُوا

وما الحياةُ ونفسي بعدما عَلِمَت ... أنَّ الحياةَ كما لا تَشْتَهَى طَبَعُ

ليسَ الجَمالُ لوجهٍ صَح مارِنُهُ ... أنفُ العزيزِ بقَطعِ العِزِ يُجْتَدَعُ

والمشرفيّةُ لا زالَتْ مَشَرفَةً ... دواءُ كُلِ كريمٍ أو هي الوجعُ

بالجيشِ يمتنعُ الساداتُ كلّهُم ... والجيشُ بابن أبي الهيجاءِ يمتنعُ

وما نجا من شِفارِ البيضِ مُنفَلِتٌ ... نجا ومنهُنَ في أحشائِهِ فَزَعُ

لا تحسَبوا مَن أسرتُم كان ذا رَمقٍ ... فليسَ يأكلُ إلا الميتَ الضبعُ

يمشي الكرامُ على آثارِ غيرهِمِ ... وأنت تَخلُقُ ما تأتي وتَبتدِعُ[٣]

فقد اختار الجرجاني الأبيات (١،٢،٣،٤،٦،٩،٢٥،٣٣،٣٨،٣٩،٤٠،٤٤،٤٨،٤٩) من الديوان[٤]

---

(١) الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠١

(٢) طه حسين –من حديث الشعر والنثر ، ص ١٠٦

(٣) الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢١٥ ، ٢١٦

(٤) المتنبي – الديوان ، ج٢ ، ص ٢٢١–٢٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجلها يحوي حكماً ، وترك الأبيات التي يصف المتنبي فيها بسالة سيف الدولة في الحرب .

وقد وقع الخرم في المعنى حين اختار قول المتنبي :

إلامَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ ... ولا رأيَ في الحبِّ للعاقلِ

يُرادُ من القلبِ نسيانُكُم ... وتأبى الطِباعُ على الناقلِ

وليسَ بأولِ ذي همّةٍ ... دَعَتْهُ لما ليسَ بالنائلِ[1]

فقد اختار البيتين الأولين ثم ترك ستة وثلاثين بيتاً وأثبت البيتين التاسع والثلاثين والأربعين ثم ترك بقية الأبيات ليثبت آخر بيتين[2] .

وإذا كان البيتان الأول والثاني بينهما رابط قويّ في المعنى ، فإن البيت الثالث بعيد عنهما ، وهو متصل المعنى مع ما قبله من أبيات قد تركها الجرجاني وهي :

وإني لأعجبُ من آملٍ ... قتالاً بكُم على بازلِ

أقالَ له اللهُ لا تُلْقَهُمْ ... بماضٍ على فرسٍ حائلِ

إذا ما ضَرَبْتَ به هامةً ... براها وغَنّاكَ في الكاهلِ

وليسَ بأولِ ذي همّةٍ ... دَعَتْهُ لما ليسَ بالنائلِ[3]

فالشاعر يتعجب من هذا الخارجي الذي ركب حملاً ، وأشار بكمه ، يأمل الظفر الذي لا يأتي بذلك ، وإنما يجب أن يأخذ للحرب آلتها ، ويتأهب لأن سيفك إذا ضرب رأس أحد برى رأسه ووصل العظم ، وليس الخارجي بأول من دعته همته إلى ما لا يناله لأنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

ومن بتر المعنى الذي أحدثه الجرجاني اختياره للمتنبي :

---

(١) الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٢١

(٢) المتنبي – الديوان ، ج٣ ، ص ٢-٣٤ .

(٣) المتنبي –الديوان ، ج٣ ، ص ٢٩-٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُهـــمُّ بشـــئٍ والليالي كأنهّـــا تطـــارِدُنـــي عـن كونهِ وأُطارِدُ

وحيـدٌ مـــن الخُلانِ في كلِ بلدةٍ إذا عَظُـمَ المطلوبُ قلّ المُساعِـدُ

فلم يَبْقَ إلا مَن حَماها من الظُبَى لمَـــى شَفَتيهـــا والثُدِيِّ النَواهِدُ[1]

فالشاعر يطلب أمراً وتمنعه الدنيا عن مطلبه فكأنه يطردها وتطرده ، وهـو وحيد ليس لـه مساعد على ما يطلب ، وإذا عظم المطلوب قل من يساعد عليه . ويعينه على الشدائد فرس كريم تسر الناظرين . ثم يتم الشاعر الحديث عن الحروب التي يخوضها مع سيف الدولـة فـي الأبيـات التالية إلى أن يصل لقوله (فلم يُبق ...) أي أن القتل في هذه الحرب لم يُبق إلا النساء الجميلات . والشاعر يصف شدة الحرب وشراستها ليقنع القارئ بـأن من يخـوض غمـار مثل هذه الحـروب يحق له أن يتطلع للمعالي .

إن البيت الثالث منفصل عن البيت السـابق لـه فـي المعنـى ، ويعـود ذلـك لـترك الجرجـاني واحداً وعشرين بيتاً بينهما[2] .

إن الجرجاني رغم أنه كان يرى "أن الشعراء أقدر على نقد الشعر من اللغويين"[3] ، إلا أنه تأثر بنظرتهم الجزئية ، ولا عجب في ذلك فنظرية النظم عنده قائمة على علمي النحو والبلاغة .

وقد كان اختياره صدى تطبيقي لقضية القديـم والحديـث ، ويـدل اختيـاره علـى أنـه أرضـى أصحاب القديم وأصحاب الحديث فاختار للبحتري وأبي تمام ، والمتنبي .

---

[1] الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠٧ .
[2] المتنبي – الديوان ، ج١ ، ص ٢٧٠-٢٧٦
[3] عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختيار اللغوي :-

إن اللغويين "بحكم منزلتهم اللغوية مضطرون أن يحتفظوا لا بقواعد اللغة فحسب ، بل بألفاظها وأساليبها أيضاً ، فكانوا يكرهون كل لفظ دخيل ، وينفرون من كل أسلوب مستطرف"[١] ولذلك كانوا يفضلون من الشعراء من وافق مذهبهم . وقد كانت بيئة اللغويين هي البيئة الأقدم زمنياً في نقد الشعر ، وكانت لهم سلطة في مجالس الحكم ، سمعنا عن الخلافات التي دارت بين الأدباء واللغويين ، وعبارة البحتري "إنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه"[٢] تحمل معاني الرفض لتدخل اللغويين في نقد الشعر ويقصر معرفة الشعر وفهمه على الأدباء ، وقد خفت وطأة تدخلات اللغويين بظهور أبي تمام إذ كانت طريقته "فخاً يوقع اللغويين في شراك عدم الفهم"[٣] ، وبعد الحركة النقدية اللغوية التي قامت حول شعر المتنبي هدأت أصوات اللغويين ، وهذا الهدوء دليل اعتراف على أن "طريقة تفكير الشاعر وحالاته الذهنية ، يمكن أن تفرض عليه استخداماً خاصاً للغة من حيث الدلالة والتركيب"[٤] . وأكثر ما يكون هذا الاعتراف من الأدباء اللغويين .

فهذا ابن الشجري[٥] يحاول أن يجعل من "مختارات شعراء العرب" عملاً متكاملاً ، فشاعريته جعلته يعمد لاختيار قصائد دون إهمال أي بيت فيها وكأنه فطن للوحدة العضوية في القصيدة . إلا أن ما اختاره كان من زمن الاحتجاج اللغوي ، فابن الشجري اللغوي يعترف ضمنياً بأن هذه القصائد تمثل القدوة التي يجب أن تحتذى ، وقد بقيت ثقافة ابن الشجري اللغوية ملازمة إياه في كل صفحة من صفحات مختاراته ، إذ لا تكاد تخلو صفحة من ايراد لمعنى بعض

---

(١) طه حسين – حديث الأربعاء ، ج٢ ، ص ١٠–١١

(٢) ابن رشيق – العمدة ، ج٢ ، ص ١٠٤ .

(٣) جابر أحمد عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص ٢٦٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

(٥) انظر ترجمته في فوات الوفيات ج١ ، ص ٣٢١ ، ج٢ ، ص ٢٩٣ ، وانظر وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ١٨٣ ، معجم الأدباء ، ج١٩ ، ص ٢٨٣–٢٨٤ ، نزهة الألباء ، ص ٢٩٩ .
وقد أورد محمود حسني ترجمة لابن الشجري مع ذكر أهم أعماله في كتابه المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، ص ٣٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمات مع ذكر مشتقاتها مثل : "الجرع ، والأجرع ، والجرعاء : الرملة لا تنبت ، وجمع الجرع : أجراع وجراع ، وجمع الأجرع : أجارع ، وجمع الجرعاء : جرعاوات"[١] .

ويتطرق إلى جوانب إعرابية "يجوز في ودهم النصب والرفع"[٢] ومنه : "العتاد : العدة وهي مفعول به ليرى"[٣] ، ومثله : "خبر كأن في البيت قبله ، والهمزة للاستفهام"[٤].

وأحياناً يأتي بشاهد على جواز ما يقول ، وكأنه أمام قضية نحوية يحاول إثبات صحتها: "ويروي : وأنكرت الأنواء : أي عرّضته لأن ينكر ، كقولك أقتلته : عرضته للقتل ، وأبعت الشئ : عرّضته للبيع ، قال الهمداني :

فَرَضيـــتُ آلاءَ الكُمَيتِ فَمَنْ يُبِـعْ ... فَرَســـا فليسَ جَوَادُنَـا بِمُبَـاعِ[٥]

ومثله ، تعليقه على قول بشر بن أبي خازم :

كَفَـــى بِالنأيِّ من أَسماءَ كـــــافِ ... ولَيـــسَ لِحُبِّهَـــا إذْ طَالَ شافِ

هذا البيت هو الشاهد على أن الوقف علـى المنصوب بالسكون لغة ، فإن "كافِ" مفعول مطلق ، وكان القياس أن يقول : كافيا بالنصب ، لكنه حذف تنوينه ووقف عليه بالسكون[٦].

ونراه يُدلي بدلوه في العربية ، فيختار قولاً لزهير ويعلق عليه ،

قال زهير بن أبي سلمى :

أراني إذا ما بِتُّ بِتُّ على هَـوىً ... فَثُمَّ إذا أَصْبَحْتُ أَصبَحْتُ غَاديا

كذا رواية أبي بكر ، والعربية لا تحتمل ذلك ، لأنه جمع بين حرفي عطف (فثم) والصواب

---

(١) ابن الشجري – مختارات شعراء العرب ، ص ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤
(٤) المصدر نفسه ، ص٦٢وانظرص٧٦، ٨٤، ٨٩، ٩٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ١١٣، ١١٦، ١٣٦، ٢٦٦، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٤٢، ٤٢١
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٤
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندي : فثمّ ، أي ففي ذلك المكان ، يقول : إن لي حاجة لا تنقضي أبداً"[١] .

وحين يأتي بمعنى كلمة ما يأتي بشاهد على صحة ما قال من معنى ، مثل "العديد : العدد ، قال الشماخ :

على أُمِّ بيضاءَ السلامُ مضَاعَفاً عَدِيدَ حَصَىً ما بين جِمْصَ وَشَيْزَرَا[٢]

فابن الشجري لا يكتفي بإعطاء المعنى ، ولكن طبيعته اللغوية تأبى عليه إلا أن يعطي دليلاً على ما يقول ، وهو لا يترك موضعاً يمكن أن يعرض فيه قضية لغوية إلا ويفعل ذلك ، ومنه : "ومن شأن العرب إذا اجتمع اسمان أحدهما أشهر من الآخر أن يغلبوا المشهور ؛ فيسمون الخامل باسم المشهور ، وكذلك إذا اجتمع اسم وكنية غلبوا الاسم ، ويغلبون المذكر على المؤنث ، قال الله عز وجل : (فلأبويه) ، وإنما هما أب وأم"[٣] .

إن مثل هذا الاهتمام باللغة لا يصدر إلا عن لغوي متمكن . ولكننا لا نجد هذا الاهتمام في كتابه الحماسة إذ نادراً ما يشرح شرحاً لغوياً أو يتعرض لقضايا اللغة ، وكانت تعليقاته في هذا الكتاب قليلة جداً من ذلك تعليقه على قصيدة للأعشى : "كوكب كل شئ : معظمه ، ومعروف في اللغة أن يقال لمعظم الشئ كوكبه ، وقال الأصمعي : مؤزر مفعّل من الإزار ، والشّرق:الريان الممتلئ ماء"[٤].

وربما لم يهتم باللغة في حماسته ليحاكي حماسة أبي تمام . وقد سيطرت على حماسته النظرة الجزئية فاختار البيت والبيتين . ولكن شاعريته جعلته يتنبه إلى ضرورة ذكر موقف الملحة حتى تفهم حسب السياق فتكتمل الصورة عند القارئ على وجه كبير من الدقة[٥] .

---

[١] ابن الشجري – مختارات شعراء العرب ، ص ٢٢٠

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٤٠

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤٨٥ وانظر ص ٥٠٠ .

[٤] ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ص ٧٤٩ ، وانظر ص ٧٥٠ ،٧٥١، ٧٥٢، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٨٣٥، ٨٣٧، ٨٤٠.

[٥] المصدر نفسه ، ص ٩٣١،٩٣٣،٩٣٤،٩٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التداخل بين العلوم في هذا العصر جعل اللغويين ينظرون إلى الشعر نظرة الأديب ، أو الناقد إليه ، ولم يعد الشعر القديم هو النموذج الذي يجب أن يحتذى ، وعمدوا إلى الاختيار من شعر شعراء عصرهم ؛ فشهاب الدين العنابي[١] يختار لشعراء عصره مع أن شعرهم في بعض الأحيان بادي الصنعة حيث لا فائدة ترتجى ، ولا معنى يستفاد منه ، ولا متعة جمالية فيه ، فالباب السابع من كتابه في الألغاز ، والتصاحيف ، والمعمى ، وغرائب الصنعة ، وفنون الشعر ، وقد أتى فيه بأبيات غير معجمة ، أو أبيات معجمة ، أو أبيات تعجم الصدور فيها دون أواخرها ، أو تعجم كلمة فيها دون كلمة ، ويختار أبياتاً رقطاء[*] أو أبياتاً تجمع حرف الصاد ، وأخرى تجمع حرف الحاء ، وثالثة تجمع حرف العين . ولا أدري كيف يتسق هذا الباب مع غاية المؤلف التي أوضحها في قوله إنه "اختار من جيد الشعر ومحكمه ، وأمثاله وحكمه ، وأن كتابه يحوي ملحاً غريبة ولمحاً عجيبة ، وطرائف اللطائف ، وجواهر النوادر ، وقلائد الفرائد ، وشوارد الفوائد"[٢] .

فأين اللطافة في قول ابن أبي الشحناء ؟

مَلِكُ الأمرِ دامَ أمرُكَ مسموعاً ... مُطاعاً ما حَالَ حَوْلٌ وحالُ

ورِعاكَ الإلهُ ما هَصَرَ الرعدُ ... وما دامَ للوِدادِ وصالُ[٣]

بل أين شوراد الفوائد في قول الشاعر ؟

ضَنَّتْ فَغَنَّتْ ببيتٍ فيَّ يُضْنيني ... بُثْنَي بُثْيُنُ ببيتٍ فيَّ يُشْقِيني

بِيني بُثَيْنُ فَبَيْ بَثٌّ يُفَتِّتُني ... شَيبي يُنَبِّيني ذَنْبي فَيُثْنِيني[٤]

---

[١] ابن حجر العسقلاني – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج١ ، ص٣١٨ . وانظر مقدمة محقق نزهة الأبصار ص ١٣-١٤ .

[*] الأبيات الرقطاء التي يعجم فيه حرف ويهمل حرف .

[٢] العنابي – نزهة الأبصار ، ص ١٧

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥٤١

[٤] المصدر نفسه ، ص ٥٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل مثل هذه الأبيات كانت تنال إعجاب اللغويين فيعدونها من جيد الشعر ومحكمه ؟

ورغم كل ذلك نقول : إن العنابي اهتم -بعض الأحيان- باللغة ورأى أن النحو حلية العلوم:

العِلْمُ زَيْنُ الفتى ، والنَحوُ حِلْيَتُهُ ... فَمَن خَلا مِنْهما فاعْدُدْهُ في البَقَرِ[١]

بل إن النحو من أجل العلوم :

النحـــوُ يَبْسُـطُ من لسانِ الأَلْكَنِ ... والمـــرءُ تُعْظِمُـــه إذا لم يُلْحِنِ

وإذا طَلَبْـــتَ من العُلـــوم أَجَلَّها ... فأَجَلُّها مِنهـــا مقيـمُ الألسُـنِ[٢]

وحين قسم الناس إلى طبقات في الباب السادس قدّم الأدباء والنحاة على الشعراء إذ جعل النحاة في الطبقة الثالثة بعد الملوك والوزراء[٣] .

إن الاهتمام بالنحو من قبل ابن الشجري والعنابي لأنه وسيلة تقويم اللسان ، وقد حفزهم إلى ذلك ضعف الثقافة اللغوية في عصرهم بسبب وجود الطبقة المستعربة التي كانت تتعثر في فهم اللغة العربية ، وعلى الأخص أدبها . ولكنهما لم ينسيا الالتفات إلى المعاني ، فالعنابي مثلاً رأى في الشعر وسيلة لتقويم الإنسان فعمد إلى اختيار ما يقوّم الأخلاق ، ويرشد إلى الطريق القويم ، وهذا ما يفسر لنا سر اختياره لقصيدة أبي الحسن القرشي رغم طولها ؛ إذ بلغت مائتين وبيتين ، وهذه القصيدة تدخل في باب الوعظ والارشاد لما تحمله من نصائح وحكم .

قال الشاعر :

الحمـــدُ للـــهِ القديمِ الماجـــدِ ... ذِي الطَّـــوْلِ والإنعامِ والمَحامِـــدِ

حَمْـــــداً يَفُوقُ حمدَ كلِ الخلقِ ... ومـــا أُطيـــقُ شُكرَ بعضِ الحقِ

ثُـــمَ الصـــلاةُ بعدُ والســـلامُ ... علـــى نبـــيِ دينُـــه الإســـلامُ

سألْتَنِـــي الإفصاحَ عن ذا الحِكَمِ ... ونزهـــةِ الألبـــابِ ، خُذْها كالعَلَمِ

---

(١) ابن حجر العسقلاني – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ص ٥٣

(٢) العنابي – نزهة الأبصار ، ص ٤٩٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨٩-٥٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خُـــذْ يا بنُـــيَّ هذه النصائحا واسْتَعْمِلَنْهَـــا غَـــادياً ورائحـــا[١]

والملاحظ على كثير من الأبيات التي اختارهـا العنـابي السـهولة ، إذ إن اللغويين فـي هذا المبدأ كالنقاد الذين بحثوا عن السهولة لتقريب المعاني إلى ذهن القارئ لأن غاية معظمهم –النقـاد واللغويين– من المختارات التعليم ، ولا يكون التعليم إلا بما يفهم . وقد دعا ابن خلدون مثـلاً إلـى السهولة ، وناشد الأديب أن يجتنب المعقد من التراكيب ، وأن يقصد منها ما كانت معانيه تسـابق ألفاظه إلى الفهم"[٢] ، وسبب هذه الدعوة ما آلت إليه العربية في ذلك العصر من فساد .

---

[١] العنابي – نزهة الأبصار ، ص ٣١٧–٣٢٦

[٢] ابن خلدون – مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ٥٦ ، ص ١٢٧٩–١٣٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختيار البلاغي :-

إن الفنون البلاغية كانت حاضرة في الشعر منذ العصر الجاهلي ولكن دون أن تطلق عليها المسميات فكثيراً ما فاضل النقاد بين الشعراء في الجودة والحسن وكان التشبيه أساساً من أسس التفاضل ، وقد ربطوا بين الشاعرية والقدرة على الوصف ؛ كما في "قصة أبي حسان بن ثابت حين جاء لأبيه باكياً يقول : لسعني طائر . قال : فصفه لي يا بني ، قال : كأنه ثوب حبرة ، قال أبو حسان : قال ابني الشعر ورب الكعبة"[١] .

فمن يقدر على الوصف يكون قادراً على قول الشعر ، فالتشبيه جوهر الشعر . ولم يغفل ابن سلام عن دور التشبيه حين جعل الشعراء طبقات فقال "كان امرؤ القيس أحسن طبقته تشبيهاً ، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمة"[٢] . إلا أن الألوان البلاغية قد ازدادت كثافتها في نهاية العصر العباسي والعصور التالية له ، مما جعل النقاد يضجون من هذا التضخم . وقد شبه شهاب الدين محمود الحلبي "مجئ البديع عفواً من غير تكلف كالرقم في الثوب ، والشذرة في القلادة ، والواسطة في العقد"[٣] .

وقد علل ابن خلدون ولع الأدباء في عصره بالسجع (لأنهم يلفقون ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ، ومقتضى الحال فيه ، ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالأسجاع والألقاب البديعية"[٤] .

وعلي بن منجب[٥] واحد من الأدباء الذين تولوا ديوان الرسائل بمصر ، وبرعوا في البلاغة ، ومقدمة كتابه المختار من شعر شعراء الأندلس الموجزة تحمل في طياتها فنون البلاغة ، يقول فيها :

---

(١) الجاحظ – الحيوان ، ج٣ ، ص ٦٥

(٢) ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء ، ص ٤٦

(٣) شهاب الدين محمود الحلبي – حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، ص ٩٠-٩٣

(٤) ابن خلدون – المقدمة ، ص ١٢٨٥ – ١٢٨٧

(٥) معجم الأدباء ، ج١٥ ، ص ٧٩-٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ودراسة البلاغة تنقسم إلى : نظم ونثر ، وقد اختلف الناس في التفضيل بينهما ، والذي نرغب أن يكون مذاكراً وبمحاسنه محاضراً ، له منه على ما يسمعه ، والعناية بما يعلقه ويجمعه ، ومن جعل الحق مقصوده ، والانصاف مطلوبه ، علم أن الفضائل ليست مخصوصة ببعض الأمكنة ولا مقصورة على قديم الأزمنة"[١] .

لقد نظر ابن الصيرفي إلى الشعر من منظور بلاغي ، إذ كان يفضل من الشعر ما يحمل فنوناً بلاغية ، يقول : "هذا أحسن ما سمعته في هذا الباب لما فيه من ذكر الجواب"[٢] والأبيات التي استحسنها لأبي الوليد تتزين بكثير من ضروب البديع :

بَيني وَبَيْنَكَ ما لو شِئْتَ لمْ يَضِعِ ... سِرٌ إذا ذاعَتِ الأسرارُ لم يَذِعِ

يا بائعاً حَظَّهُ مني ولو بُذِلَتْ ... لِيَ الحياةُ بحظّي مِنْهُ لَمْ أَبِعِ

تِهْ أحتملْ ، واستطلْ أصبرْ ، وعزّ أهُنْ ... وولِّ أُقبلْ ، وقُلْ أسمعْ ، ومُرْ أُطِعِ

وقد علق على بيت أحمد بن دراج القسطلي :

فأدبَرَ الليلُ مُشمَطاً ذوائبُهُ ... وأقبَلَ الصُبْحُ مَوْشِياً أكارِعُهُ

أصاب في الإشارة إلى التشبيه[٣] .

إن هذا المختار الشعري لا يكاد يخلو فيه بيت من محسن بلاغي أو أكثر . وقد كان يعجب صاحبه بأنصاف الأبيات لما تحمله من المعاني القائمة بذاتها ولما تحويه من ضروب البديع مثل :

ومن عجبٍ شكوى الجريح إلى النَّصلِ[٤] .

---

(١) ابن الصيرفي – المختار من شعر شعراء الأندلس ، ص ١٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، وانظر ص٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحاول ابن الصيرفي أن يقف على شعر المحدثين من أهل الأندلس ليبين مواطن جودة هذا الشعر ، والتي رآها في جمال الوصف ، وقد بدأ كتابه بشعر ابن عباد يصف مجناً فيه كواكب فضة[١] ، وهذه الأبيات كغيرها تحمل صوراً بلاغية فنية . فالصورة غاية كبرى وخير الشعر ما اعتنى صاحبه بالتصوير . لذلك لم يهتم أصحاب المختارات بفنون البديع ، حتى البلاغي منهم كان اهتمامه منصباً على الصورة الفنية .

[١] ابن الصيرفي – المختار من شعر شعراء الأندلس ، ص ١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختيار العالم :-

لم يخل أدب هذه المرحلة من وجود علماء يهتمون به ، إذ النفس البشرية تعشق ما يمس كنهها. وقد نظر العلماء للشعر نظرة تتوافق ونقد هذه المرحلة ، فالطبيب الكتاني[١] اقتصر في مختاره على بيئة معينة ؛ وهي الأندلس . في محاولةٍ لإثبات مكانتها الأدبية ، وإذا كان ابن أبي عون في المشرق قادراً على صوغ كتاب التشبيهات ، فهو قادر أيضاً على صنع كتاب يماثله في المغرب العربي .

ولما كان للأندلس طبيعة خلابة ألقت بظلالها على شعر شعرائها ، وجدنا شعرهم يتسم بالوصف الحي ؛ ذلك الوصف الذي تمتزج فيه الطبيعة بالنفس البشرية في كل حالاتها ؛ في الفرح ، وفي الحزن ، وفي الضعف ، وفي القوة ، وفي الفقر ، وفي الغنى . وهذا الوصف لا يقوم إلا بالتشبيه ، لذلك أسهم الاهتمام بالتشبيه في تشكيل الذوق الأدبي السائد ، ولم يكن العلماء بدعاً في ذلك . وقد كانت مختارات الكتاني دليلاً على هذا الذوق السائد ، فقد قصرها على التشبيهات فكانت الأبيات لا تخلو من أدوات التشبيه بصورها المختلفة (الكاف ، يحكى ، كأن ، تشبه ، مثل ، كأنما ، خلت ، خالها ، يشبهها) .

ومن ذلك قول أحمد بن دراج يصف دار السرور بالزاهرة .

دارُ السـرورِ المُعتلي شُرُفاتُها ... فوقَ النُّجومِ الزُّهرِ في استعلائِها

وكأنَّ غُرَّ المُـزْنِ لما جادَهـا ... نَشَرَتْ عليها مِـن نَفيسِ مُلائِها

وكأنَّما أيدي السُّعـودِ تَضَمَنَـتْ ... إبداعَـهـا فَبَنَـتْ على أهوائِهـا

وكأنَّ رَيْحانَ الحيـاةِ ورَوْحَهـا ... مُسْتَنْشَقٌ من نافحـاتِ هوائِها

فكأنَّما اصطُفِيَتْ طلاقَـةُ بِشْرِهـا ... مِن أوْجُهِ الأحبابِ يَوْمَ لقائِـهـا[٢]

---

[١] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، المجلد الأول ص ١١٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣٢١، وانظر الوافي بالوفيات ، ج٣ ، ص ١٦ . وانظر التكملة ، ج١ ، ص ٣٦٧ .

[٢] الطبيب الكتاني – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونادراً ما تكون الأداة محذوفة مثل قول الشاعر في الرماح :

وأصــــمَّ معتدلِ الكُعُــوبِ هَزَزْتُهُ فهوى هُوِيَّ البـــارِقِ المتألـــقِ

ظـــمآنُ إلا أن يُوافِـــقَ مَنهـــلاً بيـــنَ الجوانـــــحِ من دمٍ مُتدفِقِ[١]

وأفضل الشعر عند المصنف هو ذلك الشعر الموشى بالبديع :

وقريضٍ كوشيِ صَنْعاءَ في الرَّقـ مِ ووشيِ الريـــــاضِ في التنويرِ[٢]

ويجعل مهور المعاني في جمال البديع . ولذلك يعجب بقول علي بن أبي الحسن :

وافي غَمامٌ من قريضِكَ صَيِّـبٌ بَخلَـتْ بمِثْـلِ غَمامِـــهِ الأنواءُ

فكأنَّـــهُ رَوضٌ وعِلْمُـــكَ نَوْرُهُ وكأنَّـــهُ قَطْـــرٌ وأنـــتَ سماءُ

أرتَعْتُ فِكري منْـهُ في مَوْشِيَّـــةٍ مـــا أبْـــدَعَـــتْ شكلاً لها صنعاءُ[٣]

والشعر المنمق المزين بالبديع أشبه ما يكون بالرياض الموشاه فينتشي السامع للشعرنشوة الناظر للرياض :

وقـــد نُمِقَتْ كالروضِ إلا أنهـا طابَتْ كَطِيبِ المِسْكِ للمُسْتَنشـــقِ

فإذا تأمَّـــلَ حُسْنَهَـــا مُتَأمِـــلٌ فَظَنَّ تأملَ رَوْضَـــةً فـــي مُهْـرَقِ[٤]

"إن التوفر على التشبيهات في المشرق والمغرب ، يدل على أن الاهتمام بالصورة الأدبية هو الذي أخذ يسيطر على الذوق العام ، إلى أن تتضاءل القصيدة بحيث تصبح عدداً من الصور المختارة لروعتها"[٥] .

والخلاصة إن صاحب الاختيار يقرأ الأثر فينفعل ، ونتيجة انفعاله يفسر ويحاول أن يصدر أحكاما

---

(١) الطبيب الكتاني – التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ، ص ١٩٣

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١١

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١١

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣

(٥) إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يراها قاطعة بحال- وهذه الأحكام على الرغم من أنها ذاتية أساسها نوع التجاوب ، أو درجته مع الأثر ترتبط بقواعد سابقة أو آراء موضوعية ، وهذه الآراء والقواعد هي التي تشكل ثقافة صاحب الاختيار ، وفلسفته في الحياة والفن ، ورؤيته لهدف الشعر ؛ هل هو للإمتاع واللذة أم للفائدة والتهذيب؟

ويبدو أن طائفة من الأدباء قد استهوتهم القيمة الجمالية والأخلاقية ، وطائفة اللغويين قد مالوا إلى القيمة الجمالية الشكلية .

إن صاحب الاختيار يريد أن يرى المضمون ، وبمقدار طواعية هذا المضمون لتفسير الحياة يقبل النص ويختاره ، ويكون ذلك على أساس حسن الفهم والتذوق وقوة الملاحظة ، لذلك كان يُشترط في الناقد أن يكون ذا مؤهلات ذاتية ، ومؤهلات مكتسبة ، ولم تكن المؤهلات المكتسبة بعيدة عن متناول النقد القديم ؛ فابن الأثير رأى "أن هذه الصناعة تحتاج إلى ثمانية أنواع من الآلات :

"النوع الأول : معرفة علم العربية من نحو وتصريف .

النوع الثاني : معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ، ولا المستكره المعيب .

النوع الثالث : معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التي جرت في حوادث خاصة بأقوام ، فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضا .

النوع الرابع : الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة والمنثورة ، والتحفظ للكثير منه .

النوع الخامس : معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة ، والإمارة والقضاء.

النوع السادس : حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النوع السابع : حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبـي صلـى اللـه عليـه وسلم ، والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال .

النوع الثامن : وهو مختص بالناظم دون الناثر ، وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر"[١].

إن هذه الآلات المرتبطة ببعض العلوم الإنسانية أسهمت -إلـى حد مـا- فـي تيسير مهمـة صاحب الاختيار في كونه يخدم أطراف العملية الإبداعيـة وهـم : القـارئ ، والمبـدع ، والنـص ، فهو يخدم القارئ حين يوفر عليه الوقت والجهـد بمـا يختـار لـه مـن نصـوص ، ويرشـده إلـى مـا تحسن قراءته ، فهو يقرب البعيد للقارئ . وحين نقول : إنه يخدم المبدع نعني أنه يقرب صـاحب الأثر من المتلقين ، أما حين نقول : إن صاحب الاختيار يخدم النص ، فمعنى ذلك أن اختياره لـه قد يحفظه من الضياع ، ويوجه الأنظار إليه . وقد كـان لثقافـة صـاحب الاختيـار أثر فـي توجيـه اختياراته فتنوعت اتجاهاتهم على النحو التالي :

١- اختيار الأديب :

حاول الأدباء جمع شعر ذي ألفاظ موحيـة تثير المعـاني التـي لهـا وقـع كبـير فـي النفـس ، فانشغلوا بالمثل السائر ، والبيت المشهور ، وطغت النظرة الجزئية على اختياراتهم ، وقـد أولعـوا بالشعر الذي يحوي صورا فنية لما لها من أثر في النفس ، وقد وجدوا ضالتهم في الشعر الحديث أكثر من القديم ، فاختاروا من الشعرين دون تفضيل أحدهما على الآخـر لقدمـه أو حداثتـه ، وقـد استهوتهم القيمة الجمالية الأخلاقية .

٢- اختيار الناقد :

ان اختيار الناقد كان ثمرة من ثمـار المعـارك النقديـة والأدبيـة ، وقـد كـان اختيـاره تطبيقـا

---

[١] ابن الأثير - المثل السائر ، ج١ ، ص ٤٣-٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمقولات نقدية ذاعت في عصره ؛ مثل قضية القديم والحديث ، حيث اختار الجرجاني -مثلاً- للبحتري ، وأبي تمام والمتنبي ، فأرضى بذلك مؤيدي القديم ومؤيدي الحديث .

وقد كانت نظرة النقاد إلى الشعر جزئية كالأدباء ، فالجرجاني صاحب نظرية النظم كانت نظرته إلى الشعر جزئية . ولا عجب في ذلك ، إذ النظم عنده قائم على علمي النحو والبلاغة ، ويهتم بالجملة .

٣- اختيار اللغوي :

يكره اللغوي الألفاظ الدخيلة ، وينفر من أسلوب المحدثين ، وقد كان صوته عالياً في القديم إلا أنه هدأ بعد الحركة النقدية التي قامت حول شعر المتنبي . ولعل التداخل بين العلوم جعل اللغوي ينظر إلى الشعر نظرة الأديب أو الناقد إليه ، فاختار من شعر القدماء والمحدثين ، ولم يقتصر على القديم فقط ، وقد نظر أحياناً إلى الشعر نظرة شمولية فعمد إلى اختيار قصائد كاملة ، وأحياناً كان يختار أبياتاً معدودة . وقد تطرق لجوانب إعرابية ، وقضايا نحوية خلال مختاراته .

٤- اختيار البلاغي :

إن الألوان البديعية ازدادت كثافتها في العصور التالية للعصر العباسي ، إلا أن هذه الكثافة لم تظهر كثيراً في المختارات على الرغم من شيوع ألوان البديع في مقدماتهم ، لأن البديع اقترن بالكلفة والصنعة ، وأصحاب الاختيارات حاولوا الابتعاد عن الشعر المتكلف ، وبحثوا عن أبيات اعتنت بالتصوير ، إلا ما ندر[١]

---

[١] انظر الباب التاسع في نزهة الأبصار للعنابي في الألغاز والتصاحيف والمعمى وغرائب الصنعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- اختيار العالم :

إن مؤهلات العالم المكتسبة المتنوعة جعلته قادراً على خوض مجال الاختيار ، وقد أسهم الذوق الأدبي السائد في تشكيل ذوق العالم ، فكان اختياره يوافق الذوق السائد ، الذي اهتم بالصورة الأدبية ، وركز على الشعر الحديث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

معايير المختارات

١- مقدمة في معايير المختارات

٢- المعيار الجمالي

٣- المعيار التعليمي

٤- المعيار الأخلاقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معايير المختارات

من البديهي أن كل عمل أدبي يحمل في طياته هدفاً يختلف تبعاً لارتباطه باتجاهات دينية ، وفكرية ، ونفسية ، واجتماعية ، وقد انطلقت هذه الأهداف من منزعين أساسيين :

أحدهما : يذهب الى أن الفن عموماً –والأدب فرع منه– وظيفته أن يعلم ويهذب ليصلح الفرد ويجعله في خدمة المجتمع ، فالأدب أداة نافعة وقد ارتبط هذا الهدف الإصلاحي بالدين لأن الشعر والدين يشتركان في أنهما يهتمان بمشكلة الإيمان بالحياة ودور الانسان فيها ، وإن اختلفا في طبيعة كل منهما . ويدخل في هذا المنزع الوظيفة التربوية ؛ إذ عدّ الأدب مادة تعليمية يدعو الى الفضيلة ، فالتعليم والأخلاق هدفان لا ينفصلان في الأدب .

ويدخل في إطار الهدف النفعي الوظيفة النفسية ؛ فالشعر له تأثير عميق في النفس لأنه ينفذ اليها ، وينسرب في إطار طواياها انسراباً عجيباً فيحدث فيها التأثير المطلوب ، وغالباً ما يكون مرتبطاً بالأخلاق .

وثانيهما : يرى أن الأدب للمتعة والتسلية ، وهو مجرد من الغاية النفعية ينشد الجمال من غير أن يطلب منه أن يؤدي وظيفة ما . وعلى الرغم من أن النقد الجمالي يشكل على خارطة النقد مساحة لها تميزها ، إلا أن النظرة الجمالية المحضة لا يمكن أن تتحقق ، لأن الجوهر المعرفي مرتبط مع الرؤى الجماليةارتباطاً وثيقاً .

ولم ينظر أصحاب المختارات الى الشعر على أنه مجرد من الهدف ، غايته التشكيل الجمالي ، أو الامتاع ، وإنما ارتبط الشعر عندهم بشكل واضح بالأهداف الأخلاقية والتعليمية والنفسية ، وهي غايات مرتبطة بفنية الشعر ، فالأهداف بينها ترابط متين ، وانسجام قوي ، والفرق بين مختار وآخر –من حيث الهدف– يكمن في تغليب هدف على آخر .

وكما أسلفت فإن النظرة الجمالية المحضة منتفية ، لأن أصحاب المختارات يحملون رسالة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا لا يعني إغفالهم الجوانب الفنية ، إذ النزعة الجمالية كامنة في النفس الإنسانية لا يستطيع أحد التخلي عنها ، كما أن المطلب الأخلاقي والديني والنفسي يسيّر الإنسان ويجعله يتخذ مواقفه من الحياة .

فإذا تم صقل التجربة الجمالية من خلال المطالب والاحتياجات الإنسانية فإن الغاية المتوخاة من الشعر ستتحقق دون شك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعيار الجمالي

إن القيم الجمالية نتاج علاقة الكائن الاجتماعي بالسياق الذي يتنامى فيه . وعلى الرغم من أن ثمة اختلافا بين علماء الجمال حول ماهية الجمالي وطبيعة المفاهيم الجماليـة إلا أنهم لا يختلفون في أن الفن نتاج جمالي أولاً ؛ فهو صادر عن الوعي الجمالي ، ومصوغ بحسب مفهوم الجمال . والاختلاف بين علماء الجمال ناتج عن نسبية الجمال نفسه ، وقد يكون من السهل القول : هذا المنظر رائع ، بيد أننا نبدأ بمواجهة الصعوبات عندما نحكم على أمور معنوية . وكون الجمال نسبياً يعني أنه ذاتي وموضوعي في آن ، ولهذا "كانت خاصة (الجمالية) لشيء ما ليست صفة لهذا الشيء ، بل نشاط ذاتي ، وموقف تتخذه إزاء هذا الشئ"[١] .

وتبدو مصطلحات علم الجمال فضفاضة ، ومن أكثر المفاهيم الفلسفية إشكالية ، فهيغل ، مثلاً ، يعرف الجمال بأنه "الفكرة المقصورة كوحدة مباشرة بين المفهوم وواقعه"[٢] ثم يعود ليقول : "إن الفكرة هي الجمال الكامل في ذاته[٣] .

وقد رأى بعض النقاد بأن الجميل "رمز الخير الأخلاقي"[٤] ، ومنهم من رأى أن "الجميل يشير الى ما له قيمة استطيقية[٥] على نحو معين"[٥] .

إن العلاقة الجمالية تقتضي الاتصال الحسي بالموضوع والتنزه عن النفع الذاتي والمعايشة الإنفعالية ، والتقويم الجمالي له إطاره المرجعي الخاص به ، "والإطار المرجعي يعني بإيجاز مجموعة من الأفكار والمعتقدات والعادات التي تيسر للإنسان القيام بأعماله إرسالاً أو استقبالاً

---

(١) دني هويسمان – عل الجمال ، ص ١٢٩

(٢) فريدريك هيغل – فكرة الجمال ، ص ١١

(٣) المصدر نفسه – ص ٧٨

(٤) .ويليام ويمزات وكلينث بروكس – النقد الأدبي (تاريخ موجز) ، ج٣ ، ص ٥٣٩.

(٥) استطيقا : علم الجمال وقد أخذت عن اليونانية Aesthesis ، ومعناها إدراك حسي . انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة – مجموعة من العلماء ، ص ٢٨٠

(٥) جيروم ستولنيتز – النقد الفني ، ص ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيسر ودون مصاعب" [١] .

وإذا كان الجمال مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بالحاجات الإجتماعيـة العامـة ، فإنـه يتبدل ويتغير تبعاً لتغير وتبدل تلك الحاجات الإجتماعية عبر العصور ، فما هو جميل في مرحلة ما ، قد يصير قبيحاً فيما بعد . فالواقع إذ يتطور يدفع بجمالياته إلى التطور ، مما يجعل تطبيق جماليات مرحلـة اجتماعية معينة على مرحلـة مختلفـة عنهـا نوعيـاً هـو تطبيـق خـاطئ ، لا يـأخذ بعين الاعتبـار خصوصيات كل مرحلة . وقد ارتبط مفهوم الجمال عند النقاد العرب المحدثين بالشكل ، وأوضـح مثال على ذلك قول روز غريب : " النقد الجمالي هو نقد للفن مبني على أصول "الإستاطيقي" أو علم الجمال الذي يُعنى بدرس الأثر الفني من حيث مزاياه ومواطن الحسن فيـه بقطـع النظـر عـن البيئة ، والعصر ، والتاريخ ، وعلاقة هذا الأثر بشخصية صاحبه"[٢] .

وقد ذهب عز الدين اسماعيل إلى أن مفهوم الجمال "إدراك حسي ؛ فالحواس هي التي تـدرك الجمال في الجميل ، وهناك الجمال المعنوي الذي يدرك بالبصيرة"[٣] . ولأن العمل الأدبي "عمـل حسي فإن النقاد قد انصرفوا إلـى الاهتمـام بالشـكل أكـثر مـن المضمـون ، فكـان قصـارى العمـل الأدبي الناجح أن يحدث اللذة"[٤] . لذلك فالنقد الجمالي لا يكون اهتمامه بالعمل الفني أو الموضوع أو المضمون بمقدار اهتمامه بالشكل ، "فالإطار العام والبناء الداخلي والصور وعلاقات الجزئيات تحتل مكان الأهمية عند الناقد الجمالي"[٥] .

وقد ضاق أحمد أمين ذرعا بنظريات علم الجمال ، واعتقد أن خطر علـم الجمـال نـاجم عـن

---

(١) عبد الحميد حنورة – التذوق الفني بين المبدع والتلقي (خصائص التذوق الفني) ، ص ٨٧
(٢) روز غريب – النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، ص ٥
(٣) عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ١٦٩
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٣
(٥) محمد حسن عبد الله – مقدمة في النقد الأدبي ، ص ٤٨–٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"إن الدارس الجمالي يتعمق في البحث التفكيري المجرد تعمقاً يؤدي به الى أن يبتعد تماماً عن الموضوع الأدبي الذي يبحث فيه ، فيغرق في الحجج من التفكيرات الفلسفية ، والخلقية ، والنفسانية ، تجعله في منأى عن الأدب والذوق الأدبي ، بل تنتزع منه الحاسة الجمالية نفسها ، فيصبح الدارس الجمالي لا جماليا ، لأنه قد فقد حواسه الفنية ، واستحال الى آلة مفكرة لا ذوق لها ، ولا إحساس فيها بالحسن"[١] . فنظريات علم الجمال "ليست أكثر من تسلية عقلية"[٢] .

وإذا كنا لسنا بحاجة الى علم الجمال أثناء تذوقنا الجمالي –لأن هذا التذوق يعني الإحساس بالجميل والشعور به والاتحاد وإياه – إلا أنه يغني تجاربنا الجمالية وينمي أذواقنا فيسهل استيعابنا للتذوق الجمالي عند الآخرين .

ومهما يكن التباين في النظرة إلى الجمالي فلا ينبغي عزلة عن أساسه الإجتماعي والتاريخي ، وعن مجمل النظرية الأيدولوجية لهذه التشكيلة الإقتصادية والإجتماعية . ولا شك في أن الفنان لا يمكنه الإبداع من دون مثل أعلى يسعى الى تمثله "إذ إن المثل هو الذي يقف وراء النمذجة الفنية بشكليها الإيجابي والسلبي ، ووراء الصورة الفنية ، كما يقف وراء تجسيد القيم الجمالية ، كالجليل والجميل والتراجيدي والكوميدي ..."[٣]

إن العناية بالشكل مردها الى الحاسة الجمالية الكامنة في طبع الشاعر ، ولذلك ارتبط الجمال عند النقاد القدماء بالصنعة ، ويظهر ذلك من خلال تعريفهم الشعر ؛ فابن طباطبا فسّر علة حسن الشعر على أساس حسي بقوله : "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو وافٍ وما مجه ونفاه فهو ناقص . والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه لما يقبله ، وتكرهه لما ينفيه"[٤] ، فالجمال شكلي بالدرجة الأولى .

---

(١) أحمد أمين – النقد الأدبي ، ص ٣٣٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٣) فؤاد مرعي – المفاهيم الجمالية ، ص ١٤

(٤) ابن طباطبا – عيار الشعر ، ص٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعريف قدامة للشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"[١] دليل على ذلك . وينبغي القول بأن الشعر ليس كلاماً موزوناً مقفى فقط ، إذ ليس كل كلام موزون شعراً . فهذا التعريف لا يفي بحق الشعر ، ولا يعبر عنه لأن "الكلام على الوزن والقافية إنما هو كلام في الظواهر الشكلية ، وليس فيه شئ من العمق والغوص على قرارة كنهه ، ومعرفة حقيقته ، وبواعثه ، ودراسة العواطف والانفعالات ، ووسائل تصويرها"[٢] ويرى صاحب الوساطة أن الأسلوب المثالي هو ذاك الأسلوب الذي "يترك التكلف ويرفض التعمل"[٣] . فصاحب الوساطة يحاول الخروج بالشعر من براثن الصنعة وما يتعلق بها من تكلف وتعمل .

أما المرزوقي فقد حدد عمود الشعر وجعله يرتكز على "شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات – والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها معيار"[٤] . إن عمود الشعر عند المرزوقي يُعنى بالقواعد الفنية الصحيحة لقول الشعر بحسب ما يراه العرب من أسرار الجمال الفني في الأدب ، وهذه القواعد تشمل المعنى ، واللفظ ، والصورة الشعرية وأسلوب الشاعر .

وقد رأى ابن سينا أن المخيلات تلعب دوراً كبيراً في الشعر على مستوى المبدع والمتلقي ، "فالمبدع بتخيله يستطيع أن يُعيد تشكيل الأشياء المحسوسة في صورة جديدة ، وبذلك تكون مهمة

---

(١) قدامة بن جعفر – نقد الشعر ، ص ٣ – ٧
(٢) بدوي طبانة – قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، ص ١٦٩
(٣) القاضي الجرجاني – الوساطة ، ص ٢٥
(٤) المرزوقي – شرح ديوان الحماسة ، ص ٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التخيل هي الابتكار والإبداع"[١] .

وكان أبو العلاء المعري في طليعة الذين أدركوا أن في الشعر سراً يخرج به عمّا عرّفه قدامة . فنراه يقول : "الشعر كلام موزون تقبله الغريزة ، على شرائط ، إن زاد أو نقص أبانه الحس"[٢] فالمعري يجنح بالشعر ناحية الذوق[*] والحس المرهف .

أما الجرجاني فقد قسّم المعاني إلى قسمين : عقلي ؛ (ما ظهر لك واستبان ووضح واستنار ، وهذا صنف من القول لا يدخل في إطار الشعر ، بل ليس للشعر في جوهره وذاته نصيب"[٣] ، وقسم آخر تخييلي ؛ هو مناط الشعر والشاعرية "لأن الشعر يكفي فيه التخييل ، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل"[٤] .

إن الجمال عند الجرجاني قائم في طرائق التعبير أو هيئات التراكيب ، فالنظم أساس الجمال في الشعر والنثر ، والنظرة الجمالية عند الجرجاني قائمة على طبيعة العلاقات التي تتفاعل في السياق ، وتتحد في التعبير ، وهذه النظرة الجمالية كانت بذرة فلسفة الجمال الأدبي التي توسع فيها الغربيون ، وهذا ما جعل أحد الباحثين يقارنه بكروتشه[٥] .

وقد كان عبد القاهر معجباً بالمجاز فجعله جوهر الشعر ، وإذا كانت الصور البيانية هي عناصر الخيال الرئيسة ، فإن الميزة عند الجرجاني تتعلق بحسن التأليف ، ودقة الصنعة ، "وإن أحسن أنواع التعبير ما كانت فيه جميع الأجزاء في الصورة سواء كانت أساسية أو ثانوية موضوعة في أماكنها اللائقة بها ، والجزء الذي يكون في غير مكانه يسئ إلى المجموع ، لأن

---

(١) ابن سينا – الشفا ، النفس ، ص ٣٦

(٢) أبو العلاء المعري – رسالة الغفران ، ص ٢٥١

(*) الذوق:كما ورد في تعريف علماء النفس المحدثين "استعداد خاص يهيئ صاحبه لتقدير الجمال، والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما يستطيع في أعماله وأقواله وأفكاره"حامد عبد القادر–دراسات في علم النفس الأدبي،ص ١٤٥

(٣) الجرجاني – أسرار البلاغة ، ص ٢٣٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ .

(٥) محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث ، ص ٢٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفن يتطلب انسجاماً بين جميع الأجزاء"[١] .

أما حازم القرطاجني فيحلل طبيعة الأدب ويذهب إلى أن الأسس المكونة لكل تعبير فني هي : الواقع الخارجي ، والمعنى واللغة ، يقول في ذلك : "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شئ له وجود خارج الذهن ، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصور الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"[٢] .

إن هذا الانتباه إلى جمالية الشعر وجوهر الإبداع الفني دليل على الوعي العميق لتناغم الذاتية والموضوعية في الأدب .

وقد جمع القلقشندي بين الذاتية والموضوعية ، فجعل الموضوعية أولاً ثم الذاتية : "علوم البلاغة لازمة للكاتب يتوصل بها إلى فهم الخطاب ، وإنشاء الجواب ، والأديب العاري منها قاصر عن أدنى رتب الكمال ، يجيد ولا يدري كيف يجيد ، فلو سُئل عن عِلة معنى استحسنه أو لفظ استحلاه أو تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل ذلك ، ذلك أن من محاسن الكلام ما لا يحكم في امتزاجه بالقلوب غير الذوق السليم ، لكن الغالب في الكلام أن يعلم سبب تحسينه ويجاب عن العلة في ارتفاعه وانحطاطه)[٣] .

يبقى أن نقول : إن الذوق متطلب جمالي وحسي لا غنى عنه ، "فالذوق السليم عدة الناقد ، وإليه يرجع إدراك جمال الأدب ، والشعور بما فيه من نقص ، وإليه نلجأ في تعليل ذلك وتفسيره ، وبه نستعين في اقتراح أحسن الوسائل لتحقيق الخواص الأدبية المؤثرة"[٤] .

---

(١) محمود السمرة – مقالات في النقد الأدبي ، ص ٧٣

(٢) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ١٨–١٩

(٣) القلقشندي – صبح الأعشى ، ج١ ، ص ١٨١–١٨٩

(٤) أحمد الشايب – أصول النقد الأدبي ، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان الذوق فطري إلا أن الوتيرة التي يتم بها تعتمد على تجارب الانسان المكتسبة من جراء احتكاكه بالواقع ، وتشكل أثناء عملية تربية الانسان وتكوينه ، والمتذوق الذي يريد الكشف عن مواطن الجمال في الأدب يحتاج الى جهد وعلم كبيرين ، وتبقى نظرته للادب معبرة عن نفسه والكوة التي ينظر من خلالها الى الادب . *

ويقف المعيار الجمالي متصدراً المعايير متميزاً عنها ، لأنه ينسحب على معظم المختارات الشعرية التي ينظر أصحابها الى القصائد من منظور التفاوت ، فأبيات القصيدة ليست في مستوى واحد من الجمال .

وهذا يفسر انتقاء أصحاب المختارات لابيات بعينها دون غيرها من قصيدة ما، وهم يؤكدون هذا الاساس الجمالي في مقدماتهم ، فالثعالبي يذكر أنه أثبت في كتابه أحسن ما سمع ليكون الكتاب نزهة للناظر وبهجة للخاطر[١] .

وعبد القادر الجرجاني يقول: "وقد أخرجنا من هذه الدواوين خيار الخيار ، وما هو كوسائط العقود وأناسي العيون ، وكسبيكة الذهب ، وكالطراز المذهب" .[٢]

أما ابن سعيد الاندلسي فيعرف بكتابه قائلا : "هذا مجموع أوردت فيه من غرائب شعر المغرب ما كان معناه أرق من النسيم ، ولفظه أحسن من الوجه الوسيم ، ليرف على نداه ريحان القلوب ، وتتعلق الاسماع بمعاده تعلق عين المحب بطلعة المحبوب [٣] ، وعنوان هذا الكتاب دال على غاية مؤلفه.

وقد جمع جنيد محمود أشعاراً وصفها بأنها :"معين صافٍ ينشرح منها الصدر ، وينفسح منها القلب ، وتقر بها العين ،ويزان بها المجلس ، ويُشحذ بها الذهن ، ويقدح بها زناد الفهم " [٤] ،

---

* أنظر عايش العايش – مختارات عبد القاهر الجرجاني ، ص ٧٥– ٨٢

(١) الثعالبي – اللآليء والدرر أو أحسن ما سمعت ، ص٢١ .

(٢) عبد القادر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠١ .

(٣) ابن سعيد الاندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٣١.

(٤) جنيد بن محمود – حدائق الانوار وبدائع الاشعار ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي رياض تجتنى بالأفكار ، ورياحين تشتم بالأسرار"[١] . هذه الأسرار قد تستعصي على التعليل والشرح ، فيقف الناقد عاجزاً عن بيان مكامن الجمال ، ومنابع الحسن .

ومن الطبيعي أن ينظر الناقد إلى حسن النظم ، ورقة المعاني ، وجودة الألفاظ وملاءمتها للمعنى ، وجمال الصور ، وانسجام الايقاع ، وصدق الشاعر ، وعمق تجربته ليتم التواصل بين الشاعر والقارئ ، فإن وقع التواصل أخذ القارئ بالقصيدة دون أن يدري بأي جانب أخذ .

وكتب المختارات صورة لاستحسان أصحابها بعض الأبيات دون تعليل لهذا الاستحسان ، فالثعالبي مثلاً كان يصدّر الأبيات المختارة بقوله : "من أحسن ما قيل" أو "من أحسن ما سمعت" أو "من أظرف ما قيل" . وقد تردد أفعل التفضيل في صفحات كتابه حتى لا تكاد تخلو صفحة منه .

يقول : "ومن أحسن ما قيل في الاستغناء بالله عن غيره ، قول محمود :

لا تَخْضَعَنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ ... فإنَّ ذلكَ وَهْنٌ منْك في الدينِ

واسترزقِ اللهَ مما في خزائنِهِ ... فإنَّ ذلكَ بينَ الكافِ والنونِ

وأحسن منه قول عبد الصمد ، وهو من قلائده :

تُكَلفنِي إذلالُ نفسي لعزِها ... وهانَ عليها أنْ أُهَانَ وتُكْرَما

تقولُ : سَلِ المعروفَ يَحْيَى بن أكثم ... فقلتُ : سَليهِ رَبَّ يَحْيَى بن أكثما[٢]

إن الثعالبي يستحسن قول محمود الشاعر ، ولكنه في الوقت نفسه يجد قول عبد الصمد أفضل منه ، وكأن الحسن مراتب . ولو نظرنا إلى القول الأول لوجدناه لا يزيد عن كونه مجرد أوامر بأسلوب يكاد يخلو من الخيال ، فهو يطلب من الإنسان ألا يذل نفسه بالسؤال ، وأن يتوجه إلى الله لأن بيده خزائن الأرض .

---

[١] جنيد بن محمود – حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، ص ٣٣

[٢] الثعالبي – اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت ، ص ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القول الثاني فالشاعر يصورُ صراع الإنسان مع نفسه الأمارة بالسوء ، ويجعل منها إنساناً يحاوره ويوقعه في المهالك ، وهذا التشخيص يثير في الذهن خيالاً طريفاً يندمج فيه الشعور واللاشعور ، وكان الحوار عاملاً مهماً في هذه الإثارة لما يضفيه على الأبيات من حيوية وحركة . ونحس بحتمية وقوع الإهانة والإذلال للإنسان من خلال بناء الأفعال للمجهول (أهان ، تكرم) ، وقد أضفى الطباق على المعنى قوة وتأكيداً وجاء الطباق بين (إذلال ، وعز) ، (أهان ، وتكرم) . وهو يحمل مضمون البيت كله ، ويبين الصراع الداخلي على حقيقته ليقنع المستمع بأنه لن يصل إلى الراحة المنشودة إلا بنبذ وساوس النفس .

وقد كان مفهوم وحدة البيت مسيطراً على كثير من اختيارات الثعالبي ، ويظهر ذلك من بحثه عن "بيت القصيد ، والبيت الذي يجري مجرى المثل"[١] ، فهو يفضل القصيدة التي بها جملة من عيون الأمثال والحكم ، وقد اختار للمتنبي قوله في التهنئة بشفاء سيف الدولة :

المَجدُ عُوفيَ إذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ ... وزَالَ عَنْكَ إلى أعدائِكَ الألَمُ

وما أخُصُّكَ في بُرءٍ بتهنئةٍ ... إذا سَلِمْتَ فكلُّ الناسِ قد سَلِمُوا [٢]

يبدأ الشاعر البيت الأول بجملة اسمية (المجد عوفي) ليقرر حقيقة ، ثم يؤكد هذه الحقيقة باستخدام أفعال مبنية للمجهول (عوفي ، عوفيت) فالمجد عوفي بعافية سيف الدولة ، وسلامة الناس موصولة بسلامته ، وكفاية الله لهم متمكنة بكفايته ، فالشاعر يعظم الأمر في علة ممدوحه .

وأتت الأسماء (المجد ، الكرم ، الألم ، الناس) معرفة بأل الجنسية لأن الإشارة فيها إلى الجنس نفسه .

وقد صوّر لنا الشاعر الفكرة بأروع تصوير من خلال الاستعارتين (المجد ، والكرم) . ولم يقصد بقوله (زال عنك) الدعاء وإنما جاء لمجرد الإخبار ، ويضفي التصريع جمالاً على النغم

---

[١] محمد زغلول سلام – تاريخ النقد العربي ، ص ٣٣

[٢] الثعالبي – اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعنى معاً .

وإذا قرأنا شعر الهيثم بن أبي الهيثم الذي اختاره ابن سعيد الأندلسي :

يُجْفَي الفقيرُ ويَغْشَى الناسُ قاطبةً ... بابَ الغَنيّ كـذا حُكمُ المقاديـرِ

وإنمـا النـاسُ أمثالُ الفَراشِ فَهُمْ ... بحيـثُ تَبْـدوُ مصابيـحُ الدَنانيرِ[1]

يقدم البيتان فلسفة للحياة ، ويصوران حال الناس مع الدنيا ، فيبني الشاعر الفعل في البيت الأول للمجهول ، فيقول (يُجفي) ، والمعنى هو الذي اقتضى هذا البناء للمجهول مما يجعلنا نحس بواقعية الأمر وحقيقته ، ويكمن الجمال في البيت الأول بالإضافة إلى جمال لفظه وتلاؤمه مع المعنى في بنائه على مقابلات ساهم فيها الطباق بين (يُجفى ، ويغشى) ، و (الفقير والغني) . وهذه لم تأت حليّ زائدة ، بل اقتضاها المعنى وطلبها بشدة ، فأضفت عليه قوة وموسيقية وتأكيداً .

ويسترعي انتباهنا في البيت الثاني التشبيه التمثيلي ، فالشاعر يريد القول : إن الناس في تهافتهم على باب الغني سعياً وراء الدينار أشبه بالفراش المتهافت حول الضياء ، ولا يكتفي الشاعر بهذا التشبيه لتصوير تغير أحوال الناس وإنما بدأ شعره بفعل أتبعه بفعل آخر (يجفى ، يغشى) والأفعال تحمل دلالة التغير والتبدل ، وعدم الدوام على حال .

إن كل لفظة في البيتين تصور هذا الحال المتغير المتبدل ، ولو حاولنا تغيير أي لفظة لفقدنا كثيراً من جماليات الصورة والمعنى . وإذا أنعمنا النظر في مفردات الأبيات وجدنا توافقها وانسجامها وائتلافها وعدم تنافرها . "والتزام الشاعر بحرف مد معين في القافية من أعلى مراتب الكمال الموسيقي"[2] . والقافية في البيتين السابقين جزء من المعنى ، وقد جاءت طبيعية بحيث لا يسد غيرها مسدها .

---

[1] ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٤٧

[2] ابراهيم أنيس – موسيقى الشعر ، ص ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويختار الجرجاني* من قصيدة أبي تمام في فتح عمورية الأبيات :

السيـفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بين الجـدِ واللَّعـبِ

أين الروايةُ بلْ أيـنَ النجومُ وما ... صاغُوهُ من زخرفٍ فيها ومن كَذِبِ؟

والعِلمُ في شُهبِ الأرماحِ لامعـةً ... بين الخَميسينِ لا في السَبعةِ الشُهُـبِ

تَخَرصـاً وأحاديثاً ملفقـةً ... ليست بنَبـعٍ إذا عُدَّتْ ولا غَـرَبِ

لـو بَيِّنَـتْ قطُّ أمراً قبل موقعِهِ ... لم تُخْفِ ما حَلَّ بالأوثـانِ والصُلُبِ

إن الأسوَدَ أسودَ الغـابِ همتُهـا ... يَومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السَلَبِ

بَصُرتُ بالراحةِ الكبرى فلم تَرَها ... تُنالُ إلا على جِسْرٍ من التعَـبِ[1]

إن أبا تمام خرج على عادة الشعراء من البدء بالمقدمة الطللية ، وبدأ ببيت تضمن حقيقة الحدث والموقف (السيف أصدق) فالبيت يقرر حقيقة أن السيف هو صلب القضية والحاسم فيها فجاء معرفاً بأل الجنسية فهو بمنزلة الجنس المطلق . وفي الشطر الثاني يقدم الخبر (في حده) على المبتدأ (الحد) ، وجاء التقديم لإبراز أهمية حد السيف في حسم المعركة وتقرير الحقيقة ، والفصل في الأمر . وجاءت الألفاظ مترابطة غير مستقلة في حد ذاتها ، بل إن ثمة صلة وتناسباً وتجانساً وتضاداً بينها وبين غيرها من الألفاظ ؛ فالسيف رمز القوة ، والكتب رمز التنجيم ، والحد رمز الفصل في الأمر ، وقد أتى مجانساً للحد الأول (حد السيف) ومجانساً (للجد) التي استدعت اللفظ المضاد وهو اللعب ، وهكذا رسم الشاعر في البيت الأول صورة متقابلة بين (السيف ، والشجاعة ، والجد) ، وبين (كتب التنجيم ، واللعب) . واختار الشاعر للدلالة على النجوم لفظ الشهب التي هي أخص منها ، واستعار اللفظ نفسه لأسنة الرماح ، مجانساً بين

---

* أنظر التحليل عند عايش العايش ، مختارات عبد القاهر الجرجاني ، ص ٩٤ - ٩٦ .

[1] عبد القاهر الجرجاني - المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللفظتين ، وربما يعود هذا الاختيار لدلالة الشهب على السرعة فتعطي دلالة قوية على فعل الرماح وسط المعركة .

ويحمل الاستفهام في البيت الثالث معاني الاستهزاء والسخرية ، وجاء البيت السادس ليؤكد المعنى باستخدام إن المؤكدة ، وتكرار كلمة أسود .

أما في البيت الأخير فقد حملت المطابقة بين (الراحة والتعب) مضمون البيت ، وأظهرت حجم التضحيات التي قدمها المعتصم وجيشه ، وزاد من جمال البيت الاستعارة في قوله (جسر من التعب) فقد وضّحت الفكرة في أروع تصوير .

وقد أحس عبد القاهر الجرجاني بالصنعة والتكلف في بيت أبي تمام :

بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في متونِهِنَّ جلاءُ الشكِ والرِّيَبِ[١]

فهذا البيت لا يحمل معنى جديداً وإنما جاء تأكيداً لمعنى البيت الأول ، وتجنيس القلب بين (صفائح ، صحائف) أتى بشكل متكلف نوعاً ما ، وربما يكون هذا هو الدافع في عدم اختيار الجرجاني لهذا البيت .

هذه الجماليات تتظافر مع صدق العاطفة وعمق التجربة لتحرك خيال المتلقي ، فيمس الشعر خفايا النفس ويعالج ما يعتمل فيها من أحاسيس فيحدث التواصل بين المبدع والمتلقى بما تحمل الصور من ايحاءات نفسية تتيح للقارئ الإحساس بوقع تجربة الشاعر في حياته هو ، إذ الشاعر قادر على عرض معاني الحياة بأسلوب مؤثر ، ولما "كان فن التشبيه بين الأشعار عالي القدر ، نابه الذكر ، لا يمكن كل الناس سلوك جادته ، ولا يقدر إلا اليسير منهم على إجادته ، حتى استهوله أكثر الشعراء واستصعبه ، وأبى بعضهم أن يجهد بأن يروض مصعبه ، وقالوا إذا قال الشاعر (كأن) فقد ظهر فضله أو جهله"[٢] .

---

[١] أبو تمام – الديوان ، ج١ ، ص ٤٠

[٢] علي بن ظافر المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد جُعل التشبيه مقياساً جمالياً ، ودليل تفوق شاعر على آخر ، وقد علق صاحب الرايات على قصيدة أتت فرائدها نسقاً لا يكاد سَمْعٌ ينبو عن بيت منها غير قصيدته التي يمدح بها المعتضد بن عباد ، وهي :

أدِرْ الزجاجَةَ فالنسيُم قد انبرى ... والنجمُ قد صَرَفَ العِنَانُ عن السُرَى

والصبحُ قد أهدى لنا كافورَهُ ... لما استردَّ الليلُ منا العَنْبَرَا

والروضُ كالحسنا كساهُ زَهْرُهُ ... وَشْياً وقَلَّدَهُ نَدَاه الجَوْهَرَا

أو كالغلام زَها بوِردِ رياضِهِ ... خَجِلاً وتَاهَ بآسِهِنَّ مُعَذَرَا

روضٌ كأنَّ النَّهرَ فيه مِعْصَمٌ ... صافٍ أَطَلَ على رداءٍ أَخْضَرَا

وتهزّهُ ريحُ الصَّبا فَتَخالُهُ ... سيفُ ابن عبادٍ يُبَدِدُ عَسْكَرَا[1]

إن هذه التشبيهات تعطي النظم خصوصية وجمالاً ، فتحدث في النفس المتعة ، وتشعرها بالراحة في أحضان الطبيعة ، والأمان في كنف ابن عباد ، ومما زاد الأبيات جمالاً الإستعارات الواردة في النص مثل (الصبح أهدى ، استرد الليل ، قلد نداه الجوهرا) إن هذه الأشياء المادية (الصبح ، الليل ، الندى) تحولت إلى كائن حي يتحرك فيقلد ويهدى ويسترد مما جعل الأبيات تموج بالحركة والحيوية ، وتشيع فيها الألوان فتعطي دلالة قوية على الموقف الذي يرسمه الشاعر .

ولما كان الشعر الأندلسي قد عُني بالصورة حتى أصبحت غايته ، فقد طالعتنا مختارات اقتصرت على الشعر الأندلسي بعامة ، وعلى المتميز بكثرة الصور والتشبيهات بشكل خاص . مثل ؛ كتاب التشبيهات من أشعار اهل الأندلس (الكتاني) ، وكتاب نزهة الأبصار في محاسن الأشعار لشهاب الدين العنابي ، وكتاب رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي .

---

[1] ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه العناية بالصورة تعود لقدرة الصورة على تمكين المعنى في النفس عن طريق التأثير فتترك انطباعاً جميلاً أشبه ما يكون بأثر منظر رائع للوجود في نفس الإنسان ، إذ يترك نوعاً غامضاً من المتعة التي قد لا نملك القدرة على تفسيرها ، إذ الجمال مبهم غامض وتأتي روعته من غموضه ، والصورة مناجاة للنفس ومحاورة للفكر "فالتصوير في الأدب تتعاون فيه كل الحواس وكل الملكات وليس الأمر على هذا النحو في الفنون الأخرى"[١] .

والصورة لا قيمة لها بدون عاطفة ، وكذلك العاطفة لا معنى لها بدون صورة "إن العاطفة بدون صورة عمياء ، والصورة بدون عاطفة فارغة"[٢].

فالعاطفة إذن هي أهم ما في الصورة الأدبية وقد ولدت طبيعة الأندلس الخلابة رقة في النفس ورهافة في الحس . فكانت صورهم الشعرية شحنة من المعاني والعواطف والانفعالات ، وأضحت أبعد تأثيراً في النفس ، وأكثر علوقاً في القلب ، فصحّ أن نقول : إنها أبعث على المتعة ، والإحساس بالجمال ، إذ تقدم متعة نفسية ، ومتعة عقلية تبعث النشاط ولذة الفكر ، وتجعل الذهن دائب الحركة ، كلما قرأ صورة وجد فيها شيئاً جديداً وروحاً أخرى .

قال أحمد بن درّاج يصف دار السرور بالزاهرة :

دارُ السُرورِ المعتلي شُرفاتُـها ... فَوق النُجوم الزُّهرِ في استعلائِها

وكأنَّ عُرَّ المُزْنِ لمـا جَـادَهـا ... نَشَـرَت عليها من نفيسِ مُلائها

وكأنَّما أيدي السُعودِ تضمَنَـتْ ... إبداعَهـا فبنَـتْ على أهوائِها

وكأنَّ ريحـانَ الحيـاةِ ورَوْحَها ... مُسْتَنْشَقٌ من نافحـاتِ هـوائِها

فكأنَّمـا اصطُفيَتْ طلاقةُ بشرِها ... مـن أوْجُـهِ الأحبابِ يومَ لقائِها

قامَتْ على عُمدِ الرُخامِ كَمثْلِ ما ... نُسِقَت نجومُ النَّظمِ في جَوزائِها

---

(١) جان ماري جويتو – مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ص ٩٠

(٢) بندتو كروتشه – المجمل في فلسفة الفن ، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بِمُقابِلٍ من مُلْتَقى أرواحِـهـا ومُشاكِـهٍ مـن سِفْلِهـا وعَلائِها

كَكتِيبَتَيْ رَجْلٍ وركْـبٍ وافَقَـتْ يومَ الوَغى مِثْلَيْنِ من أكْـفائِها

وكأنَّما اختارَ السرورُ مكـانَها وطناً فحَـلَّ مُخَيِّمًـا بفنائِـها[1]

لقد أعادت هذه الأبيات رسم دار السرور وبنائها ، ولكنه رسم فني اختلطت فيه الطبيعية بالطبيعة الصناعية ، وامتزجت بروح الشاعر ونفسيته فحلق بخياله ، وخلق صوراً مترابطة ترابطاً تاماً قائماً على وحدة الشعور المسيطر على النص . فقد ربط بين صورة دار السرور بشرفاتها وأعمدتها ، وصورة النجوم الزّهر العالية ، ودقة تنسيقها وبين صورة كتيبتي رجل وركب متماثلتين يوم الوغى . ولعب الخيال دور القوة السحرية من الربط بين هذه الصور الشعرية ، التي تظهر للمتلقي أنها أشتات إلا أن الشاعر استطاع أن يحقق التوافق في العمل الأدبي من خلال الوحدة النفسية ، إن جاز هذا التعبير .

ومثله قول ظافر الحداد :

كأنَّ نجـومَ الليـلِ لمّا تَبَلْجَـتْ تَوَقُّـدُ جَمْرٍ فـي سَـوادِ رَمادِ

حكـى فوقَ مُمْتَدَّ المَجَرَّةِ شِكْلُها قَواقِـعُ تَطْفُـو فـوقَ لُجَّـةِ وادِ

وقـد سَبَحَتْ فيـه الثريا كأنَّها بَنيقـاتُ وَشْـيٍ فيَ قميصِ حِدادِ

ولاحَتْ بنو نعشٍ كَتنقيطِ كاتبٍ بيُسْـراهُ للتعليـمِ أحْـرُفَ صـادِ

إلى أنْ بَدا ضَوْءُ الصباحِ كأنَّـهُ رِداءُ عروسٍ فيـهِ صِبْـغُ مِدادِ[2]

ربط الشاعر هنا بين صور متباعدة ؛ ربط بين صورة النجوم في ليل دامس ، بصورة جمر وسط رماد شديد السواد ، بصورة قواقع تطفو فوق لجة وادٍ ، بصورة رقعة زيدت في نحر قميص حداد . وشبه بنات نعش بتنقيط كاتب يتعلم بيسراه كتابة أحرف صاد .

---

[1] أبو عبد الله الكتاني الطبيب – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ٧٠ .

[2] علي بن ظافر المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما بدا ضوء الصبح شبهه برداء عروس يتخلله صبغ مداد . لقد فهم الشاعر قيمة الخيال وأثره في خلق الصور الفنية ، فحلق في انطلاق وحرية وربط بين صور بدت متناثرة ولكن جمعها إحساس الشاعر بالطبيعة وحبه لها وارتباطها بنفسيته ، وقد اختلط الفرح بالحزن فكان لا يُذكر البياض وإلا ويختلط بالسواد . وقد "حملت هذه الصور الإشارات المباشرة الحقيقية لذلك الإحساس ، وتلك المشاعر"[١] .

ولم يهمل الأبيوردي هذا الربط النفسي فجاءت صور تحمل ذبذبات النفس ، وحركات المشاعر . واختار ألفاظاً قادرة على نقل هذا الإحساس :

يبكي الغَمامُ بها وَيَبْسِمُ رَوْضُها ... لا زِلْنَ بين تَبَسُّمٍ وبُكاءِ

وهَزَزْنَ من أعطافِهِنَّ كأنَّما ... مُلِئَتْ مَسامِعُهُنَّ رَجْعَ غِناءِ

ونَزلْتُ أفترشُ الثرى مُتَلَوِيا ... فيهِ تَلَوي حَيَّةٍ رقشاءِ

وبنَفحةِ الأَرَجِ الذي أوْدَعْتِهِ ... عَبِقَتْ حواشي رَيْطَتي ورِدائي[٢]

وأياً يكن الأمر ، فإن كثيراً من المختارات تنقل إلينا معاناة الشعراء ، ومرارتهم ، وتروعنا بقدرتها على إثارة الانفعال لأن "قوة العاطفة تهز النفوس وتثيرها ، ولعل قوة العاطفة وروعتها من أهم المقاييس النقدية إن لم تكن أهمها جميعاً"[٣] .

ونقف أمام تجربة فريدة ، حاول صاحبها جمع أشعار تتسم بالصدق ، إذ جمع أشعاراً تقطر لوعة وأسى ، لتبعث في النفس التأسي .

صاحب المختارات الفريدة هو أسامة بن منقذ الذي اختار من الشعر ما يوافق حاله بعد الزلزال المدمر الذي أودى بحياة كثير من أهله ، فبكى ابن منقذ الديار والأحباب ، وجمع من

---

[١] فوزي القش – مشاكل الفن الحديث ، ص ٤٠

[٢] جنيد بن محمود – حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، ص ٧٥

[٣] أحمد الشايب – أصول النقد الأدبي ، ص ١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعر الرثاء ما يبرد اللوعة ، ويسكن اللوعة ، فجاءت اختياراته ذات قيمة جمالية نفسية ، وقد اختار لنفسه هذه الأبيات التي تقطر ألماً .

قُـلْ للـذي فَقَـدَ الأحبةَ وانثنـى ... يسقـي منازِلَهـم دُموعاً تَسجُمُ

ماذا وُقُوفُـكَ فـي الديـارِ مَسائلاً ... عـن أهلِهـا ومتى يُجيْب الأبكمُ؟

سَـلْ عنهُـمُ صَرْفُ الزمانِ فإنّه ... بهِـمُ مِـنَ الـدارِ المُحيلةِ أعْلَمُ

أفناهُـمُ رَيْـبُ المنـونِ وهـذهِ ... آثـارُهُـمْ عِظـةٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ

هـيَ شِيمـةُ الأيامِ كفّ تبتَنِـي ... مُـذْ كـانتِ الدُنيـا وكفٌ تهدِمُ[1]

إن هذه الأبيات تعرض بأسلوب مؤثر يتغلغل في نفوس المتلقين عمق تجربة الشاعر وصدقها ، فقد غاص على معاني الحياة ، ومس بشعره خفايا النفس ، فحملت صوره ايحاءات نفسية حزينة أتاحت للمتلقي الإحساس بتجربة الشاعر ومعاناته من خلال استعماله للأسلوب الإنشائي المؤثر في الأبيات الأولى ، ثم باستعماله الأسلوب الخبري لتثبيت حقيقة لا يمكن إغفالها ؛ هي حتمية الموت وتغيّر الأيام ، وما يستتبع ذلك من آلام وأحزان .

يبقى أن نقول : إنه ليس ثمة مقياس محدد نأخذ به ، فمسألة الجمال نسبية ،والنظرة الجمالية متفاوتة ، الذي أراه جميلاً قد لا يراه غيري كذلك ، فليس هناك قاعدة تفرق بين الجميل والقبيح ، وإنما "يعتمد هذا التفريق على الطبع والفطنة والدربة كما هو الشأن في سائر الصناعات"[2] .

إن التفوق المطلق في الأدب معدوم ، فالتفوق نسبي لأن الأعمال الأدبية تختلف اختلافاً كبيراً عن الأعمال العلمية التي تقوم على أسس واضحة لا يختلف فيها .

---

(١) أسامة بن منقذ – المنازل والديار ، ص ٥٤

(٢) عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعيار التعليمي

تزداد مكانة الأدب وقيمته حين يـؤدي أكثر من فـائدة ، فـالعمل الأدبـي المتميّز تندمـج فيـه الفائدة والمتعة اندماجاً تاماً . "وإن نفع الأدب – جديته وتعليميته – هو نفع مفعم بالإمتاع ، وجديته هي جدية الإدراك ، جدية الإحساس بالجمال"[١] .

ويمكننا القول إن المعيار الجمالي يستمد قيمته من معنى الأدب ومضمونه ويتعـدى ذلـك إلـى قوة تأثير الأدب في النفوس وهز المشاعر ، "وليس هناك من شك في أن الأديب يجد مثالاً أرحب لتقدير فنه إذا استطاع أن يرضـي العقول بالإضافة إلى غايته الأصلية من هز المشـاعر وإرضـاء العواطف . وإذا استطعنا في سبيل تحقيق غايته الجمالية خدمة المثل الرفيعة التي توجه الإنسـانية نحو الخير ، ونحو الحياة الفاضلة الكريمة السعيدة من غير قسر أو إلزام"[٢] .

وتكمن عظمة الشعر في تحقيقه للمعايير الجمالية ، والتعليمية والأخلاقية . وكلما ارتقـى فـي استخدام هذه المعايير استخداماً ناجحاً كان شعراً يحمل معايير العظمة والسـمو ، ومـن النقـاد مـن أعطى مهمة الشعر صفة الشمولية ، هدفها أن تعلـي مـن قيمـة الفن فـي الحيـاة . وقـد بـرز هـذا المفهوم عند ماثيو أرنولد الذي رأى "أن الشعر نقد للحياة"[٣] .

إن المزاوجة بين المتعة والفـائدة هـو المفهـوم الأساسـي * الـذي يطرحـه المذهـب الإنسـاني وذلك بتخلصه من المناهج الذاتية المفرطة ، ومن النزعة الجمالية المحضة والأخلاقية الخالصة . وتكون الحكمة مسألة مهمة في بلورة المنحى التعليمي . وقد قيل عن معنى قول الرسول صلى

---

[١] رينيه ويليك وأوستن وارين – نظرية الأدب ، ص ٢٤ .
[٢] بدوي طبانة – قضايا النقد الأدبي ، ص ١٣٨
[٣] ماثيو أرنولد – مقالات في النقد ، ص ٢٠-٢١
* أنظر ما ذكرته آمنة أبوعبيد ، أسس الاختيار وخصائصه في كتاب الاشباه والنظائر للخالديين ، ص ٧٢- ٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله عليه وسلم : (إن من الشعر لحكمة) أن معناه أن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما ، وقيل أراد به المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس . وهذا المعنى عريق الأصالة في فهم العرب لطبيعة الفن الشعري ، فقد وصفوا "الشعر بأنه ديوان العرب ، وأنه أداة التثقيف وصقل النفوس والهداية إلى شريف الأمور"[١] .

والحكمة خبرة إنسانية يُشارك في تكوينها التيار الدنيوي والديني وبتغليب الثاني على الأول يكمن التوجيه الأخلاقي ، فجوهر الحكمة أخلاقي تربوي لذلك كان شعر الحكمة قد بُني على أسس قريبة التناول ، لا يكتنفه الغموض حتى يسهل فهم المادة التي يحتويها . يقول ينبر : "إن الهدف الرئيسي للشعر ينبغي أن يكون تعليم الحكمة والفضيلة عن طريق الأمثال"[٢] .

وقد تنبه النقاد إلى أهمية الشعر ودوره في الحياة إذا ما تفاعل معها من خلال تعليمه وتربيته ، فالجانب التعليمي التربوي من أساسيات النقد يقول د. محمود السمرة : "لقد كان عمر ابن الخطاب أول من رأى أن الأدب قد يكون خطراً على الأخلاق ، ولكنه مع هذا كان يرجع إلى الشعراء ويسألهم رأيهم قبل أن يُنزل العقوبة بأولئك الذين كانوا يتعرضون للحُرُم والأخلاق"[٣] . ولذلك عدّ ابن مسكويه رواية الشعر الفاحش شقاءً لا نعيماً ، وخسراناً لا ربحاً ، فقال : "فمن ابتلي بأن يربيه والده على رواية الشعر الفاحش ، وقبول أكاذيبه ، واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات ، كما يوجد في شعر امرئ القيس والنابغة وأشباههما ، ثم صار بعد ذلك إلى رؤساء يقرونه على روايتها وقول مثلها ، ويجزلون له العطاء ، فليعد جميع ذلك شقاءً لا نعيماً ، وخسراناً لا ربحاً"[٤] .

---

(١) محمد خلف الله أحمد – بحوث ودراسات في العربية وآدابها ، ص ٨٩–٩٠

(٢) عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ٩١ نقلاً
Garritt. E.F. Philosophies of Beauty, Oxford, Clarendon Press, 1931. P. 57

(٣) محمود السمرة – القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، ص ١٦٣

(٤) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ٥١–٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن منهج اختيار الشعر المروي للتعليم منهج سلوكي وظيفي يُعنى بتغذية حاجات المتأدب بما يرشد سلوكه نحو القيم الخلقية ، ولكي يحقق التأديب رفعة في شخصية المتأدب كان على الشعر المختار أن يتسم بقيم جمالية أخلاقية ، وقد قسّم ابن حزم الشعر إلى ثلاثة أقسام :

"الأول : مباح : وهي تلك الأشعار التي فيها الحكم والخير كشعر حسان بن ثابت لأنها نعم العون على تنبيه النفس .

الثاني : المرفوض : وهو شعر الغزل ، وشعر التصعلك ، وذكر الحروب ، والهجاء ، وأشعار التغرب .

الثالث : المباح المكروه : وهو شعر المدح والرثاء لما فيهما من كذب ، ولا خير في كذب"[١] .

فالشعر الذي يحقق غاية نفعية تربوية هو الشعر المباح ، ولا تثريب في اختيار قصائد الرثاء أو المدح إذ هي تحمل في طياتها وعظ واتعاظ ، وصبر وعزاء ، إلا أنه يرفض الشعر الذي يرى أنه يبتعد عن القيم الأخلاقية ، فابن حزم في تقسيمه هذا للشعر ينزع نزوعاً وعظياً غايته الإصلاح والإرشاد .

ومن هذا المنطلق كان لأشعار الحكم والأمثال نصيب وافر من الاختيار ، وقد نوه صاحب التذكرة السعدية في المقدمة إلى الأسس التي اختار الأشعار وفقها بقوله : "أقدمت على اختيار ما هو نفيس المعنى ، بارع اللفظ والفحوى ، مختار السبك ، مستقيم الوصف ، جميل المطلع ، حسن المقطع ، مادة للمترسل والشاعر"[٢] .

فقد التمس محمد العبيدي الشعر النفيس الذي يحوي قيما أخلاقية رفيعة ، وبحث عن لطائف الأشعار التي تتميز بمعايير جمالية متعارف عليها ؛ من براعة اللفظ ، ومختار السبك ، واستقامة الوصف وجمال المطلع . ليكون بذلك مادة تعليمية جيدة يستفيد منها المتأدب ، والمتعلم الذي

---

[١] ابن حزم الظاهري – رسالة العلوم ، ص ٦٧–٦٨

[٢] محمد العبيدي – التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، ص ٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرغب في أن يكون كاتباً أو شاعراً . وقد جاءت أبواب التذكرة السعدية متناسبة مع مبدأ التعليم ؛ فقد اختار صاحبها شعراً في الإخوانيات ، والتهاني ، والاعتذار ، والمعاتبات ، وأكثر من شعر الحكم والأمثال ؛ لما تحمله من خبرات السابقين فيستفاد منها .

وربما كان صاحب التذكرة السعدية قد سار على منوال صاحب مجموعة المعاني الذي جمع شعراً "ينتظم في مائة معنى تصلح للمتمثل أن يصل بها خطابه ، فعمد إلى الشعر البعيد عن الفحش ، وسهل المعنى ، وسهل الكلام وواضحه"[١] .

والغاية التعليمية التي سعى إليها بعض أصحاب المختارات جعلتهم يميلون إلى جمع شعر سهل الألفاظ ، قريب المعاني ليكون أدعى إلى الرغبة فيه ، وإن أحس بصعوبة الشعر عمد إلى توضيح بعض الألفاظ كفعل الشجري في مختاراته ، إذ كان يشرح بعض المفردات ويذكر اشتقاقاتها[٢] . ومن ذلك قول النمر بن تولب :

"وَيلْبَسُ للدهرِ أجلاَلَهُ فَلَنْ يَبْنِي الناسُ ما هَدَّمَا

ويلبس للدهر أجلاله : أي ويتهيأ لكلّ حالةٍ على حسب ما يرى مما ينبغي .

مثل قول العرب :

إلبَسْ لكلِ حالةٍ لَبُوسَها نَعِيمَها يوماً ويوماً بُوسَها

وقوله : فلن يبني الناس ما هدّما : أي ما هدّم من مجده ، وتهديمه إياه : تضييعه"[٣] .

فابن الشجري ضمّن كتابه كثيراً من الشرح اللغوي والأدبي ، وتعرض لبعض المسائل النحوية ، والنقدية ، لتقريب المعاني من الأفهام .

فالضرورة التعليمية اقتضت هذا الشرح والتوضيح ، و "أصبح للشعر غايتان : الأولى

---

(١) مؤلف مجهول – مجموعة المعاني ، ص ١٧

(٢) انظر ابن الشجري – مختارات شعراء العرب ، ص ٢،٣،١١،٢٦،٤٤،٤٤٠،٤٤٤،٤٨٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التهذيب والإقناع ، والأخرى التسلية"[١] ، وأصبحت الصورة تسهم في عملية إقناع المتلقي والتأثير فيه عن طريق شرح المعنى وتوضيحه . والتبيين والتوضيح أمر فرضته الوظيفة التعليمية للشعر ، فتوطدت الصلة بينها وبين المبالغة التي أصبحت وسيلة من وسائل التبيين .

ويمكن فهم التمثيل على أساس تعليمي ؛ إذ إن جمالياته تكمن في تقديمه الحسي للمعنى ، وفي أن عملية التوضيح ترتبط باقتران المعنوي بالحسي .

ولقد أكثر الشعراء من استخدام الصورة للإقناع ، لأن لها بعض القدرة على التأثير المقنع ، ونظراً لاهتمام أصحاب المختارات بالغاية التعليمية عمدوا إلى اختيار المعاني التي تقوّم الأخلاق، وتلبس أثواباً من التصوير ، فتكون بذلك ذات قيمة جمالية عالية .

وتحفل المختارات بأبياتٍ كثيرة تبرز فيها أنماط المبالغة مختلطة بأنماط الخيال . ومن ذلك قول المتنبي :

هذا الذي أبْصَرتَ منهُ شاهداً ... مثلَ الذي أبصَرْتَ منهُ غائباً

كالبدرِ من حيثُ التفتَ رأيتَهُ ... يُهْدي إلى عينَيْكَ نُوراً ثاقباً[٢]

إن كرم الممدوح يغمر الناس ، حاضرهم وغائبهم ، القريب منهم والبعيد ، وهو كرم لا حدود له ، والممدوح في كرمه هذا أشبه بالبدر الساطع الذي يمنح النور الثاقب للجميع .

ويمكن عدّ كتب الحماسات من الشعر التعليمي لما حوته من معاني الشجاعة والأنفة والشدة والصبر في القتال . وكلمة (حماسة) تحمل في طياتها أثر الشعر في نفوس المتلقين ، فالشعر طريق المتأدب ، وإذا كان الشعر جيداً "عظم الأثر ، وظهرت العبر ، فشجع ، وأقدم ، وسهّر ، وقوّم ، وحبب السخاء إلى النفس وشهى ، وأضحك حتى ألهى وأحزن وأبكى"[٣] . فقد حظي

---

(١) جابر عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص ٣٣٠

(٢) عبد القاهر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠٦

(٣) لسان الدين بن الخطيب – السحر والشعر ، ص ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر بمنزلة رفيعة بين مواد تأديب الناشئة لما له من تأثير ، ومن ذلك ما صدر عن عبد الملك ابن مروان حين قال لمؤدب ولده : "روهم الشعر يمجدوا وينجدوا"[١] . فعبد الملك يريد تأديب ولده ليرفع من شأنه فيكون قادراً على تبوء أعلى مراتب الشرف والمجد . هذا يدل على بحث المتأدب أو وليه عن مضامين شعرية تبعث الهمة ، وترفع إلى المعالي ، فكانت -غالباً- مضامين خلقية حاول الشعراء من خلالها الموازنة بين ما يفرضه الدين ، وما تنزع إليه النفس من رغائب المتعة . لذلك رأينا في الفصل الأول كيف أن كتب الإختيارات ضمت شعراً في أغراض متنوعة من : حماسة ، ورثاء ومدح وغزل ووصف وهجاء وأدب وشيب .

ولتحقق المختارات المعيار التعليمي المنشود على أكمل وجه ، فقد مال أصحابها إلى البحث عن سهولة الألفاظ ، وصرّح صاحب التذكرة الفخرية بذلك حين أتبع شعر الحسام الحاجري قوله : "وفي شعره أشياء بديعة الحسن ، سهلة المأخذ ، مليحة السبك"[٢] .

وقد أعجب بقول جرير :

أَتَنْسَـــى إذ تُودِّعُنا سُلَيْمَـــى ... بفَـــرعٍ بَشَامةٍ سُقِيَ البَشَـــامُ

بنفسِـــي من تَجَنُبُـــهُ عَزيزٌ ... علـــيَّ ومَـــن زيارَتُهُ لِمـامُ

ومـــن أمسى وأصبحَ لا أراه ... ويَطْرُقُنـــي إذا هجع النيـــام[٣]

إن صورة الطيف في الأبيات ليست مبتكرة ، إلا أنها عند الإربلي حلوة الألفاظ ، سهلة . فالسهولة مقياس جودة ، ومثل هذا الشعر لا يهدي الصواب إلى كل سمع"[٤] "فالذوق العربي العام

---

(١) السيوطي-المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج٢،ص٣٠٩،وانظر ابن قتيبة-عيون الأخبار ج١ ، ص١٦٧

(٢) الإربلي - التذكرة الفخرية ، ص ١٢٨

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٦ ، ٦٧

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يفضل سهولة الألفاظ"[١] ، ووضوح المعاني لقربها من الأفهام . وتولد عن هذا التصور حرص النقاد والبلاغيين على الإبانة والوضوح .

أما الذوق الخاص فقد طلب أصحابه العمق ، ومالوا إلى الغموض والتعقيد في الصورة . ومن هنا تفجرت قضية القديم والحديث ، "وكان لظهور أبي تمام أثر كبير إذ أغرم بأصباغ البديع ، ونضجت على يديه واكتملت . وامتازت طريقته بغمس هذه الأصباغ في ألوان الثقافات ، والاستبهام أقرب منها إلى الوضوح والسهولة والجلاء ، بالإضافة إلى التعقيد في هذه الأصباغ"[٢] فاحتار الشعراء والنقاد بين طريقة البحتري ، وطريقة أبي تمام فكان للأول أنصار من أصحاب الذوق العام ، وكان للثاني أنصار من أصحاب الذوق الخاص ؛ الذين أولعوا بغرابة شعر أبي تمام". وقد ساعدت عوامل عدة في خلقه وتكوينه ، منها ؛ ذكاؤه ، وقوة طبعه ، ونهمه الشديد ، ولهذا أغرب في معانيه ، وألفاظه ، حتى وصل إلى أشياء لم يعتد الناس أن يروها ، ولا أن يصلوا إليها"[٣] .

"أما الأغراض التي كان الذوق العام يفضلها على غيرها فأربعة : النسيب ، والفخر ، والمديح والهجاء ، يؤثرونها لأن لها صلة وثيقة بحياة الشعوب والإجتماع ، وكان الشعر عندهم تصوير حياتهم الروحية والإجتماعية ، فما صوّرها من الأغراض كان أفضل ، ومن أحسن تصويرها كان أشعر"[٤] .

وإذا أنعمنا النظر في المختارات من هذه الزاوية وجدنا أنها تضمنت نماذج من شعر يتوافق وأماني الناس وتطلعاتهم ، ويدلهم على المثل العليا في الحياة . ولا تخلو هذه المختارات من تلك الأغراض التي كان الذوق العام يفضلها .

---

[١] طه ابراهيم – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٧٢

[٢] أحمد ابراهيم موسى – الصبغ البديعي في اللغة العربية ، ص ٨٦ .

[٣] طه حسين – من حديث الشعر والنثر ، ص ٩٦–٩٧

[٤] طه ابراهيم – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٧٢–٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الحماسة تدريجاً"[١] .

ومما اختاره قول مجهول :

ألا للـــهِ مـــا صَنَعَتْ برأســـي ... صُرُوفُ الدَّهـــرِ والحِقَبُ الخوالي

فيوماً في السُجونِ مع الأُســـارى ... ويوماً في القُصـــورِ رَخِـــيَّ بـالِ

كذا عيشُ الفتى مـــا دامَ حيّـــا ... دوائـــرُ لا تَـــدومُ علـــى مثالِ

سأصبـــرُ للشدائـــدِ والرّزايـا ... وأعلـــمُ أنّهـــا مِحَـــنُ الرِجـــالِ

وأنَّ وراءَهـــا خَفْضَاً وأَمْـــنـــا ... وعَـــطفاً للمُديـــل على المُـــدالِ[٢]

إن المعيار التعليمي الأخلاقي يطغى على هذه الأبيات ، إذ جاءت ذات ألفاظ واضحة ، ومعاني أخلاقية تشيع الحكمة بين جنباتها .

نخرج من هذا إلى القول بأن القيمة الأخلاقية غير منفصلة عن القيمة التعليمية ، ولقد كانت الغاية التعليمية حافزاً لانتقاء شعر ذي قيمة جمالية عالية ، وقيمة أخلاقية رفيعة .

---

[١] عبد الله بن عبدلكاني الزوزني – حماسة الظرفاء ج١ ، ص ١٥

[٢] العبدلكاني – حماسة الظرفاء ، ج١ ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعيار الأخلاقي

الشعر فن جميل تختلف استجابة المتلقين له وفق مقياسهم للشعر ، وأول ما يُطلب من الشاعر أن يقدم فائدة ومنفعة بإطار فني رفيع * ، وقد ربط الفلاسفة بين الجميل والنافع ، فهذا أفلاطون "اقترن الجمال عنده بالعدل والخير"[١] ورفض كل شعر لا ينسجم مع مبادئ مدينته الفاضلة ، "فالجمال عنده هو الصلاح والفضيلة"[٢] ، وفكرة التطهير مرادفة للفضيلة عند أرسطو ، وبذلك "يكون الشعر ممتعاً أخلاقياً في آن واحد"[٣] .

وقد ركز النقاد القدماء على القيم الأخلاقية والإجتماعية التي انبثقت عن البيئة التي عاشوا فيها ، فاهتموا بالجوانب الايجابية في حكمهم على الشعر ، وحاولوا نقده إذا انحرف إلى النواحي السلبية . وكان للدين الإسلامي أثر في التوجه إلى الايجابيات ، قال تعالى "والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون"[٤] .

وقد حفلت كتب النقد بكثير من نماذج النقد الأخلاقي[٥] ، ومن القصص التي تحض على تعلم الشعر الأخلاقي ، قال الزبير بن بكار : "سمعت العمري يقول : "رووا أولادكم الشعر ؛ فإنه يحل

---

* أنظر آمنة أبوعبيد ،أسس الاختيار وخصائصه في كتاب الاشباه والنظائر للخالديين ، ص١٤٥ -١٤٧ وانظر عايش العايش ، مختارات عبد القاهر الجرجاني ، ص١٥٠-١٥٨ .

(١) أفلاطون – جمهورية أفلاطون ، ص ١٩٩ وانظر ص ٢٧ ، ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) روز غريب – النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، ص ٣٤

(٣) احسان عباس – فن الشعر ، ص ١٦٥-١٦٦

(٤) سورة الشعراء ، الأيات ٢٢٤-٢٢٧ .

(٥) انظر ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء ، ج١ ، ص ٣٩،٥٦،٦٤ . وابن قتيبة – الشعر والشعراء، ج١، ص١٣٥-١٣٦ . وابن عمران المرزباني – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص ٩٤-٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقدة اللسان ، ويشجع القلب الجبان ، ويُطلق يد البخيل ، ويحض على الخلق الجميل"[١] .

وأحس النقاد بضرورة الشعر لصلته العميقة بالنفوس ، وارتباطه القوي بالقلوب ، فالشعر – بما يحويه من مضامين أخلاقية– قادر على التقويم والوعظ والإرشاد بطريق غير مباشر . ولذلك احتل شعر الحكم والأمثال مرتبة رفيعة ، ونال شهرة واسعة ؛ فهو شعر يحمل قضايا الناس المشتركة ، وفي ردّ عبد القاهر الجرجاني عن منكري قيمة الشعر دليل على ذلك : "وبعد ، فكيف من وضع الشعر عندك ، وكسبه المقت منك : أنك وجدت فيه الباطل والكذب ، وبعض ما لا يحسن ، ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبة في قلبك : أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب ؟ وأن كان مجني ثمر العقول والألباب ، ومجتمع فرق الآداب ، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة ، وأفادهم الفوائد الجليلة ، وترسّل بين الماضي والغابر ، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد ، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد ، حتى ترى به آثار الماضين ، مخلدة في الباقين ، وعقول الأولين ، مردودة في الآخرين ، وترى لكل من رام الأدب ، وابتغى الشرف ، وطلب محاسن القول والفعل ، منارا مرفوعا ، وعلما منصوبا ، وهاديا مرشدا ، ومعلما مسدّدا ، وتجد فيه للنائي عن طلب المآثر ، والزاهد في اكتساب المحامد ، داعيا ومحرّضا ، وباعثا ومحضضا ، ومذكرا ومعرفا وواعظا ومثقفا؟"[٢] فالشعر عنده يزرع بذور الخير ، ويعظ ويرشد ، ويخلد بالقيم الكامنة فيه .

ولقد وجدنا بعضا من نقادنا يفصلون بين الأخلاق والشعر ، ومنهم القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي يقول : "فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدّت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن

---

(١) ابن رشيق القيرواني – العمدة ، ج١ ، ص ٣٠

(٢) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زهير ، وابن الزبعري وأضرابها ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكماً خرساً ، وبكاء[*] مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر"[١] .

ومثل هذا الفصل بين الأخلاق والشعر ظل نظرياً ، أما عند التطبيق فلم يدع النقاد المعيار الأخلاقي جانباً ، وإنما ركزوا عليه ، فالجاحظ يرى أن وظيفة الشعر "تعمير الصدور ، وإصلاحها من الفساد"[٢] . فقد ركزّ الجاحظ على المعيار الديني التعليمي النفعي . أما الثعالبي فعلى الرغم من أنه قرر أن سوء الاعتقاد ليس سبباً لتأخر الشاعر ، إلا أنه رأى أن "للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً ونقلاً ونظماً ونثراً"[٣] .

وقد استنكر عبد القاهر الجرجاني قول المتنبي :

يَتَرَشَّفْنَ من فَمِي رَشَفاتٍ هُنَّ فِيهِ أحلى من التوحيدِ[٤]

ولم يتقبل الجرجاني المسّ بالعقيدة .

إن من الصعب التصور ألا يكون للعمل الأدبي الفني فائدة ، وهذه الفائدة تحصل غالباً بصورة عرضية ، ولا يُطلب من الشاعر أن يكون معلماً ، "فالأدب ليس من وظيفته أن يعلمنا أمراً ، أو يقنعنا بصحة شئ ، أو يُحسّن من أخلاقنا ، فهذا كله يخرج بنا عن فن الأدب ، ومن الممكن أن يؤدي الأدب كل هذه الأشياء ، ولكنه لم يكن أدباً لمجرد أدائه لها ، كذلك ليس من وظيفة الأدب أن يكون جميلاً ، بل الأصح أن نقول : إن من الأشياء التي نحكم بها بأن الأدب جميل أن يؤدي وظيفته تمام الأداء"[٥] فالفن لون من ألوان المعرفة الإنسانية ، وإذا استطاع

---

[*] بكاء : من قل كلامه وخُلقه . وهي جمع بكئ

[١] علي عبد العزيز الجرجاني – الوساطة ، ص ٦٤

[٢] الجاحظ – البيان والتبين ، ج٤ ، ص ٢٣-٢٤

[٣] أبو منصور الثعالبي – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج١ ، ص ١٦٨ .

[٤] الجرجاني – أسرار البلاغة ، ص ٢٠٣

[٥] لاسل آبر كرومبي – قواعد النقد الأدبي ، ص ٥٩-٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر أن يحقق جزءاً من هذه المعرفة كان فناً جميلاً .

واستمرت قضية الشعر والأخلاق مثار جدل بين النقـاد المحدثين ، فقد أكد ت.س اليوت عدم انفصال الأحكام النقدية عن الدينية ، والأخلاقية[١] وكان يرى "أن للشاعر وظيفة محدودة في مجتمعه ، وأنه حين يتجاوز هذه الوظيفة يفسد شعره ، ورأى أن الحضارة الحديثة في طريقها للانحلال ، ولا بد لها من استعادة القيم القديمة ، ولا سيما الدين لتسترد عافيتها"[٢] . وقد ظل "نقد ت . س اليوت موائما للواقع الديني حسب ما يتصوره"[٣] .

إن الجمال قيمة يتوخاها صاحب الأثر الأدبي ويبحث عنها المتلقي ، ولكنه لا يستطيع وحده أن يؤلف الأثر الأدبي ، بل لا بد لهذا الأثر أن ينطوي على حقائق وجوانب للفضائل ، وهذا يعني أن عظمة الأثر الأدبي تتحدد بغاياته الجمالية والأخلاقية في آن .

فالقيمة الأخلاقية التي ينطوي عليها الشعر لا تحدث أثراً في النفس إلا إذا صيغت صياغة جيدة ، وقد ركز نقادنا القدماء على "قيم أخلاقية عند العرب بُني عليها المديح ، والهجاء ، مثل : السخاء ، والشجاعة ، والحلم ، والعزم ، والوفاء ، والعفاف ، والبر ، والعقل ، والصدق ، والصبر ..."[٤] . هذه المعايير الأخلاقية كان الشاعر يثبتها في المديح ، وينفيها في الهجاء ، فهي ايجابية محببة في المديح ، سلبية مرفوضة في الهجاء . وقد جعل جابر عصفور الغاية النهائية للشعر "هي غاية أخلاقية ترتبط بتأكيد مفهوم الفضائل في نفس المتلقي"[٥] ، ومن هذا المنطلق كانت مقولة الصدق تحمل معياراً أخلاقياً واضحاً .

نخلص من كل ذلك إلى القول : إن المعيار الأخلاقي مصاحبة للمعيار الجمالي غير مفارقة

---

(١) ويلبرس سكوت – خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، ص ٥١ – ٥٥

(٢) شكري عياد – النقد الأدبي بين العلم والفن ، ص ٨٧

(٣) ماثيسن – ت . س اليوت الشاعر الناقد ، ص ٣٦٩ .

(٤) ابن طباطبا العلوي – عيار الشعر ، ص ١٨

(٥) جابر عصفور – مفهوم الشعر ، ص ١٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له، والمعيار الأخلاقي يرمي إلى غاية واحدة هي : تثقيف المتلقي ، وتقوية روحه المعنوية . فنحن لا نستطيع الفصل بين المعايير الجمالية والأخلاقية والتعليمية ، والاختلاف بين أدب وآخر يكمن في تغليب معيار على آخر .

وقد حاول أصحاب المختارات الجمع بين المعايير ، الجمالية والأخلاقية والتعليمية ، يقول صاحب مجموعة المعاني "أحببت أن أجمع منه –الشعر– نبذة أذكر فيها أشعار القوم ومقاصدهم في كل معنى بديع ، ولفظ منيع ، ما يطرب ذوي القلوب ، ويجلي به الكروب ، فجمعت منه ما ينتظم في مائة معنى تصلح للمتمثل أن يصل بها خطابه ، ويحلي بمحاسنها كتابه ، وأضفت إلى كل معنى ما يجانسه أو يضاده للملاءمة التي بين الضدية والمثلية ، ولئلا تكثر الأبواب فتعيي طالبها ، واجتهدت في تخيرها من فصيح الشعر وقويه ، الخالي من فحش مستهجن الشعر ووحشيه ، السليم من مستكره العبارة ، ومستغلق المعنى"[١] . فصاحب مجموعة المعاني يبحث عن المعايير الجمالية بقوله : ما يطرب ذوي القلوب ، وغايته تعليم المتمثل وتدريبه ليحسن الاستشهاد ، ويحلي كتابته ، ويعمد إلى الشعر الخالي من الفحش ليرشد المبتدئ إلى طريق الحق ، وينقذه من مهاوي الضلال .

وقد سبقه الجرجاني حين ذكر أنه "عمد لأشرف أجناس الشعر ، وأحقها بأن يحفظ ويُروى ويوكل به الهمم ، ويفرغ له البال ، وتصرف إليه العناية ، ويقدم في الدراية ويعمر به الصدور ، ويستودع القلوب ، ويعد للمذاكرة ، ويحصل للمحاضرة ، وذلك ما كان مثلاً سائراً ، ومعنى نادراً ، وحكمة وأدباً ، وقولاً فصلاً ، ومنطقاً جزلاً"[٢] . فالشعر الذي يستحق الحفظ والرواية ؛ هو الشعر الذي يعمّر القلوب ويرفع الهمم ، ويتحقق ذلك في الأمثال السائرة ، والحكم التي تؤثر في الإنسان ، وتوجهه نحو الخير ، من هنا ركز أصحاب المختارات على الأمثال السائرة ،

---

[١] مؤلف مجهول – مجموعة المعاني ، ص ١٧

[٢] عبد القاهر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأقوال الشاردة ، وكان باب الأدب يتردد في معظم المختارات ؛ ويراد به المعنى الخلقي لا معناه الفني أو الثقافي ، ومعظم موضوعات هذا الباب ثناء على الأخلاق الفاضلة ؛ كالصبر ، والحلم ، والمروءة ، والصداقة ، والوفاء ، والكرم ، والشجاعة .

من ذلك قول المتنبي :

وكُلُّ امرئٍ يُولى الجَميلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مَكانٍ يُنبتُ العِزَّ طَيِّبُ[١]

وقول الخزيمي :

أُضَاحِكُ ضَيفي قَبْلَ إنزالِ رَحْلِهِ ويَخْصِبُ عِنْدي والمَحَلُ جَديبُ

وما الخِصْبُ للأضيافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرَى ولكنما وَجْهُ الكريمِ خَصِيبُ[٢]

ومن ذلك قول سالم بن وابصة :

أُحِبُّ الفتى يَنْفي الفواحِشَ سَمْعُه كأَنَّ بِهِ عَن كُلِ فاحِشَةٍ وَقرا

سليمَ دواعي الصدرِ لا باسطاً أذىً ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا

إذا ما أتَتْ من صاحبٍ لَك زَلَّةٌ فَكُنْ أنتَ مُحتالاً لزَلَّتِهِ عُذرا[٣]

فللشاعر يبحث عن مثل عليا رفيعة يرسمها لتوجه الإنسانية نحو الخير ، ونحو حياة فاضلة ، بشكل غير مباشر أو ملزم ، ويصور الرذيلة بصورة منفرة ، وكان الهجاء مجالاً واسعاً لمثل هذا التصوير :

قال صالح بن جناح العبسي :

ألا إنَّما الإنسانُ غِمدٌ لِقَلْبِهِ ولا خيرَ في غِمْدٍ إذا لم يَكُنْ نَصْلُ

وإن تَجْمَعِ الآفاتِ فالبُخلُ شَرُّها وشَرٌّ من البُخلِ المواعيدُ والمَطْلُ[٤]

---

(١) مؤلف مجهول – مجموعة المعاني ، ص ٤٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨١

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٢-٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن الصعب التصور ألا يكون لمثل هذه الأشعار معيار أخلاقي تعليمي ؛ فهو يحاول إقناعنا بعمل الفضيلة ومجانبة الرذيلة . وهذه النماذج الشعرية تؤكد حرص الشعراء –من جانب– وأصحاب المختارات –من جانب آخر–[١] على المعايير الأخلاقية التي توجه الإنسان نحو الخير الذي يرتقى به إلى حياة فضلى ، لما للشعر من تأثير في نفوس المتلقين . لذلك وجدنا صاحب مجموعة المعاني يختار أشعاراً يدرجها في مائة معنى معظمها أخلاقية ، توجه نحو الخير ، عدا اثني عشر باباً جعلها للوصف ، وكثير مما جاء به من الشعر من باب الحكم والأمثال ؛ لأنه يحمل ثمرات عقول الماضين وتجاربهم ، فيصلح أن يكون مصدراً للثقافة ، والوعظ ، والتوجيه ، فالحكمة ذات صلة وثيقة بالناحية الأخلاقية .

ومن هذا المعيار الأخلاقي حرص أصحاب المختارات على خلو مختاراتهم من كل ما يجرح الذوق ، إلا ما ندر . حتى في الغزل عمدوا إلى اختيار شعر لا يشين . ومن ذلك اختيار الجرجاني لقول المتنبي :

إذا غَدَرَتْ حسناءُ أوفَتْ بعهدِهَـــــا ومِـــنْ عَهدِها أن لا يدومَ لها عَهْدُ[٢]

وقول أبي تمام :

جَحَدْتُ الهوى إن كنْتُ مُذْ جَعَل الهوى محاسَنه شمساً نظرتُ إلى الشمسِ[٣]

وقد حملت فلسفة الموت قيماً إنسانية توجه سلوك الفرد ، وتهذب أخلاقه ،

---

[١] انظر العبدلكاني الزوزني –حماسة الظرفاء ، ج١ ، باب الحماسة ، ص١٧ ، باب الرثاء ص٨٥ ، باب الأدب والحكمة (ص١٥١) وانظر ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ج١ ، باب الرثاء ،ص ٢٩٧ ، باب المديح ، ص ٣٤٧ ، باب الهجاء ص ٤١٩ . انظر محمد العبيدي – التذكرة السعدية ، باب الحماسة ص ٣٤ ، وباب الأدب والحكمة ص ١٧٨ ، وانظر شهاب الدين العنابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، باب المدح ومكارم الأخلاق ، ص ٢٣ ، باب الاخوانيات ص ١٤٥ ، باب الحكمة والأدب ، ص ٢٦٣ .

[٢] عبد القاهر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٠٩

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال قطري بن الفجاءة :

فإنْ أَمُتْ حَتْفَ أنفي لا أَمُتّ كَمَـــدا على الطِعانِ ، وقَصْرُ العاجزِ الكَمَدُ

ولم أَقُلْ لمْ أُساقُ المـــوتَ شـــارِبَهُ في كأسِـــهِ والمنايـــا شُـــرَّعٌ وُرُدُ[١]

ومن ذلك الشعر الذي يشكو الحياة وآلامها "فالشعر الذي يشكو الحياة وآلامها ، والحب وآلامه ، والذي ينظر نظرة تشاؤم إلى الحياة وشؤونها ، شعر أخلاقي بهذا المعنى"[٢] ، وتحفل المختارات بهذا النمط من الشعر الذي يصور طباع البشر وطبع الدهر وتقلباته ، ويرمي من ذلك "اتخاذ المتلقي موقفاً إزاء العالم فيتجنب فعل ما ، ويقبل على فعل آخر"[٣] .

المعيار تربوي أخلاقي ، ومن بعد ذلك قول البحتري :

وإذا تأملْـــتَ الزمـــانَ رأيتَـــهُ دُولاً علـــى أيديكُـــمُ تَتَقلَّـــبُ[٤]

وقول المتنبي مادحاً سيف الدولة :

هو البحرُ غُصْ فيه إذا كانَ ســـاكناً علـى الـدُرِ واحذَرْهُ إذا كانَ مُزْبِدا

فإني رأيتُ الدهر يَعْثُـــرُ بالفتـــى وهـــذا الـــذي يأتـــي الفتى مُتَعَمِدا[٥]

فتقلبات الدهر تدعو الإنسان ليفكر فيما عمل ، ويحاسب نفسه ، فيميل بوجهه عن الأفعال المشينة ، ويندب الأيام التي سلفت ولم يستثمرها في عمل الخير ، فهي تحفز المتلقي على تقويم أخلاقه والسير في الطريق القويم .

---

(١) الجراوي التادلي – الحماسة المغربية ، ج١ ، ص ٦٢١ – ٦٢٢ .
(٢) أحمد أمين – النقد الأدبي ، ص ٣٤ .
(٣) زكي نجيب محمود – مع الشعراء ، ص ٢٣٠
(٤) الجراوي التادلي – الحماسة المغربية ، ج١ ، ص ٤٠٥
(٥) المصدر نفسه ، ج١ ص ٤٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ركز أصحاب المختارات على الصداقة وما يتصل بها من إخلاص ، وحفظ العهد ، وعدم إفشاء السر ، والقناعة والصدق ، من ذلك قول أبي تمام :

ليسَ الصديقُ بمَن يُعيِرُك ظاهـــراً متبسّـــماً عـــن باطـــنٍ مُتَجَهِّمِ[١]

كان للدين الإسلامي أثر في التوجه إلى الإيجابيات ، لذلك كان أصحاب المختارات يقدمون مدح الرسول فالجراوي التادلي قد اختصر كتاب (صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب) في كتابه الحماسة المغربية ، واختصر أبواب الكتاب عدا باب مدح الرسول "فقد أثبته بكماله ، وأقره على حاله ، رغبة في كثرته وتبركاً بتفصيله وجملته"[٢] لما يحويه من قيم تمس جوهر العلاقات الإنسانية السامية ، وقد جعله الباب الأول من كتابه[٣] وفصله عن سائر الأمداح .

ومن ذلك قول مالك بن عوف :

مـــا إنْ رأيتُ ولا سمِعْتُ بمثلِـهِ في الناسِ كُلِهِمِ كمثـــلِ مُحمـــدِ
أوفى وأعطـــى للجزيـــلِ إذا اجْتُدِي ومتى تَشأ يُخْبِرْكَ عمـــا في الغدِ
وإذا الكتيبـــةُ عـــرَّدَتْ أنيابَهـــا بالسَّمْهَرِيِّ وضَرْبِ كـــلِّ مـــهنـــدِ
فكأنَّـــهُ ليـــثٌ علـــى أشبالِهِ وَسْطَ الهباءَةِ خادرٌ فـــي مرصـــدِ[٤]

فالرسول مثل وقدوة اجتمعت فيه الصفات الكريمة والخلال الطيبة التي أظهرها الشعراء في مدحهم الرسول ، واختار أصحاب المختارات هذه الأشعار ، لتكون صفات الرسول منهجاً أخلاقياً يتخذه المتلقي ويتمثله .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٣٠٠
(٢) الجراوي التادلي – الحماسة المغربية ج١ ، ص ٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤١–١١٥ ، وانظر للتذكرة الفخرية ، الإربلي ص ٢٧٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٧٤–٧٥ . وقد اختار صاحب الحماسة البصرية ، صدر الدين البيتين (الأول والثاني) ج١ ص ٢١٨.
عرّد : وأحجم ، السمهري : الرمح ، الهباءة : القطعة من الهباء وهو الشئ المنبث الذي يُرى في البيت عندما يدخله ضوء الشمس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال حسان بن ثابت :

إنَّ الذوائـــبَ مِن فهرٍ وإخوتهـمْ ... قد بيّنوا سُنةً للنـــاسِ تُتبَـــــعُ

قوم إذا حاربـــوا ضَروا عدَوهُـــمْ ... أو حاولوا النفعَ في أشياعِهِمْ نفعُـوا

لا يجهلونَ إذا حاولـــتَ جَهْلَهـمُ ... في فَضْلِ أحلامِهِمْ عن ذاكَ مُتَسَعُ

سَجِيَةٌ تِلكَ منهُمْ غَيـــرُ مُحْدَثَـــةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شرُّها البِـــدَعُ

إنْ كانَ في الناسِ سَبّاقونَ بعدَهُـمْ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدنـــى سَبْقِهِـمْ تَبَـعُ

لا يَرْقَـعُ الناسُ ما أوهَتْ أكفهُـمُ ... عِندَ الدفاعِ ولا يُوهونَ ما رَقَعُـوا

لا يَبْخلـونَ علـــى جارٍ بفضلِهِـمِ ... ولا يَمَسهُـمٌ مـــن مَطْمَـعٍ طَبَعُ

أعِفّةٌ ذُكِرَت في الوَحـــيِ عِفّتُهُـم ... لا يطمعـــونَ ولا يُـرْدِيهُـمُ طَمَعُ

كأنّهم في الوغى والمـــوتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسدٌ بخفّـــانَ فـي أرسانِهـا فَـدَعُ

لا فُرِّحَ إنْ أصابوا مِـــن عَدوِهِـمِ ... وإنْ أُصيبـــوا فلا خُورٌ ولا جُزَعُ

خُذْ مِنْهُمُ ما أتى صَفواً إذا غَضِبوا ... ولا يَكُـــنْ هَمَكَ الأمرُ الذي مَنَعُوا

فإنّ في حربِهِم فاحـــذر عَداوَتَهُـمْ ... سُمّاً يُذافُ عليـــهِ الصّابُ والسَّلَعُ

أكْرِمْ بقومِ رسولِ اللـــهِ شِيعتُهُـــمْ ... إذا تَفَرّقَـــتِ الأهـــواءُ والشِيَـــعُ[1]

لقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد والعلم والجهاد ، ومكارم الأخـلاق ، ليقيم مجتمعاً إسلامياً على العدل والمحبة والمساواة . وقد اجتمع لرسول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم مكارم الأخلاق ، فكان أرحم الناس وأشدهم إكراماً ، وأكثر النـاس تواضعاً ، يعـود المريض ، ويحب الطيب ، ويكره الخبيث ، ولا يتميز على أصحابه في ملبس أو مـأكل ، يصـبر علـى أذى قومه ، ويجاهد في سبيل ربه ، ولا ينطق إلا بالصدق . هذه السجايا والشـمائل المحمديـة تـرددت

---

[1] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٢٧٣–٢٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قومه ، ويجاهد في سبيل ربه ، ولا ينطق إلا بالصدق . هذه السجايا والشمائل المحمدية ترددت في قصائد المدح لتكون نبراسا وهادياً . وهذا ما جعل صاحب منتهى الطلب يبدأ كتابه " بشعر كعب بن زهير ويختمه بهاشميات الكميت تيمناً وتبركاً بمدح الرسول "[١] لذلك فإن القصائد التي اختارها في كتابه كادت تخلو من كل ما يشين فيما عدا ما ورد في قصيدة جران العود في هجاء زوجته [٢] وكثير من القصائد التي اختارها تحمل الأمثال والحكم وتجعل الانسان يتفكر في دنياه الزائلة من ذلك ما اختاره للنمر بن تولب :

فأوصِي الفتى بابتناءِ العُلى وأن لا يَخونَ ولا يَأثَمـا

وَيلبسُ للدهرِ أجلالَـــهُ فلن يَبْنيَ الناسُ ما هدَّما

إن المعيار الأخلاقي كان حاضراً في ذهن ابن ميمون حين اختار مثل هذه الأبيات فهي وصايا من شأنها تنبيه النسان الغافل فيبتعد عن هوى النفس وملذات الحياة .

في ضوء ما سبق نجد أن انسجاما قوياً ، وترابطاً متيناً بين المعيار الجمالي ، والمعيار التعليمي ، والمعيار الأخلاقي ، لا انفصام بينها . والاختلاف بين المختارات يكمن في تغليب معيار على آخر .

---

(١) ابن ميمون – منتهى الطلب ، ص ١٠

(٢) انظر هذا البحث ، ص ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

المختارات والقضايا النقدية

أولاً : اللفظ والمعنى

ثانياً : السرقات

ثالثاً : البديع

رابعاً : القديم والحديث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختارات القضايا النقدية

من الظواهر الملموسة في الحياة النقدية تعدد وجوه النقد الأدبي ، وتطوره الدائم وفق تطور الحياة الأدبية ، ولأن المختارات نقد ضمني فإن فعل التغيير والتعدد قد شملها ، ولم تكن بمعزل عن الحركة النقدية ، وإنما تأثر أصحابها بقضايا نقدية كثيرة مثل : اللفظ والمعنى ، والسرقات ، والبديع ، والقديم والحديث : وقد انعكس هذا التأثر على المختارات ، ولا يمكن إدراك هذا التأثر إلا من خلال عرض لبعض المقولات النقدية المختلفة التي طرحت حول هذه القضايا لبيان مدى التوافق أو الاختلاف بين نظرة النقاد ونظرة أصحاب المختارات .

لقد أسلفت القول[1] إن المختارات نقد ضمني ، فهي صورة من صور النقد ، ومن المستحسن ربطها بمسيرة التطور النقدي ووضعها في مسارها النقدي الصحيح .

---

[1] انظر ص ٥ من هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : اللفظ والمعنى

لقد شغلت قضية اللفظ والمعنى النقاد العرب فتناولوها بالدراسة *، واتجهوا فيها اتجاهات متباينة ، وإذا كانت هذه القضية قد احتلت مكانتها البارزة لدى النقاد وعلماء البيان منذ بشر بن المعتمر والجاحظ إلى نهاية القرن الخامس الهجري ، فإننا نجدها قد احتفظت بمكانتها في العصور اللاحقة ، وازداد الاهتمام بها ، واتخذت مسارات جديدة ، وقل أن نجد ناقداً لم يتعرض لها في مؤلفه ، وانقسمت المواقف ؛ فمن مؤيد للفظ أو المعنى أو لكليهما .

وعدّ الجاحظ من مؤيدي اللفظ لقوله : "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتمييز اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير"[١] فقد ركز الجاحظ على اللفظ ونهج كثير من النقاد نهجه "فالجاحظ من أبرز أعضاء هذه الفئة ، بل رئيسها"[٢] .

والحقيقة إن الفصل بين اللفظ والمعنى ، والإشارة إلى أهمية أحدهما على الآخر غير مستساغ ، إذ يمكن القول : إن الدراسات النقدية قامت لمعرفة أين يكمن الجمال في المعنى وحده أو اللفظ وحده ؟ والمعاني المطروحة عند الجاحظ يقصد بها حسن الصياغة والقدرة على التأليف ، ودليل ذلك ما ذكره الجاحظ "ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني ، وفي الاقتصار بلاغ ، وفي التوسط مجانبة للوعورة"[٣] . فهو يطلب من الأديب أن يتجنب الوعورة ، وأن يقدم المعنى بألفاظ واضحة ، وقال "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة

---

* أنظر النقد العربي والوظيفة الاجتماعية ، موسى ذيبان ، ص ٢٢٢ – ٢٣٥ ومختارات عبد القاهر الجرجاني، عايش العايش ، ص ١١٧ – ١٢٦ و النظرية النقدية عند العرب ،هند طه ، ص ١٧٥– ١٨٠ .

[١] الجاحظ – الحيوان ، ج٣ ، ص ١٣١–١٣٢

[٢] د. محمود السمرة – مدخل إلى النقد الأدبي ، ص ١٢٢ .

[٣] الجاحظ – البيان والتبيين ، ج١ ، ص١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[١] ، ولهذا كانت الألفاظ على قدر المعاني ، وقد شبه الألفاظ بالجسم والمعاني بالروح "إن الأسماء في معنى الأبدان ، والمعاني في معنى الروح ، اللفظ للمعنى بدن ، والمعنى للفظ روح ، ولو أعطاه الأسماء بلا معان لكان كمن وهب شيئاً جامداً لا حركة فيه ، وشيئاً لا حسن فيه ، وشيئاً لا منفعة عنده ، ولا يكون اللفظ اسماً إلا وهو مضمن بمعنى ، وقد يكون المعنى ولا اسم له ، ولا يكون اسم إلا وله معنى"[٢]. وذهب د. إحسان عباس إلى أن الجاحظ أراد "المادة الخام أو المعاني الأولية"[٣] . فالقضية التي شغلت الجاحظ هي قضية الصياغة وجودتها ، وليس قضية لفظ أو معنى مستقل ، إذ لا انفصام بينهما بل هما مترابطان أشد الترابط .والبحث كان عن الجمال وأين يكمن ؟

أما ابن قتيبة فيقول بجودة الشعر استناداً إلى المحتوى والصورة معاً ، ويبدو أنه أحس أن أول ما يغزو المتلقي من الفن الشعري هو لفظه ، ثم تكون الجولة للمعنى ، فهو يرى أن المعنى يقع تحت الألفاظ ، وقد عرّف ابن قتيبة الشعر في أربعة أضرب : "ضرب حَسُن لفظه وجاد معناه ، وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه"[٤] ، وهذا التعريف يساوي بين الصياغة اللغوية ، وبين الأفكار ، فلا أهمية لأحدهما على الآخر .

ويقدم ابن طباطبا تصوراً لقضية اللفظ والمعنى من خلال المشاركة بين الاثنين ، فهو يؤمن بالعلاقة الأساسية بينهما ، ويركز على الحكمة لأنها تحوي قيما أخلاقية وإنسانية إذا ما قدمت بألفاظ حسنة واضحة ، "إن للمعاني ألفاظاً تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي لها

---

(١) الجاحظ – البيان والتبيين ، ج١ ، ص٧٥

(٢) الجاحظ – رسائل الجاحظ ، رسالة الجد والهزل ، ج١ ، ص ٢٦٣

(٣) احسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٨

(٤) ابن قتيبة – الشعر والشعراء ، ص ٦٤-٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض ، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه ، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه"[١] ، وقد رفض ابن طباطبا أن يكون الشعر مجرد أشكال وألفاظ خاوية ، ورأى أن الشعر يحمل تجارب الإنسان في ضوء تفاعله مع الحياة .

ويعد قدامة بن جعفر ممن أيدوا المساواة بين اللفظ والمعنى ، فالمعاني عنده "كلها معرّضة للشاعر ، وله أن يتكلم فيما أحب وأكثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يدوم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، واللفظ فيها كالصورة"[٢] ، ثم يقول "وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة والرّقة والنزاهة والبذخ ، والقناعة وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة أن يتعرض في البلوغ في التجويد في ذلك إلى النهاية المطلوبة"[٣] ، فهو يؤكد على جمال الصياغة .

وقد ركز الآمدي على الصورة الشعرية ، والصياغة الفنية حيث قال : "ودقيق المعاني موجود في كل أمة ، وفي كل لغة ، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وأن تكون الإستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف"[٤] .

وإن "سوء التأليف ورداءة اللفظ يُفسران المعنى ، ويؤديان به إلى الغموض والتعقيد"[٥] . إن الآمدي أراد أن توضع الألفاظ في سياق يزيدها قوة ودلالة ويكسبها طاقات جديدة ، وهذا يعتمد على قدرة الشاعر على التأليف ، والتمثيل ، والإستعارة لتقديم المعنى بأبهى صورة .

---

(١) ابن طباطبا – عيار الشعر ، ص ١٤
(٢) قدامة بن جعفر – نقد الشعر ، ص ٦٥
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥
(٤) الآمدي – الموازنة ، ص ٣٨٠
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصياغة الفنية تضفي على المعنى الوضوح والرونق والحسن "فحسن التأليف ، وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسناً ورونقاً"[١] .

وعلى الرغم من أن أبا هلال العسكري قد أورد رأي الجاحظ القائل بأن المعاني مطروحة في الطريق –على علاته– دون مناقشة ، إلا أنه قال : "إن الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ ، لأن المدار بعد على إصابة المعنى ، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان ، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبة أحدهما على الأخرى معروفة"[٢] . وتعد إصابة المعنى من العناصر الأساسية في البحث عن معنى الشعر ومهمته ، والبحث عن المعنى يقاس بقواعد مألوفة تخضع للأعراف ، وتقترب من الواقع .

وقد ركز المرزوقي على أن الفضل يعود للمعنى أولاً : "فلما كان مداه – يقصد بيت الشعر– لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه ، وكلاهما قليل ، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى"[٣] ، فدور اللفظ أن يكون وعاءً للمعنى يحمله ويظهره .

أما ابن رشيق فقد ساوى بين اللفظ والمعنى "اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر ، وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور ، وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه ، كان اللفظ في ذلك أوفر حظاً ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا تجد المعنى يختل إلا من جهة اللفظ ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في

---

(١) الآمدي – الموازنة ، ص ٣٨١

(٢) أبو هلال العسكري – كتاب الصناعتين ، ص ٨٤

(٣) المرزوقي – شرح مقدمة الحماسة ، ج١ ، ص ١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه في رأي العين إلا أنه لا ينتفع بـه ، ولا يفيد فـائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح لـه معنـى ، لأنّا لا نجد روحاً فـي غير جسم البتّه"[١] .

إن فكرة النظـم التـي ضمنهـا الجرجـاني كتابيـه (دلائـل الإعجـاز ، وأسـرار البلاغـة) قـد أشعلت جذوة المباحث النقدية والبلاغية . وفكرة النظم تجعل للفظ قيمـة باعتبـاره رمزاً للمعنـى ، ويتعلق الفكر بما بين معاني الكلمات من علاقات ، وليست هذه العلاقـات إلا معـاني النحو ، ولـم تعد مهمة النحو تقتصر على جانب الصحة ، وإنما تعداه إلى مراعاة المعنى . وقد أكد الصلة بين اللفظ والمعنى بقوله : "ما في اللفظ لولا المعنى ، وهل الكلام إلا بمعناه ؟ فأنت لا تراه يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة وأدباً واشتمل على تشبيه غريب ، ومعنى نـادر ، فـإن مـال إلـى اللفظ شيئاً ورأى أن ينحله بعض الفضيلة لم يعرف غير الإستعارة ، ثم لا ينظر في حال تلك الإستعارة أحسنت بمجرد كونها استعارة ، أم من أجل فرق ووجه ، أم للأمرين ؟"[٢] .

ويفصل عبد القاهر القول في المعاني ويجعلها على قسمين : المعاني المتخيلة ، والمعـاني العقلية .

فالذي هو عقليّ على أنواع : (أولها عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء ، والفوائد التي تثيرها الحكماء ، ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنـس منتزعـاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة رضـي اللـه عنهـم ، ومنقـولاً مـن آثـار السلف الذين شأنهم الصدق ، وقصدهم الحق ، أو تـرى لـه أصـلاً فـي الأمثـال القديمـة ، والحكـم المأثورة عند القدماء"[٣] . فالمعنى العقلي عند الجرجـاني استمد عنـاصره مـن الواقـع المعـاش ، ومن المعاني الإسلامية التي تتضمن نزعة الخير ، وقد حلل رئيف خوري تعليق الجرجاني علـى

---

(١) ابن رشق القيرواني – العمدة ، ج١ ، ص ١٢٤

(٢) الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٩٤

(٣) الجرجاني – أسرار البلاغة ، ص ٢٤٤–٢٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيت المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

إن الجرجاني هنا لا يتناول بيت المتنبي من حيث هو ألفاظ أجيد انتقاؤها أو صياغة أحكم بناؤها ، وحسن وقع جرسها ، ولا يلم بالمعنى من حيث موافقته لمناسبة قيل فيها من مدح أو هجو أو وصف ، وإنما ينقله من حيث هو فكرة قضت بصوابها وصحتها أحوال بشرية اجتماعية فنية ، فهو ناقد في ضوء الواقع الإجتماعي"[١] ، فالاعتبارات الإجتماعية والأخلاقية والتربوية ألقت بظلالها على المعاني المختارة فكانت الحكم أقرب إلى النفس البشرية ، حيث تقدم رؤية من صميم الحياة يسعى الإنسان إلى تحقيقها . وبذلك يطرح الشعر تصورات مختلفة حسب النزعات الإنسانية خيرها وشرها ، ويكون قبولها أو رفضها حسب هذه النزعات .

ويأتي ابن الأثير فلا يفصل بين اللفظ والمعنى "وليس لقائل ها هنا أن يقول : لا لفظ إلا بمعنى ، فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى ؟ فإني لم أفصل بينهما"[٢] . ولكنه في موضع آخر يؤثر المعنى على اللفظ . يقول : "فالعرب إنما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها ، فالألفاظ إذا خدم المعاني ، والمخدوم لا شك أشرف من الخادم ، فاعرف ذلك وقس عليه"[٣].

وبهذا لا نستطيع موافقة د. بدوي طبانة الذي يرى أن ابن الأثير يؤثر اللفظ على جانب المعنى في تقدير البلاغة ، أو تقدير القيم الفنية للأدب ، وذلك عند تناوله قضية اللفظ والمعنى عند أبي هلال العسكري حيث يقول : "ويجيء بعد عبد القاهر عالم من طراز آخر ليس عنده هذا التعمق في التفكير ، ولكنه لا ينقصه الذوق ولا يعوزه الإطلاع على رأي هذا أو ذاك ، لا يتقبل هذا المنطق والقياس ، وإن كان يسلم إلى نتائج يرضاها العقل ويطمئن إليها ، لا يرضى هذا الرأي ،

---

(١) رنيف خوري – الأدب المسؤول ، ص ١٦٧–١٦٨

(٢) ابن الأثير – المثل السائر ، ج١ ، ص ٤٤

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٥–٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل يؤثر جانب اللفظ على جانب المعنى في تقدير البلاغة أو تقدير القيم الفنية للأدب ، ذلك العالم هو ضياء الدين بن الأثير"[١] .

أما حازم القرطاجني فقد نظر إلى اللفظ غير منفصل عن المعنى ، بل كانت نظرته المزج بينهما في تركيب واحد : "يكون في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصور الذهنية في نفسه ، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه في النفوس من جهة هيئته ودلالته ، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذهنية في أنفسها ، ومن جهة مواقعها في النفوس"[٢] . وقد قسم المعاني إلى قسمين : المعاني الشعرية ، والمعاني غير الشعرية . "فالمعاني الشعرية منها ما يكون مقصوداً في نفسه بحسب غرض الشعر ومعتمداً إيراده ، ومنها ما ليس بمعتمد إيراده"[٣] ، ثم تحدث عن المعاني غير الشعرية ورأى أن المقصود بها "المعاني العامية"[٤] . ويركز القرطاجني على امتزاج المعاني بالألفاظ "واعلم أن النسب الفائقة إذا وقعت بين هذه المعاني المتطابقة بأنفسها على الصور المختارة من حيث أن المعاني متناظرة ، كان ذلك من أحسن ما يقع في الشعر"[٥] .

أما صاحب الطراز فإنه يميل إلى المعنى ، ولكنه لا ينسى الألفاظ "فالبلاغة وصف للألفاظ والمعاني معاً ، ولا يوصف الكلام بالبلاغة إلا إذا حاز مع جزالة المعنى فصاحة اللفظ"[٦] . ولكنه جعل الألفاظ في أنفسها تابعة للمعاني "وأن أي جهد مع الألفاظ مقصود به خدمة المعاني وحسن عرضها"[٧] .

وقد ذهب القلقشندي إلى أن "الألفاظ تابعة والمعاني متبوعة ، وطلب تحسين الألفاظ إنما

---

(١) بدوي طبانة – أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية ، ص ١٨٢-١٨٣
(٢) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ١٨
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٠
(٦) يحيى بن حمزة العلوي – الطراز ، ج١ ، ص ١٢٨
(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو لتحسين المعاني ، بل المعاني أرواح الألفاظ وغايتها التي لأجلها وضعت وعليها بنيت ، فاحتياج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى أشد من احتياجه إلى إصابة اللفظ ، لأنه إذا كان المعنى صوابا ، واللفظ منحطا ساقطاً عن أسلوب الفصاحة ، كان الكلام كالإنسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه ، وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الميت الذي لا روح فيه ، ولو كان على أحسن الصور وأجملها"[١] .

من خلال الآراء التي دارت حول اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم نلحظ عدم وجود خلاف واضح حول هذه القضية ، إذ ينادي النقاد بالاهتمام بقضية واحدة وهي "أن المعنى لا يتجسم ، ولا يبرز بنفسه ، ولا يستمد التأثير من ذاته ، وإنما يبرز في قوالب من الألفاظ تظهره ، وتحدد معالمه ، وتمده بالتأثير"[٢] . فإلى الصياغة يرجع الفضل الأول في إبراز المعنى ، وإلى الصياغة يعود جمال الصورة والبراعة في تقديمها ، ومن هنا تتفاضل الأساليب ويتقدم شاعر على آخر .

ولعل القدماء في دراستهم لقضية اللفظ والمعنى ، أرادوا معرفة مصدر الجمال ، هل هو في المعنى وحده ، أم في اللفظ وحده أم في الإثنين معاً ؟ وقد أحسوا بأن الفصل بين اللفظ والمعنى غير محكم ، إذ هما وجهان لعملة واحدة ، ولا يتم أي عمل أدبي فني بأحدهما دون الآخر ، وهذا ما أكده النقاد ، فالذين انتصروا للفظ لم ينكروا فضل المعاني ، والذين يعنون بالمعاني ويقدمونها لم ينكروا أثر الصياغة في الصناعة الأدبية ، وهذا الارتباط بين شكل العمل الأدبي ومضمونه إنما هو إبراز للتكامل بين اللغة والتفكير . ولا يعني الفصل بين اللفظ والمعنى في دراسة النقاد القدماء "بأن لكل واحد منهما وجوداً مستقلاً عن الآخر ، ولكنهم اضطروا إلى ذلك الفصل لغايات تعليمية حتى يفرد اللفظ بنعوته الذاتية التي يفضل بها غيره من الألفاظ التي قد

---

[١] القلقشندي – صبح الأعشى ، ج٢ ، ص ١٩٢–١٩٤

[٢] عباس حسن – المتنبي وشوقي ، ص ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستعمل في معناه ، ويفرد لذلك المعنى الذي يصوره الأديب بصفاته التي يمتاز بها عن غيره من معاني الآخرين"[١] .

ولما كان الشعر متفاوتاً في قوته وعمقه بتفاوت الأفراد من حيث موهبتهم وثقافتهم وتجربتهم في الحياة ، فالشعراء لم يكونوا على درجة واحدة من البيان ، كان الاختيار ، وكان البحث عن الحقيقة الجمالية .

فالأدب يجب أن يكون جميلا . ولكن أين يكمن هذا الجمال ؟ هل هو في المعنى ، أم في اللفظ ، أم في "الأسلوب والصياغة ، أم في هذا كله أجمع ؟" .

وبحث النقاد القدماء عن مصدر الجمال الشعري كان -في أغلبه- نظرياً ، وجاءت المختارات لتكون تطبيقاً للمقولات النقدية .

إن كتب الحماسة بما احتوته من أبواب ؛ الأدب ، والحكمة ، والمدح والرثاء ، والفخر كانت ذات قيمة جمالية لها علاقة وثيقة بالمضمون الأخلاقي ، فالحماسة ليست كراً وفراً ، وإنما يستتبع هذا الكر والفر خلالٌ جمة كالنخوة ، الصبر ، والشجاعة ، والأنفة ... ولعل هذا ما دفع صاحب الحماسة المغربية البدء بمدح النبي فأورد شعراً لعلي بن أبي طالب ، ثم شعراً لعمر بن الخطاب ، ثم أردفه بشعر لكعب ثم لحسّان بن ثابت[٢] ، فعلى الرغم من مكانة كعب وحسان الشعرية التي تفوق شاعرية عمر أو علي من حيث جودة الصياغة الفنية إلا أنه قدمهما لمكانتهما الدينية ، ولما يحمل شعرهما من المعاني التي تحض على الوقوف في وجه الباطل ، وتدفع المتلقي لتمثل أخلاق النبي ، والاقتداء بأفعاله ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجاً للكمال ؛ فهو شخصية تكاملية في الأبعاد النفسية والخلقية ، لذلك قدّم في المديح . أما مدح

---

[١] بدوي طبانة - قضايا النقد الأدبي ، ص ١٧٣

[٢] الجراوي التادلي-الحماسة المغربية،ص ٤١-١١٥. وانظر الثعالبي-اللآلئ والدرر ، ص ٢٣-٣٩ ، صدر الدين البصري-الحماسة البصرية ، ج١،ص ١١٧-١٩٥ ، العبدلكاني الزوزني-حماسة الظرفاء ، ج٢،ص١٨٣-٢٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للكمال ؛ فهو شخصية تكاملية في الأبعاد النفسية والخلقية ، لذلك قدّم في المديح . أما مدح الشخوص الأخرى فقد كان المادح يبحث عن النموذج في كل صفة ، فهو يبحث عن النموذج في الكرم ، النموذج في الشجاعة ، النموذج في الحنكة ، وهكذا في كل الصفات لمحاولة ارتقاء المعالي .

إن المعنى كان شاغلاً فكر الجراوي ، ودافعاً لاختياره الشعر الذي يصلح للتمثل ، ويصلح لأن يكون هاديا لمتلقيه ، ومصلحاً له ، فحين يختار شعر المديح يختار ما يحمل من صفات اتصف بها الجاهلي والإسلامي من : كرم وشجاعة وقوة بأس ، وقول الحق ، والدفاع عن الدين ، وتحمل

المشقة والآلام ، والعدل ، والسماحة ، ونجدة المظلوم ، والحنكة ، والهيبة ، والزهد ، والتوبة ، والحياء ، والطهارة ، والعلم ، والرحمة ، وعلو الشأن ... الخ .

وحين يختار شعرا في الفخر يختار ما يحمل الصفات السابقة نفسها ، وإذا عمد إلى الرثاء اختار ما يُشيد بالمناقب ذاتها التي كان الميت يتحلى بها ، حتى الغزل فإن الشاعر يحلو له التغني بالعفة ، والإباء ، والجمال الممتنع ، وصاحب الاختيار يميل إلى هذا الشعر ويبتعد قدر الإمكان عن الشعر الماجن الفاحش إلا ما ندر .

وجل هذه المعاني –إن لم يكن جميعها– التي يختارها صاحب الاختيار نابعة من البيئة الإجتماعية التي يحيا فيها فتدفعه إلى البحث عن قيم الخير والجمال وتمثلها . ولا يعني ذلك غض الطرف عن الألفاظ ودورها الفاعل في الصياغة الفنية . ولعل هذا هو ما دفع إلى وقوف معظم كتب الاختيارات عند الحكم والأمثال . إذ إن هذا النوع من الشعر يتسم بجودة الألفاظ ، وحسن سبكها ، وتآلفها مع المعاني المستقاة من تجارب السابقين فتمس نفوس المتلقين لتوافقها وطبيعة حياتهم التي يعيشون ، فتؤثر فيهم أبعد تأثير ، فتحقق المتعة والفائدة في آن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد جمع صاحب مجموعة المعاني "مائة معنى تصلح للمتمثل أن يصل بها خطابه"[١] وعنوان الكتاب مؤشر واضح على احتفاء صاحبه بالمعاني التي تعلي من شأن الإنسان إنْ تمثلها ، وتحض من مكانته إن تمثل ضدها ، لذلك عمد إلى اختيار شعر في معنى ما ثم اتبعه بشعر يضاده أو يجانسه في المعنى ، فمثلاً ؛ المعنى الثامن كان في العزم والجد ، وجاء المعنى التاسع في العجز والتواني ، والمعنى العاشر كان لمكارم الأخلاق ، ثم جاء المعنى الحادي عشر لمساوئ الأخلاق ... وهكذا معظم معاني الكتاب ، ونراه دائماً يقدّم المعنى الحسن ، ويتبعه بنقيضه . فمن مكارم الأخلاق اختار قول الشاعر :

يعيشُ المرءُ ما استحيـــا بخيرٍ ... ويبقـــى العُودُ ما بقِيَ اللِّحـاءُ

فـلا واللهِ ما في العيشِ خَيـــرٌ ... ولا الـدُّنيا إذا ذَهَـبَ الحيـاءُ

إذا لمْ تخشَ عاقبةَ الليالـــــي ... ولـم تَستحيّ فافعلْ ما تشـــاءُ[٢]

ومن مساوئ الأخلاق اختار للأقيشر :

إذا المَرْءُ وَفّى الأربعينَ ولم يَكُنْ ... له دُونَ ما يأتي حَياءٌ ولا سِتْرُ

فَـدَعْهُ ولا تَنْفِسْ عليه الذي أتى ... وإنْ مدَّ أسبابَ الحياةِ له العُمْرُ[٣]

لما كان الحياء شعبة من شعب الايمان لما له من أثر في ردع الإنسان عن المعاصي والفواحش ، فالخير كل الخير يكمن في حياء الإنسان من ربه أولاً ، ثم من الناس ، ثم من نفسه ، فإذا ما ذهب الحياء استباح الإنسان فِعل أي شئ ، وتفشى الفساد في الأرض ، فالغاية تقويم وإصلاح وإرشاد . والشعر وسيلة ومادة لتأديب النشئ لما له من تأثير بأبعاده الخلقية وأهدافه السلوكية . لذلك عمد أسامة بن منقذ -بعد الزلزال الذي هز كيانه وأفقده أهله- لجمع أشعار في بكاء المنازل والديار تتكئ على المضامين بالدرجة الأولى ، ووقع هذه المضامين على

---

[١] مؤلف مجهول – مجموعة المعاني ، ص ١٧

[٢] المصدر نفسه ، ص ٧٩

[٣] المصدر نفسه ، ص ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتلقين والتأثير فيهم ، لتكون وسيلة للتأسي .

إن المختارات تنزع منزعاً سلوكياً وظيفياً يعنى بتغذية حاجات المتلقي النفسية بما يرشد سلوكه ، ويوجه غرائزه نحو القيم الخلقية ، ويحرك النفوس نحو الفضيلة والخير ، لذلك جرى تداول نماذج من المعاني الشريفة ، واتضحت في محورين :

الأول : شعر الحكمة .

والثاني : شعر القيم الخلقية والفنية .

وهذان المحوران متداخلان . فكل شعر حكمة يحوي قيماً خلقية ، وليس كل شعر يحمل قيماً خلقية حكمة .

ولقد كانت الحكم والأمثال هي النموذج الشعري الذي يحتذى ، خاصة أن بعض أصحاب الاختيارات كانت غايتهم من جمع الشعر تعليمية بالدرجة الأولى ، فالعنابي يختار "من جيد الشعر ومحكمه وأمثاله وحكمه ... ليستفاد منه في المخاطبات والرسائل والمكاتبات"[١] وقد بدأ كتابه بباب المدح وجعله ثلاثين فصلاً ، كل فصل يتناول مكرمة من مكارم الأخلاق ، فبدأ بمدح العقل الذي به يعلو شأن الإنسان ، واتبعه بمدح العلم المفيد الذي يرقى الإنسان به .

وإذا اجتمع للإنسان علم وعقل تحققت فيه جل الخلال الحسنة . وقد كانت الأشعار التي اختارها تحمل كثيراً من المعاني الدينية . انظر إلى قول الشاعر :

لا تَضَرَّعَنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ ... فإنَّ ذلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ في الدينِ

واسترزقِ اللّه مما في خزائنِهِ ... فإنما هو بينَ الكافِ والنونِ

لولا شماتَةُ أعداءٍ ذَوِي حَسَدٍ ... وإنْ أتاكَ بنقصٍ مَن يُزَجِّيني

فما خَطَبْتُ إلى الدنيا مطالِبَهَا ... ولا بَذَلْتُ لها عِرْضِي ولا دِيني[٢]

---

[١] العنابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ١٧

[٢] المصدر نفسه ، ص ٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشاعر يدعو إلى التوكل على الله مالك الملك ، لأن العجز كل العجز أن يرجو الإنسان إنساناً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً . وهذه الأبيات تحمل معنى قوله تعالى : "أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ، وإليه ترجعون"[١] .

وقد حمل شعر ابن نباتة مدلولاً دينياً في قوله :

عَجِبْتُ لِمُبْتاعِ الضَلالةِ بالهُدى ... ومَن يشتري دُنياهُ بالدينِ أَعْجَبُ

وأَعْجَبُ من هَذين مَن باع دينَه ... بدُنيا سِوَاه ، ذَاكَ من ذَيْنِ أعجَبُ[٢]

أخذ الشاعر معنى قوله تعالى :

"أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين"[٣]

وقوله : "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار"[٤]

وقد أعجب العنابي بقصيدة لأبي مفرج القرشي النابلسي فأوردها في باب مستقل أسماه (نزهة الألباب في الحكم والآداب) وهي تحمل كثيراً من المعاني الدينية بشكل مباشر تقريريّ يكاد يخلو من أي اهتمام بالصور الفنية ، إذ كان هدف الشاعر أن تكون قصيدته نصائح ينتفع بها الأبناء فتهديهم إلى دار الخلد والبقاء .

يقول النابلسي :

إذا ابتـــدأْتَ الأمَر سَمِّ اللـــهَ ... واحمدْهُ واشكُـــرْه إذا تناهَـــا

وكلَّمـــا رأيْـــتَ مصنوعاتِـــهِ ... والمبدعاتِ من عُـــلا آياتِـــهِ

فاذْكُرْهُ سِراً سَـــرْمَدا وجَهْـــرا ... لتشهَـــدَنَّ يـــومَ الجَزاءِ أجْرا

---

[١] سورة (يس) ، الأيات (٨١-٨٣) .
[٢] العنابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ٨٥
[٣] سورة البقرة ، آية (١٦)
[٤] سورة البقرة ، آية (١٧٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا وإنْ تعـارَضَ الأمـــرانِ فابدأ بحقِ المَلِـكِ الدَّيـــانِ[١]

وتمضي القصيدة على هذا المنوال في مائتين وبيتين ، حيث تنتهي بالدعاء ، والصلاة على النبي :

فنسألُ اللهَ تعالـــى عفـــوا يتبعُـــهُ فـــي كلِّ عُسرٍ يُسرا

وصَلِّ يا ربِّ على خيرِ الـوَرى مـــا صَدَحَتْ قُمْرِيَةٌ على الذُرا

والآلِ والأزواجِ والأصحـــابِ والتابعيـــنَ من أُولي الألبابِ[٢]

والقصيدة على طولها تخلو من صور فنية ، وقد فقدت كثيراً من فنيتها نظراً للمباشرة في طرح المعاني والنصائح .

وإذا استعرضنا باب الأدب في كتب المختارات وجدنا أبيات هذا الباب تحمل معاني الحكم والأمثال . فانظر إلى باب الأدب في الحماسة البصرية تجدها أمثالاً وحكماً .

قال أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم :

لا تيأسَنَ إذا ما ضِقْتَ من فَـرَجٍ يأتي به اللهُ في الرَوْحاتِ والدُلَجِ

فما تجرَّعَ كأسَ الصَبرِ مُعتَصِـمٌ باللـــهِ إلا أتـاهُ اللـــهُ بالفَـرَجِ[٣]

هذه دعوة للصبر ، تلتها دعوة لمعاملة الأهل والعشيرة والأصدقاء معاملة حسنة ، والتغاضي عن الهفوات .

قال المقنع الكندي :

وإعلَمْ بأنَكَ لا تسودَ عشيـــرةً حتى ترى دَمِثَ الخلائقِ سَهْلُها[٤]

ومثله قول أبي البلاد الطهوي :

---

[١] العنابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ٣١٧

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٢٦.

[٣] صدر الدين البصري – الحماسة البصرية ، ج٢ ، ص ٢

[٤] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٤ . وانظر ص ١٦،٣٠،٣٥،٤٧،٥٥،٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُزينُ الفتى أخلاقُـهُ وتُشينُـهُ وتُذكَرُ أفعالُ الفتى وهو لا يدري[١]

والكرم صفة محببة إلى نفس الإنسان العربي ، ولا يكاد يخلو مختار من أشعار تحث على الكرم ، وتنبذ البخل ، لأثرها الواضح في بعث المحبة في النفوس ، تلك المحبة التي تؤلف القلوب وتربطها برباط يحقق الوحدة والقوة .

قال الأعشى عبد الله بن المخارق الشيباني :

غِنَى النفسِ ما استغْنَتْ غِنـــى وفَقْـرُ النفـسِ ما عُمِّرتْ شَقاءُ

ولَيسَ بنافعٍ ذا البخـلِ مـــالٌ ولا مُـــزْرٍ بصاحبـــهِ السَخَاءُ[٢] .

وقد حرص الشعراء على الحياء ، والعفة ، والبعد عن المحرمات ، والفواحش ، وتقوى الله[٣] ويختار صدر الدين البصريَ أبياتاً في الوفاء ، والعدل والعفو عند المقدرة[٤] . والتركيز على هذه المعاني في الشعر جاء ايماناً من الشعراء والنقاد -على حد سواء- لدور الشعر وأثره "فمن رفعه الشعر ارتفع ، ومن وضعه الشعر اتضع ، يُبنى بالبيت من الشعر شرف الوضيع ، ويهدم بالبيت الهجّاء مجد الرفيع"[٥] .

أما الإربلي فهو يصرح -في كثير من الأحيان- بإعجابه بمعنى الأبيات من ذلك تعليقه على أبيات ابن التعاويذي :

فَلَـرُبَّ ليـلاتٍ سَلَفْـنَ لنـا بِهـا والقلـبُ بالتفريـقِ غَيْـرُ مُروّعِ

أيـامٌ لاَ ظلّ الصِبَا بمِقلّـــصٍ عنّـا ولا شَمّـلَ الهـوى بِمُصَدَّعِ

أيـامَ لهوٍ طالمـا أنضَيْتَهَـــا فـي مشهـدٍ للغانيـاتِ مُجَمَّـعِ

---

[١] صدر الدين البصري – الحماسة البصرية ، ج٢ ، ص ٦

[٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٩ وانظر ١٩،٢٨،٣٨،٤١،٦٣،٦٧،٧٩ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٠،١٢،١٨،٤١،٤٥،٤٦،٦٨

[٤] المصدر نفسه ، ص ٥،١٧،٣٠،٥٢،٥٨،٧٠،٧١

[٥] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـــو كنْتَ شاهِدَنا بها لرأيـــتَ ما يُصْبيـــك من مرأى هناك وَمَسْمَعِ[١]

يقول الإربلي معلقاً على الأبيات السابقة "فيهدي الصواب إلى كل سمع كأنما نُسج على منوال ، وغذي من لطف المعاني بلبان ، وتصرف كما شاء في البيان"[٢] . فهو يشير إلى الأثر النفسي للشعر ، هذا الأثر غير منفصل عن الغاية الأخلاقية ، إذ وظيفة الشعر الهداية إلى الصواب ، ولا يكون ذلك إلا إذا كان حاملاً لمعان رفيعة .

ويقارن أحياناً بين شعرين في معنى واحد فيحكم بحسن أحدهما إذا كان أدل على المعنى .

مثل مقارنته بين شعر امرئ القيس ، وشعر كثير .

قال امرؤ القيس :

خليليَّ مُرا بي على أمِّ جُنْـــدُبِ نُقَضِّ لُبانات الفـــــؤادِ المُعَـــذَّبِ

ألمْ تَرَ أنـــي كُلما جِئْـــتُ زائراً وَجَـــدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّـــبِ

هذا أحسن من قول كثير وأدل على الطيب حيث قال :

وما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيبةُ الثَرى يَمُـــجُّ الثرى جَثْجَاثُها وعَرارُها

بأطْيَبَ من أردانِ عَزَّةَ مَوْهِنـــا وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَطْبِ نارُها[٣]

فجودة المعنى وتمامه على أكمل وجه كان معياراً لتفضيل شعر امرئ القيس .

وكان يستحسن أبياتاً فيقول : "وهي غاية في معناها"[٤] . فهو يعوّل كثيراً على المعنى .

وقد قال ذلك معقباً على بيت وضاح اليمن :

واسقطْ علينا كسقـــوطِ الندى ليلـــةَ لا نـــاهٍ ولا آمِـــرُ[٥]

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية، ص ٥١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٨ ، وانظر ص ٥٥ ، ٨٢ ، ١٢٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يختار أبياتاً لامرئ القيس :

وليلٍ كَمَوْجِ البحرِ أرخى سُدولَهُ عليَّ بأنـواعِ الهمُـومِ لِيبْتَلـى

فيا لَكَ من ليل كـأنَّ نجومَـهُ بكُـلِ مُغـارِ الفتلِ شُدَّتْ بِيَذْبلِ

فَقُلْتُ لهُ لمّا تَمَطّـى بِصُلْبِـهِ وأَرْدَفَ أعْجَـازا وَنَاءَ بِكَلْكَـلِ

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ مِنْكَ بأمثلِ

يقول "فهذه أبيات في غاية الحسن والمبالغة في طول الليل ، ولولا الاكتفاء بما قاله الأوائل في تقرير معانيها لأطلت في ذكرها"[١] .

لقد وصف الشعراء الليل وطوله ، واشتكوا كثيراً من طوله وقصره ، إلا أن هذه الأبيات فاقت كل ما قيل نظراً لمبالغتها في بيان طول الليل ، فالاستحسان وقع لدقة التشبيه في رسم الصورة الفنية لطول الليل . وقد أصبح ذلك الاستحسان قرين المعنى الذي يحمل أبعاداً نفسية خلقية .

وقد يكون معيار الجودة قدرة الشاعر على الإلمام بالمعاني الكثيرة ؛ من ذلك إعجابه بأبيات ابن قلاقس إذ يقول : "ولابن قلاقس أبيات حسنة تلم بهذه المعاني"[٢] .

ولا يعني ذلك إهمال الإربلي للألفاظ ، ودليل ذلك قوله عن أبيات عز الدين أبي علي "انها أسلس وأجرى وأجدر بالاستحسان وأحرى ، وقائلها فيها أرق طبعاً ، وأعرف بمحاسن الكلام وقعاً ، وأبعد عن الكلفة أصلاً وفرعاً"[٣] . فهو هنا يركز على رقة ألفاظ الأبيات ، وحسن السبك ، وأثر الصورة الفنية في المتلقي نتيجة صدق الشاعر ، وبعده عن الصنعة والتكلف . وهو في هذا يؤكد العلاقة القوية بين اللفظ والمعنى من خلال اعتماده المعنى الشريف الحسن معياراً للإحسان مع العناية بالصورة الفنية التي تشكلت فيها المعاني .

---

[١] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ١٣٨

[٢] المصدر نفسه، ص ١٤٦

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما كانت سهولة الألفاظ دافعاً لإعجاب البعض بالشعر من ذلك استحسان الإربلي لأبيات جرير :

أَتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيمـــى ... بِفِـــرْعٍ بَشَامةٍ سُقِـيَ البَشَـامُ

بنفسي مَن تَجَنُّبُـــهُ عَزِيـــزٌ ... عليَّ ومَـــن زيارَتُـــه لِمَـامُ

ومَن أمسى وأصبـــحَ لا أراهُ ... ويَطْرُقُنِـــي إذا هَجَـــعَ النِيامُ

وأبيات جرير وإن خلت من معنى في الطيف مبتكر فهي حلوة الألفاظ سهلة"[١] فالصورة تحمل معنى عاماً مشتركاً ، إلا أن سهولة ألفاظها دفعت الإربلي لاستحسانها .

ويهتم الإربلي بالصورة الفنية ، لذلك كانت كل أبواب كتابه موسومة بـ (وصف) مثل : وصف في الشباب ، وصف في الغزل ، وصف في الخناء ، وصف في الليل ... وهكذا . ولما كانت الصورة الفنية لا تتشكل إلا بتضافر اللفظ والمعنى ، صح أن نقول : إن الإربلي وإن عُنيَ بالمعاني إلا أنه لم يهمل الألفاظ ودورها .

ولم يبتعد ابن سعيد الأندلسي في معاييره عن الإربلي ، ولعل هذا يعود لاختيار كل منهما من شعر المحدثين الذي يميل إلى السهولة ، فكانت السهولة معياراً لجودة الشعر وحسنه ، خاصة ، أن الأوضاع السياسية والإجتماعية كانت في أمس الحاجة للإصلاح ، والشعر وسيلة من وسائل الإصلاح ، فإن عَميت المعاني لم تؤد رسالتها ، من هنا ركز ابن سعيد على سهولة الألفاظ ، يقول عن أبيات لأبي بكر عبد العزيز كاتب الملك المتوكل "ما قيل في معناها أحسن ولا أسهل على الأسماع والأنفس والألسن"[٢] . وقد أوضح المعايير التي استند عليها في مقدمته إذ قال : "هذا مجموع أوردت فيه من غرائب شعر المغرب ما كان معناه أرق من النسيم ، ولفظه أحسن من الوجه الوسيم ليرف على نداه ريحان القلوب ... وحق له ذلك ، إذ قمص ألفاظه

---

[١] ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المتميزين ، ص ٦٧

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفصلة على قدود معانيه ، وزخرف إتقانه من حُسن مبانيه ، واشترطت مع هذا أن لا أورد منه إلا ما لم يُسبقوا إلى معناه ، أو استحقوه بزيادة أو حُسن عبارة أبرزته بعد تجويده في حُلاه"[١] .

إن الصورة الأدبية التي تكون ألفاظها على قدر معانيها ، وبديعها طبيعي يأتي عفو الخاطر هي شروط ابن سعيد ومعاييره لاختيار شعر ما دون سواه ليكون هذا الشعر راية وغاية . أما إذا كانت الصورة متكلفة فإنه يشير إلى ذلك ؛ فقد نقد أبيات أبي القاسم محمد بن هانئ بقوله : "هذا الشعر وإن جمع من التشبيهات ما لم يجمعه غيره ، فإنك لا تجد فيه من حلاوة اللفظ ، وسهولة الحفظ ما تجده في رائية ابن عمار"[٢] .

وأبيات أبي القاسم في وصف النجوم ، وقد حوت تشبيهات واستعارات كثيرة ، إلا أن المتلقي يمج التكلف والتصنع فيها ، الذي أدى إلى غموض معانيها . ومنها :

كأنَّ بني نعشٍ ونعشا مَطَافِلٌ ... بِوَجْرَةَ قد أَضْلَلْنَ في مَهْمَهٍ خَشْفَا

كأنّ سُهاها عاشِقٌ بين عُوَّدٍ ... فآونةً يبدو وآونةً يَخْفَى

كأنَّ الهزيعَ الآبنوسيَّ وَهْنَةً ... يُرى بالنَّسيجِ الخُسْرَوَانيِّ مُلْتَفا[٣]

فجودة الشعر عند ابن سعيد مرتبطة بحسن منزعه وحلاوة لفظه وحسن سبكه . والشعر المستحب هو ذاك الشعر الذي قيل فيه :

شَغَلَتْكَ عن حُسْنِ السَماعِ مَدائحٌ ... حَسُنَتْ فما تَتَفَكُ تُطربُ سامعا

طَلَعَتْ عليك أبا النوارسِ أنْجُمٌ ... منهن يخْجَلْنَ النجوم طَوالعا

جاءَتْكَ مِثْلَ بدائعِ الوَشْيِ الذي ... ما زالَ في صنعاءُ يُتْعِبُ صانعا

---

[١] ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين، ص ٣١

[٢] المصدر نفسه ، ص ٨٨

[٣] المصدر نفسه ، ص ٨٨

بنات نعش : سبعة كواكب ، مطافل : الظباء ، وجرة : مفازة من صحراء بلاد العرب ، الخشن : ولد الظبي ، السها : كوكب من بنات نعش ، الهزيع : طائفة من الليل ، وهنة : منتصف الليل ، الخسرواني : الحرير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو كالربيعِ يُريكَ أخضرَ ناضِـــرا وَمُوردًا شرقًا وأصفرَ فاقِعـــــا[١]

إن المتتبع لكلام النقاد القدماء يجد حديثهم عن اللفظ والمعنى أكثر من حديثهم عن الصورة ، ويبدو لمن يتأمل كلامهم أنهم لم يقصدوا باللفظ الكلمة المفردة ، وإنما قصدوا الصورة التعبيرية التي تشكلت فيها المعاني ، وإنْ أعلوا من شأن المعاني في بعض الأحيان ، ومن شأن الألفاظ في أحيان أخرى ، إلا أن الفصل كان لمجرد الدراسة . وقد انعكس ذلك على المختارات الشعرية فلم تكن نظرة أصحابها بعيدة عن نظرة النقاد في مسألة اللفظ والمعنى بل جاءت نظرتهم متوافقة ونظرة النقاد في هذه القضية . وخير دليل على ذلك ما جاء به صاحب منتهى الطلب الذي ابتعد عن الألفاظ الغريبة واهتم باللفظ الجيد الذي يستشهد به إضافة إلى اهتمامه بالأغراض التي تعارف عليها الشعراء من مدح ، وهجاء، وفخر ، ورثاء ، وقد شرح معاني الكلمات الغريبة إلا أننا لا نجد شرحا كثيرا ، وهذا يدل على ايثاره قصائد تقترب ألفاظها من السهولة قدر الإمكان، والسهولة عرف لغوي قابل للتغيير حسب المناخ العام . وقد مال ابن ميمون إلى الصورة الفنية ، من ذلك اختياره قول عمر بن قميئة :

نأتْكَ أمامةُ إلا سـُـــؤالا وإلا خيالاً يُوافي خَيـــالا

يُوافي مع الليلِ مُستوطنا ويأبى مع الصبح إلا زِيالا

خيالٌ يُخَيَّل لي نيلَـــها ولو قدرت لم تخَيَّل نَـــوالا[٢]

هذه قصيدة في الغزل ، وصف الشاعر فيها طيف المحبوبة وأجاد في هذا التصوير .

---

(١) الثعالبي – اللآلئ والدرر (أحسن ما سمعت) ، ص ٥٧

(٢) ابن ميمون – منتهى الطلب ، ص ٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : السرقات

السرقة * داء قديم في الشعر العربي تنبه له الشعراء والنقاد ، ولقد آثرت تناول هذه القضية بعد قضية اللفظ والمعنى لما بينهما من صلة وثيقة . وقد أطلق على السرقات ألفاظ مختلفة مثل : الأخذ ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء ، والنقل ، والإغارة ، والاتباع ، والانتحال ، والمصالتة ، والاختلاس ، والمشترك ، والغصب ، والإلمام . وكان الشعراء يبعدون عن شعرهم شبهة السرقة لما لها من أثر سلبي ولاحساسهم ببشاعة هذه السرقة وقوة وقعها السلبي ، فهذا حسان بن ثابت ينفي عن نفسه السرقة بقوله :

لا أسرقُ الشعراءَ ما نَطَقُوا ... إذْ لا يخالُطُ شعرُهم شعري[١]

وقد وصف أبو تمام قصيدة له بقوله :

مُنَزَّهةً عن السَرقِ المُسورى ... مُكَرَّمَةً عن المعنى المُعادِ[٢]

إلا أن هذه النظرة اختلفت فيما بعد ، فقد قال مجير الدين بن تميم (ت ٦٨٤هـ) :

أضَمِنُ كلَ بيتٍ فيهِ مَعنىً ... فَشِعري نصفُهُ من شِعرِ غيري[٣]

فالشاعر لا يرى حرجاً من أن يكون نصف شعره لغيره . ولقد ألفت كتب كثيرة في السرقات منها ما وصلت إلينا ، ومنها ما لم نعثر عليها وإنما ورد ذكرها في الكتب النقدية ، والكتب التاريخية مثل : كتاب (سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) لابن السكيت[٤] (ت ٢٤٠ هـ) .

وعلى الرغم من كثرة المؤلفات التي تناولت قضية السرقات ، إلا أنها لا تتفق على رأي

---

* أنظر النظرية النقدية عند العرب ، هند طه ، ص ١٨١ - ١٩٠ وانظر النقد العربي والوظيفة الاجتماعية ، موسى ذيبان ، ص ٢٣٧ - ٢٤٠ .

[١] ديوان حسان بن ثابت ، ص ١٨٩

[٢] ديوان أبي تمام ، ج٤ ، ص ٣٠٨-٣٠٩

[٣] ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٢٧٢

[٤] ابن النديم - الفهرست ، ص ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدد في هذه القضية ، فبعض النقاد يجعل مجرد الإشتراك في اللفظ سرقة ، وآخرين لا يعدون منها ما اشترك في اللفظ والمعنى طالما كانت للأخير زيادة.

كما نجد بعض هؤلاء النقاد يقصر السرقة على اللفظ ، ويخرج منها أخذ المعاني والأفكار ، فمن أخذ اللفظ كله كان سارقاً ، ومن أخذ بعضه فهو سالخ "أما من أخذ المعنى وكساه لفظاً من عنده أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه"[١] .

وبعضهم يجعل السرقة في المعنى ، فاقرأ عبارة ابن رشيق التي نقلها عن عبد الكريم النهشلي : "قالوا : السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة[*] ، حين لم يختلفا إلا في القافية ، فقال أحدهما (وتجمل) ، وقال الثاني (وتجلد) . ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ إلى المعنى ، ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل ، والسرق إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال : إنه أخذه من غيره"[٢] ولا شك أن أبعاد القضية اتضحت خلال القرون الممتدة من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس الهجري تقريباً .

وقد جاءت فكرة السرقات مع رواية الشعر العربي الجاهلي ، ذكر ابن سلام "ان شعراء غطفان كانت تغير على شعر قراد بن حنش فتأخذه وتدعيه"[٣] .

وقد قال ابن قتيبة بالسرقة المحمودة "وهي أن يأخذ الشاعر معاني السابقين والزيادة عليها

---

[١] بدوي طبانة – السرقات الأدبية ، ص ٣٧

[*] بيت امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليها مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلد

وبيت طرفة نفسه ما عدا (وتجلدا) ذكرها (وتجمل) وربما كان السبب هو الرواية والنسبة لكلا الشاعرين

[٢] ابن رشيق – العمدة ، ج٢: ص ٢٨٠-٢٨١ .

[٣] ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء ، ج٢ ، ص ٧٣٣-٧٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو تأكيدها"[١] . وتعرض ابن طباطبا للسرقة في عيار الشعر ، وقد التمس العذر للمحدثين "لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة"[٢] وابن طباطبا لا يبيح السرقة على إطلاقها ، وعنده أن الشاعر لا ينبغي عليه "أن يغير على معاني الشعر فيودعها شعره ، ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول ، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان ما يستر سرقته ، أو يوجب له فضيلة"[٣] .

أما القاضي الجرجاني فيرى أن السرقة "داء قديم وعيب عتيق"[٤] ، وقد قرر أنها تكون في الألفاظ والمعاني والأغراض والمقاصد "وأول ما يلزمك في هذا الباب ألا تقصر السرقة على ما ظهر ودعا إلى نفسه ، دون ما كمن ونضح عن صاحبه ، وألا يكون همك في تتبع الأبيات المتشابهة والمعاني المتناسخة طلب الألفاظ والظواهر ، دون الأغراض والمقاصد"[٥] .

والسرقة على نوعين : واضحة ، وغامضة ، إلا أن اللبيب يستطيع أن يتعرف إلى ما خفي منها . يقول : "ولست تعد من جهابذة الكلام ، ونقاد الشعر حتى تميّز بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علماً برتبه ومنازله"[٦] فمعرفة السرقة تجعل الناقد مطلعاً على ما هو جديد ، وما هو مبتكر ، وتجعله عارفاً بما عند الشاعر من ميزة تخصّه : من معنى مبتدع ، أو معنى زاد عليه ، وكأن الشعراء والنقاد مطالبون بالمعرفة الدقيقة الشاملة للنتاج الأدبي .

أما الآمدي فقد رسّخ أبعاد قضية السرقة ، حيث رأى أن سرقات المعاني "ليست من كبير مساوئ الشعراء ، وبخاصة المتأخرين ، إذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر"[٧] .

وقد رأى أن التعصب ضد المحدثين كان سبباً في مغالاة النقاد في استخراج سرقات

---

(١) ابن قتيبة – الشعر والشعراء ، ص ١٣
(٢) ابن طباطبا – عيار الشعر ، ص ١٥
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٠
(٤) القاضي الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢١٤
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠١
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٦
(٧) الآمدي – الموازنة ، ص ٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحدثين كأبي تمام "ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول سابق ، وأنه أصل في الابتداع والاختراع ، فوجب إخراج ما استعاره من معاني الناس"[١] . والسرقة لا تكون إلا في البديع المخترع ، وليس في المعاني المشتركة ، أو الألفاظ المتداولة "فالسرق هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم"[٢] .

أما أبو هلال العسكري فقد جعل المعاني في الشعر على ضربين[٣] ، الأول : يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه ، والآخر يحتذيه على مثال متقدم ، "فالشعراء لا غنى لهم عن معاني المتقدمين ، وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها"[٤] . ويرى أن المعاني المشتركة تنتج في الغالب نتيجة التشابه الثقافي والإجتماعي والبيئي "وإذا كان القوم في قبيلة واحدة ، وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة"[٥] . فأخذ المعاني مباح شرط أن يكسوها الشاعر رداءً من الألفاظ الجديدة .

ولما جاء ابن رشيق تكلم عن السرقات في كتابه العمدة في صناعة الشعر ، وكانت نظراته قد استوعبت معظم الأفكار النقدية السابقة ، وقد جعل المعاني ، مخترعة ومولدة ، وقد وجد مبرراً لتشابه المعاني وهو "أن تشابه الوزن والقافية والغرض تضطر الشاعر إلى أن يورد كلام السابقين"[٦] .

ويرى عبد القاهر "أن للاحق -دائما- فضلاً في الصورة التي يخرج بها المعنى إخراجاً

---

(١) الآمدي – الموازنة ، ص ٢٧٦
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢١
(٣) أبو هلال العسكري – كتاب الصناعتين ، ص ٦٩
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٦
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠
(٦) ابن رشيق القيرواني – قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، ص ١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جديداً ، لأن العقل البصير يستطيع النفاذ عن طريق التعبيرات النحوية إلى خفايا جديدة ، ودقائق في الصياغة مختلفة ، ويرى -كذلك- أن البنية الدلالية الواحدة يمكن تحويلها إلى صيغ نحوية متعددة ، وأن إمكانيات التعبير هذه -وإن كانت تشترك في أصل المعنى- تختلف في الخصوصيات التي تزيدها على ذلك الأصل . وهو لا يتصور أن تكون صورة المعنى في أحد الكلامين أو البيتين ، مثل صورته في الآخر البته . والدليل على ذلك -عنده- أنك لو أخذت بيتاً من الشعر وغيرت كلماته ووضعتها وضعاً آخر لسقطت نسبته إلى الشاعر"[١] . فالسرقة عند الجرجاني ليست في مجرد اللفظ أو المعنى ، وإنما في الصياغة والتصوير "وهذه النظرة للسرقات هي أرقى ما وصلت إليه هذه النظرية عند النقاد الغربيين"[٢] .

إن ارتباط الجرجاني بالنص ودراسته في ذاته ، جعله يفطن إلى دقائق العملية الفنية ، ومكنه من توضيح مفهوم الأصالة الفنية التي تتجلى في براعة الشاعر في جمال إخراجه الفني ، ومن هنا "تصبح عملية التأليف للعناصر القديمة خاضعة لشخصية المنشئ"[٣] . وغدت "دراسة الجرجاني للسرقات دراسة نقدية فنية لا مجرد ظن واتهام"[٤] .

وقد عالج ابن أبي الأصبع السرقات الأدبية في كتابه (تحرير التحبير) في أربعة أبواب : الاشتراك ، الموارد ، حسن الاتباع ، التوليد . وهو يقرر أن الاشتراك يقع للأدباء في المعنى أو في اللفظ ، ولا بأس لديه من وقوع الشاعرين على معنى واحد .

أما في باب الموارد فإنه يرى أن توارد أفكار شاعرين معاصرين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد أمر ممكن لتقارب الديار ، وتقارب الأفكار . أما في باب حسن الاتباع فيتحدث عن المعاني المتقدمة التي يتبعها المتأخر فيزيد عليها ، ويحسن في ذلك فيستحقها .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة ، ص ٢

(٢) محمود السمرة ، القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، ص ٢٠٦

(٣) محمد مصطفى هدارة – مشكلة السرقات في النقد العربي ، ٢٨٦

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩-١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما التوليد فيرى أنه يقع في الألفاظ كما يقع في المعاني ، ويشير إلى نوع من التوليد – يراه طريفا– وهو توليد بديع من بديع[١] .

أما القزويني فقد جعل السرقة نوعين :

سرقة ظاهرة : تتحقق بأخذ المعنى كله كأن يأخذ الشاعر المعنى وكل اللفظ ، أو المعنى وبعض اللفظ ، أو المعنى فقط .

سرقة غير ظاهرة : مثل تشابه معنيان في غرضين مختلفين ، أو أن يكون معنى الأول نقيض معنى الثاني ، أو يكون المعنى الثاني أشمل من الأول ، أو أن يؤخذ بعض المعنى وزيادته زيادة حسنة[٢].

ويرى القلقشندي أن على كاتب الإنشاء أن يسلك طريقين ؛ الأول : الاتباع بأن يأخذ الألفاظ برمتها ، وهذه محض سرقة . وطريقة الاختراع وهي أن يهتدي الكاتب إلى طريقة خاصة به في الكتابة بعد حفظه للقرآن والحديث والشعر للاقتباس منها[٣] .

على ضوء الآراء السابقة يمكن القول : إن القدماء بنوا نظريتهم في السرقة –إن صح أن نسميها نظرية– على أساس من طبيعة المعنى ؛ فإما أن يكون المعنى من المعاني العامة التي لا مجال فيها لدعوى السرقة ، وإما من المعاني الخاصة التي لا يصح لمتأخر التطاول إلى سرقتها .

ولا يعد سارقا من ابتكر صورة خيالية بل هو مفضل على سائر الآخرين ، وكذلك من أخذ معنى من غيره فزاد عليه بتوليد شئ جديد ، أو من أخذ معنى فعكسه إلى ضده فهو ليس بسارق ، أما السارق فهو "الذي يأخذ المعنى واللفظ برمتهما ، أو أخذ المعنى فشوه جماله ، أو أساء معرضه"[٤] .

---

[١] انظر ابن أبي الأصبع المصري – تحرير التحبير ، ص ٣٤٠–٤٨٠

[٢] انظر جلال الدين القزويني – الايضاح لمختصر تلخيص المفتاح ، ص ٢٨٥–٢٩٦

[٣] القلقشندي – صبح الأعشى ج٢ ، ص ٢٩٢–٣١٩

[٤] محمد عبد الرحمن شعيب – النقد الأدبي تاريخه ونظرياته ، ص ٣٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن القول بالأخذ أو بالأصالة على درجة كبيرة من العسر نظراً لصعوبة الإحاطة بكل ما قيل من شعر . ويبقى البت في أمر السرقة شاقاً مجحفاً في كثير من الأحيان وهو يوقع في حيرة كبيرة لتحديد مدى أصالة الشعراء ، ومدى أخذهم من سابقيهم .

وقد سار بعض أصحاب المختارات على منوال النقاد في قضية السرقات ، فصاحب التذكرة الفخرية يشير كثيراً إلى مواطن الأخذ ، وهو لا يعد الأخذ مشيناً ، ومن ذلك قول الأعشى :

وما طِلابُكَ شيئاً لستَ مُدركَهُ ... إن كانَ عنكَ غُرابُ الجَهلِ قد وَقعا

ومنه أخذ القائل :

أيا بوَمةً قد عَشْعَشَتْ فوقَ هامتي ... على الرَّغم مني حينَ طارَ غُرابُها

عَلِمْتِ خَرابَ العُمْرِ مني فَزُرْتِني ... ومأواكِ مِنْ كُلِ الدِيارِ خَرَابُها

ومنه أخذ الفلنك الموصليّ ، من شعراء العصر ، كان وتوفي ، وكان لا يعرف الكتابة والأدب .

سَهِرَت لياليهِ وفيها مُسامِري ... أَغَنَّ من الأتراكِ نامَتْ وُشَاتُهُ

فآها على مُخضلٍّ عيشٍ به انقضى ... وما طَيَّرَتْ غِرْبَان فُودِي بُزاتُهُ[1]

فارتباط الغراب بنهاية العمر وما يحمل ذلك من مدلول خراب ، وتحسر على ما فات ، ونعي الحاضر لما يحمل من آلام نفسية لإحساس الإنسان بقرب الأجل ، دعت الشعراء للربط بين الغراب والشيب لدلالتهما على الشؤم والخراب .

وهذا المعنى عام مشترك ، لذلك لا يعد أخذه سرقة لمحاولة كل شاعر رسم صورته بألفاظ مختلفة ، وطرائق متنوعة . وقوله "لا يعرف الكتابة والأدب" لينفي عنه السرقة .

---

[1] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يسمى المعاني المشتركة بالمعاني المستعملة ، ومن ذلك تعليقه على قول ابن الساعاتي :

وكذاك لا تَبْسُمْ فَثغرُكَ بارقٌ ... والدمعُ غَيْثٌ ما أضاءَ له هَمي

هذا معنى مستعمل كثيراً جداً

ثم يقول ومن المستعمل :

فلا ذُقْتُما ما ذُقْتُ ساعةَ فُوِّقَتْ ... سِهَامُ جفونٍ عن قَسِيِ حَواجبِ[1]

هذه الأوصاف والتشبيهات تعد من الأخذ المحمود لأنها من المعاني المستعملة كثيراً في الأشعار فأصبحت مشاعاً لا سرقة في أخذها .

وتجيء كلمة متداول مرادفة لكلمة مستعمل عند الإربلي ، يقول عن بيت لزهير :

ومِن فَرْطِ وَجْدي في لَماهُ وثَغْرِهِ ... أُعَلِّلُ قلبي بالعُذَيْبِ وبالنَّقَا

"متداول ، وأول من استعمله فيما أظن البحتري"[2] . وهذا الاستعمال والتداول في المعاني لا يقلل من القيمة الفنية للشعر ، بل ربما يأتي المتأخر بشعر له من الحسن حظ وافر ، لذلك نراه يشير في مواضع إلى أخذه هو من غيره "أنا أخذته من ابن عُنين حيث قال من أبيات أذكرها وهي :

وأمَاطَتْ لِثامَهَا بأسَارٍ ... يعَ حقوفٍ عن مستنيرٍ مُفدَّى

وذَكَتْ نارُهُ على عنبرِ الخا ... لِ فكانَتْ لهُ سَلاماً وبَرْداً

أما أبيات الإربلي فهي :

عاتَبتني فجَالَ ماءُ الحيا في ... وَجْنَتَيْهَا فزادَ حَرّاً ووَقَّدا

ثم ألقَتْ في نارِهِ أسودَ الخا ... لِ فكانَت لهُ سلاماً وبَرْدا"[3]

فالمعنى العام المشترك في هذه الأبيات هو اضرام الحسن النار فوق خد المحبوبة المزين

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٨٧ ، وانظر ص ٩٠ ، ١٢٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ . وانظر ص ٩٥،١٥٦،٢٥٨

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، وانظر ص ٤٧،٨٤،١٥٦،١٦٣،١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالخال . ولكن الصياغة جاءت مختلفة . وهذا الأخذ لا ضير فيه وإلا لنفاه عن نفسه .

وأحياناً يستخدم كلمة مطروقة بمعنى متداولة ومستعملة "هذا البيت الآخر من المعاني المطروقة . والبيت للسيد الرضيّ :

ولم أَرْشِفْ لَهُنَّ لمىً ولكِنْ شَهِدنَ بِذَاكَ أعوادُ البَشَامِ[١]

والأخذ عند الإربلي ثلاث مراتب :

مرتبة أولى ؛ حيث يتفوق المتأخر على المتقدم .

مرتبة ثانية ؛ حيث يتساوى الطرفان في جودة سبك الشعر وحسنه .

مرتبة ثالثة ؛ حيث يقصر المتأخر عن المتقدم .

وكل ما ذكرناه آنفاً من المرتبة الثانية .

أما المرتبة الأولى فهي تقتصر على السرقات الخفية التي تحتاج إلى قوة فكر ، وشدة تأمل وخاطر وقاد . ومن هذا الأخذ أن يأخذ المتقدم من المتأخر معنى في غرض ما وينقله إلى غرض آخر..

قال أبو الشيص :

وَقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي متأخِرٌ عنْهُ ولا مُتَقَدِمُ[٢]

البيت مستعمل وقد نقل من الغزل إلى المديح إلى الهجاء .

فمن ذلك في الغزل :

تركتُ فِيكَ المنى مُفرَقَةً وأنتَ منها بِمَجمَعِ الطُرُقِ

ومثله في المديح :

---

[١] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٥٨

[٢] المصدر نفسه ، ص ٦١ ، وانظر ص ٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المكارمَ والمعـــروفَ أوديـــةٌ أحلَّـكَ اللـهُ منهـا حيثُ تَجتمعُ[١]

فهذا أخذ مليح .

وفي هذه المرتبة يقع الشعر المأخوذ المزاد عليه زيادة حسنة تكون أدل على المعاني .

قال مسلم بن الوليد :

إذا شِئتُما أن تَسْقِيانـــي مُدامـــةً فـلا تَقْتُـلاها كلُ ميَّـتٍ مُحرَّمُ[٢]

فقوله كل ميت محرم زيادة حسنة على قول حسان (فهاتها لم تقتل) .

ومن الأخذ الحسن ميل الشاعر إلى توضيح دلالة المعنى المأخوذ من ذلك قول وضاح اليمن :

قالَـتْ فأمـا كنـتَ أعَيْتَنَـا فائـتِ إذا مـا رَقَـدَ السامرُ

واسقُطْ علينا كسقـوطِ النـدى ليلـةَ لا نـاهٍ ولا آمـرُ

البيت الأخير أخذه من قول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إليهـا بعَدما نـامَ أهلُهـا سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ

"وبيت وضاح اليمن أخفى حرسا وأقل حُبسا ، وهو أحسن موقعا وأجرى طبعا وأسلس نظاما ، وأعذب كلاما يجري للطافته مع النفس وينتزل من العذوبة منزلة اللعس"[٣] .

فبيت وضاح من السهل الممتنع ، وعلى الرغم من أخذه المعنى العام من امرئ القيس إلا أنه أتى بصورة فنية ذات ألفاظ سهلة تخللها حوار أضفى على الصورة حيوية وجعلها من الأخذ غير الظاهر المستحسن .

أما المرتبة الثالثة ؛ فهي المرتبة المعيبة التي يكون فيها الأخذ واضحا ، والسرقة تنادي على صاحبها ، ومن ذلك ما أخذه المتنبي من جرير ، قال جرير :

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٦١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١١ ، وانظر ص ٥٥،٥٦،٩١،٩٥،١٤٦،١٥٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيومانِ من عَبدِ العزيزِ تَفاضَلا ففـــي أيِّ يَوْمَيهِ تلُومُ عواذِلُـهُ

فيومٌ تَحوط المسلميـنَ جبِـادُهُ ويـومُ عطـاءٍ ما تُغِبُ نوافِلُهُ

وقال المتنبي :

فيومٌ بخيلٍ تطردُ الروعَ عنهـمُ ويومٌ بجودٍ يَطردُ الفقرَ والجَدْبَا

يعلق بقوله : "فانظر إلى هذا النظـم وهـذه السـرقة الواضحـة"[١] . إن تشـابه الألفـاظ دون زيادة على المعنى جعلت هذا النوع سرقة بينة معيبة لأن الأخذ كان للبيت برمتـه لفظـه ومعنـاه . وقد أشار الإربلي إلى هذا الأخذ في موضع آخر[٢] .

ومن الأخذ المعيب أخذ المتأخر مـن المتقدم والتقصـير فيمـا أخـذ ، ومـن ذلـك قـول ابـن الحلاوي :

وإذا انثنى وإذا رنا فقوامُـــهُ واللحـــظُ مِنـــهُ مُثقَّفٌ ومهندُ

البيت مأخوذ من قول ابن النبيه :

رنا وانثنى كالسيفِ والصعدة السُمْرا فما أكثرَ القتلى وما أرخصَ الأسرى

"وبيت ابن النبيه أجود ، فإن المعنى تمّ في نصف بيت"[٣].

فالايجاز عند ابن النبيه كان سبباً في علو شعره ، وإطالة ابـن الحـلاوي فـي المعنـى ذاتـه جعلـت شعره سرقة ممجوجة . إضافة إلى أن ابن النبيه بيّن أثر الجمـال وفعلـه فـي النفـوس فكـان أولـى بالتقدمة .

إن ادعاء السرقة –عند الإربلي– لا تكون في المعاني العامة المشتركة التي أطلـق عليهـا المستعملة ، والمتداولة ، والمطروقة ، إذ إن هذه المعاني يتساوى فيهـا الشـعراء ، ويشـترك فيهـا المحدثون والقدماء ، ومثل هذه المعـاني لا تجعـل آخذهـا سـارقاً . أمـا السـرقة فهـي أخـذ المعنـى

---

[١] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٩٩ . وانظر ص ٩٧

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٧٧

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ، وانظر ص٤٩، ١٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واللفظ أو أخذ المعنى والتقصير فيه . ونظرته هذه إلى السرقة تتوافق ونظرة النقاد لهذه القضية .

وقد أغفل ابن الشجري قضية السرقات في مؤلفه مختارات شعراء العرب إلا أنه أبدى لمحات في حماسته ، وقد عدّ الأخذ مع زيادة المعنى من الأخذ الحسن المحمود ، من ذلك قوله "وأخذ معنى قول حسان (فهاتها لم تقتل) مسلم بن الوليد وزاد عليه وأحسن"[١] .

ومن التشبيه العجيب قول الأخطل يصف زقاق الخمر :

أناخُوا فَجَرّوا شاصياتٍ كأنّهَا رِجالٌ من السُودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا

وقال آخر ، فزاد في هذا التشبيه :

فَحَطُّوا الينا شَاصياتٍ كأنّهَا من الزَّنجِ مَسلوبُ القَمِيصِ وراعِفُ[٢]

إن دلالة التشبيه في كلا البيتين متشابهة إلا أن البيت الأخير أدل على الألوان وأبين لها ، وينعكس شدة السواد على جودة الخمر فكلما كان الزق معتماً حُفظ الخمر من التعرض للأشعة فكان أجود .

وقد تعقب علي بن ظافر المصري معاني الأبيات في كتابه غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات منذ الصفحة الأولى وحتى نهاية الكتاب . وهو لا يعد الأخذ معيباً ، إذ قد يأخذ الشاعر معاني المتقدمين ويتفوق عليهم . قال : (وأجود منه قول الأمير تميم وإن كان مأخوذاً منه :

رُبَّ صفراءَ عَلَلتَنِي بصفرا ءَ وجُنْحُ الدُجى خَلِيعُ الإزارِ

وكأنَّ الدُجى غدائِرُ شَعْرٍ وكأنَّ النجومَ فيه مَدارِي

وانجلى الغَيْمُ عن هلالٍ تَبَدَّى في يَدِ الأُفقِ مِثْلَ نِصْفِ سِوَارِ

وهذه المعاني قد أخذها من أبي بكر الخالدي :

رُبَّ ليلٍ فَضَحْتُهُ بضياءِ الـ ـرَاحِ حتى تَرَكْتُهُ كالنَّهارِ

---

(١) ابن الشجري – الحماسة الشجرية ، ص ٨٣٨

(٢) المصدر نفسه،ص ٨٣٧،وانظرص ٣٥٢،٣٥٣،٣٥٤،٣٩٥،٦١٥،٦٦٠،٦٦٧،٧٠٠،٧٠١،٨٣٧،٨٣٨،٨٩٧،٨٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذِي سماءٍ كخُرْمٍ ونُجُـــومٍ مشرقـــاتٍ كنَرجـــسٍ وبَهارِ

وهِـــلالٍ يلوحُ في ساعدِ الغَرْ بِ كـدَبوسِ فضةٍ أو سِـوارِ[١]

إن رسم الأمير للوحاته كان أجمل وأدق إذ حدد هيئة الهلال ، وحركـة الغيـوم ، وجـودة التصوير هنا وافقت هوى صاحب الاختيار في بحثه عن عجائب التشبيهات .

والشاعر قد يأخذ معاني السابقين ويوجز فيها ، فيكون بذلك قد أحسن ، ولا يعـد سـارقاً ، من ذلك قال الصنوبري في السفرجل :

لكَ في السَّفْرَجل منظرٌ تحظَى بـهِ وتفـــوزُ منِـــهُ بشمّـــهِ ومذاقـــهِ

يَحْكِي لـك الذَّهَبَ المُصَفَّى لونـــهُ وتَزيـــدُ بَهْجَتُـــهُ علـى إشراقِـهِ

والشكلُ من أعلاه يُحكي سُفْلَـــهُ ثَـدْيَ الكَعَابِ إلـى مَـدارِ نِـطـاقِهِ

وقال ابن رشيق في الكمثرى والسفرجل :

نَظَرْتُ من البستانِ أحسنَ منظـرٍ وقد حَجَبَ الأغصانُ شمسَ المَشارِقِ

إلى دوح كُمّثْـرى يلـوحُ كأنَّـهُ قناديـلُ تِبـرٍ مُحْكمـاتُ العَلائقِ

وسافرةٍ عن أوجهٍ من سَفَرجـلٍ يُحيـلُ على معنىً من الحُسْنِ فائقِ

حَكَتْ سُرَرُ الغاداتِ منها أسافِـلٌ وتَحْكِي أعالِيَها نُهـــودُ العَواتِـقِ[٢]

"قول ابن رشيق في الكمثرى وفيه –السفرجل– ، وهو أحسن ما قيل ، وإن كان معنى الصنوبري بعينه ، إلا أنه جمعه في بيت واحد"[٣] .

وقد يأخذ الشاعر المعاني المتقدمة ويزيد عليها فيحسن بذلك ولا يعد سرقة ، ومن ذلك قوله "وأخذت من هذا المعنى وزدت عليه"[٤] فالكاتب حين يعترف بأخذه فهو لا يرى الأخذ سرقة

---

[١] علي بن ظافر المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص١٣

[٢] المصدر نفسه ، ص١١٦-١١٧

[٣] المصدر نفسه ، ص ١١٦

[٤] المصدر نفسه ، ص ٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينظر إليه على أنه شئ طبيعي ، فالمتأخر -غالبا- ما يقتدي بالمتقدم فينتج عن هذا الاقتداء التشابه ، وهذ التشابه إن كان في المعنى واللفظ كان سرقة ظاهرة ، ومن ذلك قول ابن عباد الإسكندري في تشبيه الأقحوانة :

والأُقْحُوَانةُ تَحكي وهي ضَاحِكَـــةً ... عن واضِحٍ غَيرِ ذي ظُلْمٍ ولا شَنَبُ

كأنَّها شَمْسةٌ من فِضَّـــةٍ حُرِسَـــتْ ... خَوْفَ الوُقوعِ بِمِسْمارٍ من الذَّهَـبِ

وقد أخذ المعاني والألفاظ من قول ظافر الحداد :

والأُقْحُوَانةُ تَحكي ثَغرَ غانيـــةٍ ... تَبَسَّمَتْ فيهِ من عُجبٍ ومن عَجَـبِ

في القدِ والبُرْدِ والريقِ الشَّهيِّ وطيـ ... ـبِ الريحِ واللونِ والتفليجِ والشَّنَـبِ

كشمسةٍ من لُجَينٍ في زَبَـرْجَـــدةٍ ... قد شَرَّفَتْ تحت مِسْمَارٍ من الذَّهَبِ[1]

أما أخذ الشاعر معنى قد تداولته الشعراء فليس بسرقة ولهذا لم يتعارض مبدأ الجودة مع الأخذ .

وقد أشار بعض أصحاب الاختيارات إلى مواطن الأخذ بإشارات عابرة لا تتعدى القول بأخذ شاعر عن آخر دون وضوح رؤية صاحب الاختيار إلى قضية السرقات[2] .

وقد حاول صاحب رايات المبرزين وغايات المميزين ايجاد عذر للمتأخر في تشابه معانيه مع المتقدم فقال : "إن التشابه يعود إلى التشابه في الغرض والوزن والقافية"[3] . ولا يخفى تعصب ابن سعيد الأندلسي لشعراء أهل الأندلس ، وهذا التبرير كان وسيلة دفاع عن تلك المعاني

---

(١) علي بن ظافر المصري - غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ٩٢

(٢) انظر الثعالبي - اللآلئ والدرر ، ص ٥٨ ، مختار ديوان علم الدين ، ص ٤٥
المختار من شعر شعراء الأندلس ، ص ٤٠،٤٧،٥٥،٥٦،٥٧،٥٩
ورايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٥٩،٦٥،٦٦،٦٩،٧٢،٩٨،١٠٠،١٠٢
الحماسة البصرية ، ص ٢١٧،٢٨،١٨٩
نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ٢١٢،٢٧٦،٣٥٨،٣٦٢
التذكرة السعدية ، ص ٧٨،٢٧٤

(٣) ابن سعيد الأندلسي - رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي أخذوها من أهل الشرق .

ومهما يكن الأمر فإنه من الواضح اتفاق أصحاب المختارات والنقاد في نظرتهم إلى السرقة . هذه النظرة التي تنم عن ذوق أصيل وثقافة واسعة ، ونظرة شمولية لحالة الأدب ، بها استطاعوا أن يخرجوا الأدب من دائرة الجمود التي فرضها بعض النقاد المتزمتين . وإن التماس العذر للشعراء المتأخرين ضروري لأن ثبات طريقة حياة المجتمع العربي المدني ، والمحافظة على القيم والمفهومات البدوية في تصوير الفضائل والرذائل ، والنزعة الإتباعية التي سادت النقد العربي بعامة أدت إلى انحصار الشعر ضمن فنونه المعروفة ، مما حافظ على الطابع التقليدي للشعر العربي لكل هذا لم يجعل كثير من النقاد وأصحاب المختارات السرق أساساً لإسقاط الجودة الشعرية لأن هذا الأساس يسقط كثيراً من الشعر وبخاصة الشعر المحدث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : البديع

يمكن أن نحدد الاتجاه العام في شعر القدماء بأنه مرسل على حسب ما اقتضته الفطرة والمعرفة ، بدون تكلف وبدون نظر إلى الصنعة البديعية ، فلم يعتمدوا لوناً من ألوان البديع ، ولم يتكلفوا القول . وكذلك كان الحال في العصر الإسلامي ، فقد كان الشاعر يدور في فلك محدد ولا يطلق العنان للمجاز أو الإستعارة من غير مراعاة لأسس الشعر وعموده .

ولما جاء العصر العباسي بحضارته الواسعة كان البديع حصيلة هذه الحضارة وتنوعها ، ومكتسباً من مكتسباتها ، وقد أبدع فيه الشعراء وصار قيمة فنية .

وقضية البديع غير منفصلة عن قضية اللفظ والمعنى ، وإنما مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً ، فاستخدام البديع يعني الاهتمام بالشكل ، وإكساب الألفاظ حسناً وجمالاً مما ينعكس على المعنى فيكسبه حسناً وجمالاً . إلا أن الإغراق في استخدام البديع يجعل الشعر متكلفاً ممجوجاً وهذا ما كان في كثير من شعر شعراء العصر المملوكي والعثماني .

وقد طالب النقاد الشعراء الإفصاح عن أفكارهم ومعانيهم ، والاقتصاد في استخدام المحسنات البديعية لأن الإكثار منها يؤدي بالشعر إلى الرداءة والصنعة ، فالشعر إنما يكون وقعه في النفس لما فيه من أصالة وصدق وسهولة مأخذ ، لا بما فيه من بديع وصنعة ، ولذلك كان النقاد يفضلون الشعر المطبوع ، ويدعون إلى البعد عن التكلف .

إن الجمال الشعري القديم تمثل في السلامة اللغوية والصدق في التعبير ، والقوة والوضوح في التصوير ، أي أنه تمثل في اتباع عمود الشعر دون الخروج عليه .

أما عند المحدثين فقد تمثل الجمال الشعري في إظهار قدرتهم على الصياغة الجديدة ، فكانت أقوالهم تزينها ألوان البديع ممتزجة في بعض الأحيان بالفلسفة والمنطق . وكلما تقدم الزمن بالمحدثين جاءت طبقة من الشعراء تفننت في هذا البديع وتكلفته ، فابتعد بذلك الشعر عن الجمال والصدق والطبع والقوة إذ أصبح الشعراء يعمدون إلى البديع عمداً ، ويكثرون من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدامه دون إمعان في المعاني .

وانقسم الشعراء إلى قسمين :

قسم محافظ : يترسم خطا الأقدمين ، وكان شعرهم امتدادا للشعر القديم كدعبل الخزاعي ، وابن الرومي ، والبحتري ، إذ تمسكوا بعمود الشعر .

وكلما تقدم الزمن بالمحدثين قل عدد شعراء هذه الفئة .

قسم مجدد : جارى روح العصر وجنح إلى التجديد ابتداء من بشار وأبي نواس ومسلم وأبي تمام وابن المعتز ، إلا أن استخدامهم للبديع متفاوت ، وقد حرصوا على الجمال المعنوي حرصهم على الجمال اللفظي .

ولما تقدم الزمن تفاقم الوضع وأصبحت المعاني أسيرة المحسنات البديعية ، فانحدر الشعر ، وتدهورت حاله على أيدي مجموعة من الشعراء ولا سيما في العصر المملوكي والعثماني فتسرب إلى الحياة الشعرية شيئاً فشيئاً جمود وركود .

وقد حاول النقاد منذ ظهور هؤلاء الشعراء -المجددين- الوقوف على خصائص شعرهم ، كما حاولوا عن طريق مقارنة هذا الشعر بشعر القدماء أن يخرجوا بنظرية في الشعر . ويؤيد ذلك قول محمد زغلول سلام : "اشتدت المعارك حول بشار بن برد وأصحابه من شعراء البديع ، وحاول العلماء والأدباء ، منذ أواسط القرن الثاني أن يقفوا على أصول فن بشار ، وأبي نواس ، ومسلم ، والعتابي ، وأن يقارنوه بشعر القدامى ، وأن يخرجوا بنظرية في الشعر خاصة ، والبيان عامة ، على ضوء هذه الفنون ، وضروب التعبير التي استحدثها أولئك الشعراء"[١].

فهؤلاء الشعراء قد جاؤوا بجديد هو هذا البديع ، وفتحوا بذلك الباب أمام النقاد ليدرسوا هذا الفن الذي لم يكن قد ظهر بوضوح ، وأن هذه الدراسة قد جعلتهم يخرجون بنظرية في الشعر ولكن لم

---

[١] محمد زغلول سلام – تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع ، ص ١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر حدود هذه النظرية عند محمد زغلول سلام . وكل ما يمكن قوله هنا أن ظهور هؤلاء الشعراء نتج عنه اهتمام واسع بدراسة البديع ، وكان من ثماره وجود مؤلفات تعنى بالبديع ، وتوسم به أحياناً .

إلا أن "القدامى من العرب في حديثهم عن البلاغة العربية لم يعرفوا الفصل الدقيق بين الأدب والنقد والبلاغة -على وجه قطعي- إنما ذهب بعضهم إلى منهج تطبيقي يضم هذه العلوم في مفهوم واحد"[١] .

ولقد "اختلف البلاغيون في اختيار مفهوم (علم البديع) هل يعتبر حسناً ذاتيا ، أي لا يقل أهمية عن العلمين الآخرين في البلاغة العربية ، وهما المعاني والبيان ، أو أنه حلية زائدة يستغنى عنها ، وهو علم من مواطن الحسن العرضي . أي أنه لا يرقى إلى مستوى العلمين الآخرين في دائرة البلاغة العربية"[٢] .

ولقد كان مصطلح البديع عند الجاحظ غير محدد الدلالة ، وربما يكون قد أراد المحسنات اللفظية والمعنوية والصور الفنية ، فقد جعله جزءاً من اللغة العربية وسبب تفوقها على سائر اللغات "البديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان ، والشاعر الراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار"[٣] .

أما ابن المعتز فقد كان محباً للبديع ، هذا الحب دفعه لتأليف كتاب وسمه بالبديع ، وجاء في خمسة أبواب : الاستعارة ، والجناس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي ، وهذه الأقسام هي أصول علم البديع عنده ، وقد ذكر فنوناً أخرى جعلها

---

[١] محمد بركات أبوعلي-التصور الأدبي في كتاب معاهدالتنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباس،ص٦٧

[٢] محمد بركات أبو علي - فن الاختيار والبلاغة العربية ، ص ٥١

[٣] الجاحظ - البيان والتبيين ، ج٤ ، ص٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض محاسن الكلام والشعر[١] .

وتحدث قدامة بن جعفر عن البديع . فذكر أربعة عشر لونا من البديع ، وكان حديثه مؤطراً بفكر فلسفي منطقي .

وجاء الباب التاسع من كتاب الصناعتين يحوي خمسة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع حيث جعل أبو هلال العسكري لكل نوع فصلاً ، ونرى من آرائهم الخلط البيّن بين علوم البديع والبيان ، فقد عدوا الاستعارة والكناية من البديع مع أنهما من فنون البيان .

ولعل ابن رشيق من أوائل الذين فصلوا بين البيان والبديع إذ أفرد أبواباً للمحسنات البديعية ، وأبواباً أخرى للحديث عن البيان مع ايراد أمثلة على كل نوع .

أما الجرجاني في أسرار البلاغة ، والزمخشري في أساس البلاغة فلم يقفا على الفنون البديعية لذاتها ، وإنما كانت إشارتهما إلى البديع على أن الجمال لا يرجع إلى الألفاظ من حيث هي ، وإنما يكمن الجمال في تشكيل الصورة لتحدث الأثر المطلوب في نفس الملتقى . وقد ركزا على أثر البديع في الإعجاز القرآني .

وقد جاء أسامة بن منقذ فألف كتاب "البديع في نقد الشعر" تناول فيه البديع وضروبه ، فجمع خمسة وتسعين نوعاً منه .

ولكن البديع بقي تابعاً لعلمي البيان والمعاني ، واتضح ذلك جلياً عند السكاكي في مفتاح العلوم عندما رتب كتابه ترتيباً جديداً لمباحث المعاني والبيان والبديع ، فقد جمع ما يختص بالطرق المختلفة لايراد المعنى في باب سماه (علم البيان) ، وجعل مطابقة الكلام لمقتضى الحال في قسم سماه (المعاني) ثم جاء حديثه عن البديع فألحقه بعلمي المعاني والبيان ، ولكنه قسّم البديع إلى محسنات لفظية : مثل الجناس ، والسجع ، والقلب ...الخ ، وأخرى معنوية مثل ؛ المطابقة والمقابلة ...الخ ، وقد عرّف ابن الأثير في مثله السائر الأنواع البديعية ، وبيّن أثر الفلسفة

---

[١] ابن المعتز – البديع ، ص ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليونانية في البيان العربي ، وقد كانت مقالته الأولى خاصة بالصنعة اللفظية ؛ فتكلم عن المحسنات اللفظية البديعية ، أما المقالة الثانية فقد خصصها للحديث عن الصنعة المعنوية فتحدث عن المحسنات البديعية المعنوية[١] .

وقد أحصى ابن أبي الأصبع المصري من المحسنات مائة واثنين وعشرين ، وكان معجباً بالحشد البديعي في كتابه تحرير التحبير .

إن ظهور بعض الكتب المعنونة بالبديع كان نتيجة شيوع الألوان البديعية في النتاج الأدبي بشكل متفاوت ، وقد رسمت هذه الكتب للبديع صورة متكلفة ممجوجة .

وكلما تقدم الزمن أثقل النتاج الأدبي بألوان البديع حتى غدا مجرد عبث لفظي فانحدرت قيمته الجمالية الفنية ، ومما زاد الأمر سوءاً تلك البديعيات التي ظهرت وفيها يحوي كل بيت منها لوناً بديعياً ، مثل بديعية علي بن عثمان الإربلي[٢] .

إن الاهتمام النقدي الواسع بالبديع في العصور المتأخرة يعكس توسع العصر في البديع ، واهتمام الأدباء والنقاد به .

فهل انعكس ذلك على المختارات الشعرية أو لا ؟

حقاً إن البديع يضفي على الكلام لطفاً ، ويعطينا مشاهد فنية دقيقة قد لا نتلمسها إلا بهذا البديع ، غير أن الإغراق في استخدامه يفقد اللغة الرشاقة ، والسلامة ، ويبعد المعاني عن متناول المتلقي .

وقد أعجب بعض أصحاب المختارات بألوان البديع ، وكانت بعض مقدماتهم تنم عن الجو العام السائد المولع بالبديع ، حيث كان ينسب إليه شرف الجودة والاتقان وعلو مرتبة كاتب دون آخر ، ونظراً لأن النثر كان أرحب مجالاً لاستخدام فنون البديع من الشعر كانت المقدمات صورة

---

(١) ابن الأثير – المثل السائر ، ص ٥٦ ، ١٢٢

(٢) الكتبي – فوات الوفيات ، ج٢ ، ص١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنثر تلك الحقبة.

يقول الإربلي "وحيث وصلت بغداد في شهر اللـه الأصـم رجـب سـنة سـتين وسـتمائة إلـى خدمـة المولى الصاحب الأعظم سلطان وزراء العالم علاء الحق والدين صاحب الديـوان عطـا ملـك بـن المولى الصاحب السعيد الشهيد بهاء الدين محمد الجويني ، أعز الله نصره ، وأعلى على الأقـدار قدره . وانتظمت في سلك اتباعه ، وعددت من حواشيه وأشياعه ، وغمرت بأياديه ، وسالت عليّ شعاب واديه ، وعمتني مبرته" [١] .

هذه المقدمة بما احتوته من مبالغة ، وجناس وسجع وكناية تدل على تكلف صاحبها . وقد سار على هذا النهج الجنيد في مقدمته التي أصبحت معانيها معماة لا يتبيـن القـارئ المعنـى الـذي رمى إليه الكاتب فيها : "إن أولى ما يُستمطر به الغيث في السنة الشهباء ، وأندى ما تستعطر بـه أندية العيش آونة السراء ، وأحلى ما تجتنى به ثمـار المسـرة والرخـاء ، حمد مـن سبّح بتحميـده هبوب الريح وحفيـف الشـجر ودوي المـاء ، وصـدح بتوحيـده وُرق الأخيـار علـى فنـن الأشـجار بالعشيات والأسحار بين حافات الأنهار والأنهاء . فسبحان مـن أنشـأ فصـل الربيـع بفضـل البديـع أحسن الإنشاء ، وأحيا الأرض الخاشعة حتى اهتزت وربت بأوراد مـدار حبـوب الحيـا ، وأرسـل الرياح لواقح لتلقيح مستودقات العماء ، وأنزل النطف من أصلاب السحب في أرحام التراب"[٢] .

وتستمر المقدمة على هذه الوتيرة حيث يلتزم السـجع التزاماً يكـاد يكـون تامـاً ، فاسـتخدم ألف المد في نصف المقدمة ، هذا الالتزام جعله يأتي بكلمات غامضة الدلالـة مثـل قولـه (الأنهـار والأنهاء) إلا أن هذا الولع بالبديع لم يلق بظلاله على المختارات . رغم ميل كثير من أصحابهـا لاختيار شعر المحدثين إلا أن هذا الميل كان محكوماً بالبحث عن "قرب متناول المعاني ، وسلامة الألفاظ وتناسبها ، ورشاقة السبك ، وإصابة الغرض ، وتجنب حوشي اللغة ووحشيها ، ليكون

---

[١] الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص٤١ . وانظر مقدمات المختارات –موضوع الدرس– .
[٢] جنيد بن محمود – حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، ص ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أدعى إلى الرغبة فيه وأنسب إلى ما اقتضه الحال التي جمع لها ، وأليق بطباع أهل العصر"[١] .

وقد صرح ابن سعيد الأندلسي بأن تكلف البديع يؤثر على المعنى ، لذلك اختار شعرا يحمل المعنى الرقيق ، و اللفظ الجميل بحيث يكون لفظه على قدر معناه ،و بديعه لا يؤثر على معانيه"[٢] فهو يحاول –قدر الامكان– الابتعاد عن الشعر المصنوع المتكلف ، الذي يمجه المتلقي لمغالاة صاحبه في استخدام فنون البديع ، مما ينعكس على المعنى سلباً . فابن سعيد يهتم بالصور الفنية ، وكذلك فعل كثير من أصحاب المختارات[٣] ؛ إذ اهتموا بالتشبيه لقدرته على رسم مشاهد فنية دقيقة تكشف جوانب الحياة والسلوك ، فتضفي على الكلام بياناً عجيباً . وقد وجدوا في التشبيهات مادة غزيرة تكشف قدرة الشعراء المتأخرين ، وتميّزهم عن سابقيهم برسم صور فنية مؤثرة في النفس قد لا تكون إلا في تصوير اكتسى بتشبيه . من ذلك قول الشاعر :

يَضْحى بها الحِرْبَاء وهو كأنَّهُ خصمٌ مُعَدٌ للخصومَةِ مُوفَّقُ[٤]

فالحرباء تستقبل الشمس برأسها لتقي جسدها برأسها من شدة حرارة الشمس ، لذلك فهي تكون معها كيف دارت ، وقد وجد الشاعر في يقظة محارب مستعد معادلاً لها فجمع بين صور متباينة من الحياة تمنح المتلقي استمتاعاً حسياً وعقلياً في آن .

وقد نفر أصحاب المختارات من تكلف البديع فلم يجاروا النقاد في استحسانهم شعراً متلوناً بألوان البديع ، وقد علق الإربلي على أبيات لشاعر يقول فيها :

---

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٤٣

(٢) ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٣١

(٣) الطبيب الكتاني – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ابن الصيرفي – المختار من شعر شعراء الأندلس ، علي بن ظافر المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ابن سعيد الأندلسي – رايات المبرزين وغايات المميزين ، العنابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، جنيد بن محمود – حدائق الأنوار وبدائع الأشعار .

(٤) علي بن ظافر المصري – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ص ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"خُلِقَـــتْ أنامِلُـــهُ لقائمِ مُرهـفٍ ولِبَـــثٌ فائـــدةٍ وذُرْوةِ مِنْبَرِ

يَلْقى الرماحَ بوجهِهِ وبصـــدْرِهِ ويُقيـــمُ هامتَـــهُ مقـامَ المِغْفَرِ

ويقولُ للطرفِ اصطبرْ لشَبَا القَنَـــا فَهَدَمْتُ رُكنَ المجدِ إنْ لمْ تُعْقَرِ

وإذا تأملَ شخصَ ضَيـــفٍ مُقبـــلٍ مُتَسَرْبِـــلٍ سِرْبَـــالَ ليـــلٍ أَغْبَرِ

أَوْمى إلى الكَوْمَاءِ هـــذا طـــارقٌ نَحَـــرَتْنِي الأعداءُ إن لم تَنْحَرِي

هذه الأبيات قد استحسنها أبو هلال العسكري(*) ، والأقسام التي فيه يمجها طبعي ، وينفر عنها حتى يعافها نقدي"(١) .

فالاستحسان عند الإربلي مرتبط بالبعد عن الكلفة والصنعة التي يمجها الطبع "لتكون الأبيات أسلس وأجرى وأجدر بالاستحسان"(٢) .

وكذلك رفض علي بن ظافر المصري الصنعة على الرغم من أن كتابه كان اختياراً لشعر شعراء محدثين من أهل الأندلس والمغرب ومصر . ومن ذلك مقارنته بين قول ابن المعتز ، وينسب إلى الخباز البلدي :

وكأنَّ المَـــجَرَّ جَدْولُ مـــــاءٍ نَـــوَّرَ الأُقْحُـــوانُ من جانِبَيْهِ

وبين قول المهذب بن الزبير :

وترى المَجَرَّةَ في النُجُوم كأنَّـها تَسقـــي الريـــاضَ بِجَدْوَلٍ مـــلآنِ

لـــو لـــم تَكُنْ نَهراً لما عامَت بـــهِ أبـــداً نُجُـــومُ الحُوتِ والسَرَطـانِ

فيقول بعد المقارنة بين المعنيين "أخذه المهذب بن الزبير وزاد عليه شيئاً من الصناعة"(٣) . وقد أشار مثل هذه الإشارات غير مرة(٤) .

(*) ذكر أبو هلال العسكري هذه الأبيات في كتابه ديوان المعاني ، ج١ ، ص ٤٧

(١) الإربلي – التذكرة الفخرية ، ص ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٠، ١١٦، ١١٨، ١٣٢، ١٤٥، ٢٣٧

(٣) علي بن ظافر المصري – غرائب التنبيهات ، ص ٥٣

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١ ، ١٤ ، ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالزيادة في المعنى لم تعل من جودة الشعر ، بل غلفته بصنعة وكلفة ظاهرة بما حملته من تورية في كلمتي (الحوت ، والسرطان) .

وقد أفرد صاحب كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس باباً "في الشعر" وكانت الأبيات المختارة فيه تحمل سمات القصيدة الجيدة ، وقد أوضح هذه السمات الشعراء في قصائدهم من ذلك قول محمد بن سعيد الصيقل في وصف قصيدة :

كالماءِ بل هي كالهواءِ لَطَافةً ... لكنَّها كالطودِ في استمكانِها

وكرونَقِ الدُّرِّ المَصُونِ تلألأَتْ ... مِنْهُ القلائدُ في نحورِ قِيانِها

زُفَّتْ إليكَ على اتساقِ تَشَوُّقٍ ... كالبِكْرِ نَازِعَةً إلى أقرانِها[1]

إن القصيدة الجيدة تكون كالماء لطافة فتتمكن من نفس القارئ لأن معانيها كالدر المصون ، وألفاظها كالقلائد المتألقة ، وصورها متسقة لا تصنع فيها . وقد حاول أصحاب المختارات أن تكون مختاراتهم وفق هذا النموذج المتميّز ، الذي رسمت حدوده بعيدة عن البديع . إلا أن هناك من اختار بعضاً من الأبيات كانت أشبه بالأحاجي والألغاز ، وخوفاً من اللبس فقد عمد مختارها إلى توضيح المكنى عنه ، من ذلك قول بديع الزمان :

حاجَيْتُ مولايَ في صفراءَ فاقعةٍ ... حمراءَ قانيةٍ يختَالُ حاليها

إذا تَفَكَّرْتَ فيها كُنْتَ أوَّلَهَا ... وكانَ بعضُ مَنالِ المِسْكِ باقِيها[2]

وقد اختار هذه الأبيات الجنيد وأبان أن هذه أبيات (أحجية في تفاح) .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

فتىً كانَ في وَطْءِ الحلالِ مُساتراً ... ويُعْلِنُ في وَطْءِ الحرامِ جَهاراً

وليسَ بآتٍ للصلاةِ جماعةً ... ويأكلُ في شهرِ الصيامِ نَهاراً

---

(1) الطبيب الكتاني – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ١١٠ ، ١١١
وانظر مؤلف مجهول – مجموعة المعاني ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

(2) جنيد بن محمود – حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، ص ٢٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليسَ بِذي عُـذْرٍ ولا بِمُسافـرٍ ولكـن أتى هذي الفِعَالَ مِرارا

ليبلغَ رُضْـوانَ الإلـهِ بفـعلِـهِ ويَـدْفَـعُ عَنْهُ في القيامةِ نارا

"أراد بوطء الحلال : اتيان زوجته ، وبوطء الحرام ، البيت الحرام ، والصلاء : كنيسة لليهود ، والنهار : فروخ القطا ، وقيل صنف من الحوت"[١] .

وقد أتى الجزء الأخير من الباب السابع من كتاب نزهة الأبصار صورة لأدب تلك المرحلة التي عمد فيها بعض شعرائها إلى موضوعات لا طائل من ورائها ، وتنبئ عن مدى تفشي الصنعة في الشعر تفشياً انتفى معه الجمال الشعري ، وقد أضفى هذا اللون على الأبيات تعمية تدفع القارئ لإضاعة الوقت في تفسير كنهها ، ثم لا يخرج بعد ذلك بأي احساس جمالي فتفقد الأبيات طاقتها الفاعلة بأمور الحياة .

وقد أعجب صاحب نزهة الأبصار بأبيات لابن سينا يقول فيها :

أحبابَنَـا مـا غِبْتُـمُ مُـذْ بِنْتُـمُ فَابْتُكُـمْ شوقي وأسألُ عَنْكُـمُ

بِنْتُمْ عَلى حُكمِ المَجازِ وليـسَ في حُكْـمِ الحقيقـةِ أَنَكُـمْ قد بِنْتُمُ

أنْتُمْ إذا اطرَدَ القِيـاسُ أنـا ، وإنْ عُكِسَ القِياسُ فإنني أنا أَنْتُـمُ[٢]

إن مثل هذه الأبيات بما تحمل من جناس وطباق وسجع ، وبما ورد فيها من ذكر لألوان البديع مثل ، حقيقة ، ومجاز ، وقياس ، تعطينا صورة لأدب عني بالبديع في تلك المرحلة ، ولكن هذا الأدب لم يجد صدى واسعاً عند أصحاب المختارات ، لأنهم كانوا يبحثون عن أبيات اعتنت بالتصوير ، وأصبح طلب الصورة غاية كبرى ، وكان خير الشعر ما جاء عفو الخاطر دون تعمل أو صنعة .

---

[١] شهاب الدين العنابي – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ص ٥٨١

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

وانظر ص ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٥٢٢ – ٥٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : القديم والحديث

كثر الجدل حول الشعر القديم ، والشعر الحديث حتى غدا قضية من كبرى قضايا النقد*، وقد دخل الأساس التاريخي في الحكم على الجودة دون الحكم على الشاعر وشعره . من ذلك قول أبي عمرو بن العلاء في المحدثين "إن قالوا حسناً فقد سُبقوا إليه ، وإن قالوا قبحاً فمن عندهم"[١] فالجودة مرتبطة بالأسبقية والأقدمية . وقد كان الصراع صدى لآراء اللغويين والنحاة الذين عدوا الخروج على عمود الشعر انحرافاً عن معنى الشاعرية ، وهدماً لمعمار القصيدة .

وقضية الصراع برزت بظهور بوادر التغيير الذي طرأ على الشعر العربي في أوائل القرن الثاني الهجري ، وكان هذا موضع خلاف بين النقاد ، أيهما أحسن : الشعر القديم بجزالته ، أم الشعر الحديث برقته ؟ ومن عادة الناس -وكما هو معروف- أن يهتموا بالقديم لإلفهم إياه وأن يضفوا عليه شيئاً من القداسة . والخروج على هذا القديم وإن اتخذ مظهر ثورة قوية إلا أنها ما لبثت أن هدأت وخفت قبضة الشعر القديم وبقي من الشعر ما يحمل عناصر أصيلة متوائمة ومنطق العصر . وظاهرة الخلاف بين القديم والحديث ولدت لكل من المذهبين أنصاراً وأتباعاً يدافعون عنه ، فكان هناك أنصار للقديم ، وأنصار للحديث .

أما أنصار القديم فهم غالباً إما من علماء الدين نظراً لربطهم بين اللغة والدين وخشيتهم من تأثير هذا الخروج على الدين وصلة المسلمين بكتابهم . أو من علماء اللغة والنحو لأن الشعر القديم كان العنصر البارز في ثقافتهم ، و"هؤلاء بحكم منزلتهم اللغوية مضطرون أن يحتفظوا لا بقواعد اللغة فحسب بل بألفاظها وأساليبها أيضاً ، فكانوا يكرهون كل لفظ دخيل ، وينفرون من كل أسلوب متطرف"[٢] . فموقف اللغويين من الشعر الحديث قد اتسم في جملته بالنفور

---

* أنظر النظرية النقدية عند العرب ،هند طه ، ص ٢٠٩ -٢٢٦ .

[١] ابن رشيق - العمدة ، ج١ ، ص٨٩

[٢] طه حسين - حديث الأربعاء ، ج٢ ، ص ١٠-١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإعراض .

وهذا ابن الأعرابي حينما كان يُسأل عن أشعار المحدثين يقول : "إنما أشعار هؤلاء المحدثين – مثل أبي نواس وغيره– مثل الريحان ، يشم يوماً ويذوي ، فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر ، كلما حركته ازداد طيبا"[١] .

أما أنصار الجديد فكانوا في الغالب من الأدباء ، ووجدوا في أنفسهم القدرة على النظر في الشعر دون غيرهم ، فقاوموا كل من تدخل في صناعتهم ، وسُئل أبو نواس رأيه في جرير والفرزدق ففضل جريرا . وحين قيل له إن أبا عبيدة "لا يوافقك على هذا ، يقول : ليس هذا من عمل أبي عبيدة فإنما يعرفه من دفع إلى مضايقه"[٢] . وقد وردت هذه العبارة على لسان البحتري حين سئل عن أبي نواس ومسلم واختار أبا نواس : قيل له : "إن هذا الحكم لا يوافقك عليه أحمد ابن يحيى ثعلب ، فيقول البحتري : ليس هذا من عمل ثعلب وأضرابه ، ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه"[٣] ، وسواء كانت العبارة للبحتري أم لأبي نواس ، أو لهما معاً فإنها تبين تصدي الأدباء لعلماء اللغة الذين كانوا ينقدون الشعر ، وقال الجاحظ : "طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب"[٤] . هذا التصدي كان نابعاً من أن اللغويين لم ينظروا إلى الشعر إلا على أنه شاهد أو خبر أو لفظ غريب .

وجاء ابن قتيبة وساند الجاحظ في دعوته ، ونبذ التعصب للقديم ، وقرر أنه مع الجودة أنى كانت في القديم أو في الحديث . يقول في أول كتابه الشعر والشعراء "ولا نظرت إلى المتقدم

---

(١) المرزباني – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص ٣٨٤ .
(٢) ابن رشيق – العمدة ، ج٢ ، ص ١٠٤
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٤
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهم بعين الجلالة لتقدمه . وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين ، وأعطيت كلاً حظه ، ووفرت عليه حقه ، فإني رأيت من علمائنا مَن يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويُرذِل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره . فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يُعدون محدثين . وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت بروايته"[١] .

فابن قتيبة نظر إلى الشعر من حيث هو أثر فني ، وأخذ بفنيه الأدب . وقد أنصف المبرد المحدثين في قوله : "ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدث من عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحقه"[٢] .

وقد أنكر ابن المعتز على النقاد تعصبهم للشعر القديم ، وذمهم لشعر المحدثين قائلاً : "ومن عاب مثل هذه الأشعار التي ترتاح إليها القلوب فإنما غض من نفسه ، وطعن على معرفته واختياره"[٣] .

لقد أحس النقاد بوجوب الالتفات إلى الشعر المحدث وتقويمه ، فألف ابن المعتز كتاب (طبقات الشعراء المحدثين) ، أما "اللغويون فقد بدأوا يتركون ميدان النقد ، وخف الحماس للشعر القديم مع بدايات القرن الرابع ، وأصبح كثير من النقاد مجمعين على التسليم بعدم أفضلية قديم على محدث ، ولا محدث على قديم إلا بالإجادة"[٤] .

وذهب أبو بكر الصولي إلى أنه يجب عدم التفريق بين القدماء والمحدثين ؛ للقدم والحداثة

---

(١) ابن قتيبة – الشعر والشعراء ، ج١ ، ص ٦٢-٦٣

(٢) المبرد – الكامل ، ج ١ ، ص ١٨

(٣) ابن المعتز – رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع ، ص ١٣-١٤

(٤) محمد الربداوي – الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام ، ص ٣٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقط ، فقال : "إن ألفاظ المحدثين من عهد بشار إلى وقتنا هذا ، كالمنتقلة إلى معان أبدع ، وألفاظ أقرب ، وكلام أرق ، وإن كان السبق للأوائل ، بحق الاختراع والابتداء ، والطبع والاكتفاء ، وإنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون ، فشبهوه عياناً ، كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم مشاهدة ، وعانوه مدة دهرهم ، من ذكر الصحاري والبر ، والوحش ، والإبل ، والأخبية ، فهم في هذه أبداً دون القدماء ، كما أن القدماء فيما لم يروه أبداً دونهم"[١] .

إن الايمان بجودة الشعر وفنيته جعلت النقاد يعتدلون في أحكامهم ، وقد حاول القاضي الجرجاني أن يكون قاضياً عادلاً في أحكامه الأدبية منذ الصفحات الأولى في وساطته حين قال : "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه ، إما في لفظه ونظمه ، ترتيبه وتقسيمه ، أو معناه ، إو إعرابه ؟ ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة ، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة ، ومردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميل ، والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب ، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام"[٢] . فالجرجاني يرى أن خصوم المتنبي قد استحكمت العصبية في أحكامهم ومالوا عن الحق ، وانصرفوا عن الحس الجمالي .

إن اهتمام نقاد القرن الرابع بشعر أبي تمام والبحتري والمتنبي خير دليل على احتدام الصراع بين القديم والجديد ، فمدرسة أبي تمام تميل إلى الصنعة والجديد ، ومدرسة البحتري التزمت عمود الشعر والبناء التقليدي للقصيدة ، أما المتنبي فحاول أن يجمع بين القديم والجديد فشغل الناس وملأ الأسماع "وظل المتنبي يسيطر على تصور النقاد ، إما وحده ، وإما مقترناً بأبي

---

[١] أبو بكر الصولي – أخبار أبي تمام ، ص ١٦

[٢] القاضي الجرجاني – الوساطة ، ص٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمام والبحتري ، وإما مقترناً بقدامى الفحول من جاهليين وإسلاميين"[١] .

ومثل هذه الآراء ، دليل على أن الزمن قد خفف من سلطة القديم ، أو "هدأ من حدتها"[٢] .

ولكن هناك من النقاد من شغف بالشعر الحديث وفضله على سائر أنواع الشعر ، وليس أدل على ذلك مما ذكره الثعالبي في مقدمة اليتيمة التي قصرها على أدباء القرن الرابع" ولما كان الشعر عمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الأمم ، كانت أشعار الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان أذخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً في كمال الصنعة ورونق الطلاوة"[٣] .

فالنقد مع بدء ظهور الشعر المحدث قد تعصب للقديم ، وتحامل على الحديث ، ولكن وطأة هذا التعصب قد خفت في القرنين الثالث والرابع ، أما في القرون التالية فلم يعد النقد يكترث كثيراً بالشعر من حيث تقدم قائله أو تأخره ، وإنما نظر إلى جوهر الشعر وفنيته .

وإذا كان الثعالبي قد انتصر للشعر المحدث في يتيمة الدهر فخصصها للشعر المحدث ، فإنه حاول في كتابه اللآلئ والدرر أو (أحسن ما سمعت) أن يكون عدلاً فيختار من الشعر القديم والمحدث على حد سواء إلا أن معظم اختياراته كانت من الشعر المحدث فاختار لشعراء

---

[١] احسان عباس – تاريخ النقد الأدبي ، ص ٣٦٢

[٢] محمد مندور – النقد المنهجي عند العرب ، ص ٩٨

[٣] أبو منصور الثعالبي – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج١ ، ص ٣-٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدثين أمثال : ابن المعتز ، والبستي ، وأبي نواس ، وابن الرومي ، وأبي فراس الحمداني ، والسريّ الرفاء ، وأبي تمام ، والمتنبي ، وعدي بن الرقاع ، والبحتري ، وسلم الخاسر ، ومسلم ابن الوليد .

ومن هؤلاء الشعراء مَن سار على نهج القدماء ومنهم من تجاوزهم . وقد اختار الثعالبي اختياراً واحداً لثلاثة شعراء من العصر الجاهلي هم ؛ النابغة وزهير وعنترة . ولكن الطابع العام لمختاراته يتوافق ورأيه في يتيمة الدهر الذي يُعلي فيه من شأن المحدثين ، وربما كان معجباً بشعر ابن المعتز وطريقته ، إذ اختار له أبياتاً كثيرة ، فقد اختار له احدى وأربعين مختارة .

أما عبد القاهر الجرجاني فلم يكن بمنأى عن هذه النظرة إلى الشعر واختياره يدل على أنه أرضى الطرفين ، فقد اختار للبحتري الذي تميّز شعره بالسهولة والوضوح . واختار لأبي تمام الذي امتاز شعره بالتعمق في المعاني والإغراب في التصوير ، والغموض والإغراق في التفكير ، وقد اختار للمتنبي الذي استوعب في شعره معارف عصره ، ومثّل عناصرها المتنوعة فيه . فأرضى بذلك الأذواق جميعها في آن . ولعل عبد القاهر أدرك ذلك فقدم المتنبي على صاحبيه –البحتري وأبي تمام– متعللاً بغزارة معانيه ، وسيرورة شعره على الألسنة* .

وقد اختار الجرجاني للبحتري قوله :

سكونُ الرعيةِ في ظِلِهِ وعيشُ البريَّةِ من رِفدِهِ

وألسنةُ الناسِ مجموعةٌ على شُكرِهِ وعلى حَمْدِهِ[1]

---

* موسى ذيبان – النقد العربي والوظيفة الاجتماعية ، ص ١٤٢ .

[1] عبد القاهر الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٣٨–٢٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

نَطْلُبُ الأكثرَ في الدنيا وقَدْ تُبْلَغُ الحاجةُ فيها بالأقل[١]

إن مثل هذا النمط من الشعر يلبي رغبة أنصار القديم لما نجده فيه من دعوة إلى التزام الأخلاق ، ولأن هدفها تعليمي خلت التراكيب من التعقيد .

وقد اختار الجرجاني من شعر البحتري ضعف ما اختار من شعر أبي تمام لانحرافه عن عمود الشعر ، هذا الانحراف الذي جعله محط أنظار اللائمين ، ورغم تقديمه المتنبي إلا أن اختياره من شعر البحتري كان أكثر من شعر المتنبي . كل هذا ينبئ بموقف عبد القاهر الذي لم يكن بمنأى عن الصراع المحتدم بين القديم والحديث .

إلا أن كتب الاختيارات بشكل عام مالت إلى الشعر الحديث الذي عُني بالتصوير وكان همه الأول . فالطبيب الكتاني اختار لأهل الأندلس ، ووقف على التشبيهات في شعرهم ، أما عبدلكاني الزوزني فإنه لم يفرق بين قدماء ومحدثين لذلك أطلق على مختاراته "حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء". وقد وقفت مجموعة المعاني في الاختيار إلى عصر المؤلف – القرن الخامس– .

وابن الشجري صنع اختيارين الأول : مختارات شعراء العرب ، واقتصر فيها على الشعراء القدماء ، في حين أنه تخلى عن ذلك في حماسته ، فاختار لشعراء من عصره ، فهو لا يرى ضيراً في الشعر الحديث وإن خص القديم بمختار شعري ، ولو كان يميّز بين قديم وحديث من حيث الجودة لما جمعهما في مختار واحد .

أما أسامة بن منقذ صاحب كتاب البديع فلم يأبه لقديم أو حديث إذ كانت المصيبة جلل

---

[١] الجرجاني – المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ص ٢٦٨ . وانظر ص ٢٤٨،٢٦٩،٢٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعلته لا يلتفت إلا للمعاني التي يتأسى بها . وقد اختار محمد العبيدي في التذكرة السعدية لشعراء متأخرين إلى عصره .

أما كتب الاختيارات الأخرى مثل : المختار من شعر شعراء الأندلس ، وغرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ورايات المبرزين وغايات المميزين ، والتذكرة الفخرية ، ونزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، وحدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، هذه الكتب اهتمت بالوصف والتصوير ، وقد وجدت مبتغاها في الشعر الحديث لأن بعض مؤلفي المختارات كابن سعيد الأندلسي قد اتخذ من الاختيار وسيلة لابراز تفوق أهل الأندلس على أهل المشرق في التصوير .

ومهما يكن من أمر . فإن زمن هذه المختارات كان قد شهد تخففاً من سلطة القديم ، وأن الأفضلية ليست بالمقياس التاريخي ، وإنما بالجودة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخـــــاتمـــــة

لقد نهضت هذه الدراسة في محاولة لإبراز جهود نفر أسهموا في تطوير الحركة النقدية من خلال التطبيق ، ولهذا ينبغي أن يحسب لها دورها في تطور النقد الأدبي ، وخدمة الأدب العربي في تلك المرحلة الممتدة من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن الهجري .

إن الاهتمام الأساسي أولاه أصحاب المختارات للمضمون الشعري ، أما الشكل الفني فقد جاء ثانياً ، ولكن هذا لا يعني أن اهتمامهم بالشكل جاء عرضياً وإنما اتسمت المختارات بكثير من الدقة والتأمل الجزئي إلى الحد الذي جعلهم يجردون كل معنى من سياقه الخاص ليتخذ في رأيهم قيمة فنية مستقلة ، ومعنى هذا أن شغفهم ارتبط بالدقائق ، وقد كان ذلك نتيجة طبيعية للخطر الداهم الذي أحدق بالأمة منذ القرن الرابع نتيجة ظهور الدول المتتابعة وما تبع ذلك من هجمات للمغول والتتار ، فأصحاب المختارات كانوا يحاولون التأثير في الحياة ، وتربية أفرادها تربية سليمة عن طريق الشعر لما له من أثر في النفوس .

ومن جهة أخرى كانوا يحاولون الحفاظ على الشعر من الضياع بجمعه وحفظه في كتب المختارات ، وقد تحققت الغاية المتوخاة من المختارات ، لأن غايتها نابعة من طبيعة الإنسان ، ودور الشعر في الحياة . وقد توقفت عند مختارات هذه الفترة بسبب وجود رسالتين درستا المختارات الشعرية ، الأولى درست المختارات منذ بدايتها وحتى نهاية القرن الرابع الهجري للطالب محمد دروبي كنعان . والثانية درست المختارات المعاصرة للطالب زين العابدين العواودة، فآثرت دراسة ما ترك من مختارات لتكون هذه الرسالة حلقة وصل بين الدراستين السابقتين .

وفي ضوء هذه النظرة لكتب المختارات وصلت نتائج البحث في الموضوع إلى نقاط جوهرية استطاعت أن تشكل رؤية معينة :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– عرضت الباحثة لتبويب المختارات لما لذلك من أثر في تقريب الشعر من المتلقين ، فالعمل الأدبي يحتوي على قيم وأفكار ، ولا يمكن له أن يكون أشكالاً مجردة ، ولولا ذلك لما ألح النقد على ضرورة التوصيل بين المبدع والمتلقي ، وقد كان اختلاف طرق تبويب المختارات وسيلة لتقريب الشعر من المتلقين ، إذ ربما يكون اهتمام قارئ منصباً على تطور الشعر فيسهل عليه الوقوف على ذلك في مختارات اتخذت من الزمن أساساً في ترتيب أشعارها ، وقد يكون أحدهم يود الاطلاع على أدب بيئة معينة فله ذلك في المختارات التي اعتمدت الأساس البيئي ، أما الذي يريد شعراً يحمل مضامين معينة ، فإنه يجد ضالته في المختارات التي اتخذت المضمون معياراً لتبويبها .

وقد كشف البحث عن ثلاثة أسس اتخذها أصحاب المختارات إطاراً لترتيب الأشعار التي اختاروها وهي :

الأساس الموضوعي ، والأساس الزمني ، والأساس البيئي .

وقد سبق أصحاب المختارات النقد الحديث في النظر إلى البيئة على أنها عامل من العوامل المؤثرة في العملية الإبداعية ، لذلك اتخذوها معياراً من معايير تبويب المختارات .

– ليس لدارس أن يفكر في عزل الاختيار عن صاحبه .

إذ إن ثقافة الإنسان تلقي بظلالها على أفكاره . فالأدباء يريدون أن يشاركهم الآخرون احساسهم ، ولذلك كان نقدهم يستمد مقوماته من الحس المدرب وانصب اهتمامهم تبعاً لذلك على البعد الداخلي للأدب .

وقد كشفت الدراسة عن مؤشرات اهتمام اللغويين بالشاهد النحوي فكانوا –غالبا– لا يتسامحون مع الشعراء ، ومعنى ذلك أن اللغويين قد اهتموا بالبعد الخارجي .

إلا أن تقادم الزمن جعل اللغويين يتخففون من تسلطهم فكاد الاهتمام بالبعد الخارجي يختفي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما النقاد فقد كانت مختاراتهم تحاور القضايا المطروحة على الساحة بشكل ضمني فني .

وقد نظر العلماء للشعر نظرة تتوافق ونقد هذه المرحلة ، إذ كانت مختاراتهم نتيجة عوامل لها صلة عميقة بالواقع .

ونتج عن الاختلاف في ثقافة أصحاب الاختيارات اختلاف في تبويب المختارات وأهدافها ، واختلاف في النظر إلى القضايا النقدية السائدة .

- كشف البحث عن مؤشرات الاهتمام بالجانب الأخلاقي والديني والجمالي . فقد اختلفت الآراء في وظيفة الأدب وانطلقت هذه الآراء من منزعين اثنين :

أحدهما : يذهب إلى أن الفن عموماً -والأدب فرع منه- وظيفته أن يُربي ويهذب ، فهدفه إصلاحي أخلاقي ، فهو أداة نافعة إن أحسن تجنيدها في خدمة المجتمع ، ويدخل في هذا المنزع الوظيفة التربوية إذ عُد الأدب مادة تعليمية تدعو إلى الحق ، فالتعليم والأخلاق وظيفتان لا تنفصلان في الأدب نتيجة ارتباط الجانب الأخلاقي بالجانب الديني بالشعر .

وثانيهما : يرى أن الأدب للمتعة والإطراب ، وهو مجرد من الغاية النفعية ، ينشد الجمال وتسلية النفس من غير أن يؤدي وظيفة ما .

وذهب قوم إلى الجمع بين غايتي المنفعة والمتعة .

أما أصحاب الاختيارات فلم ينظروا إلى الشعر على أنه فن مجرد من الهدف ، غايته التشكيل الجمالي أو الإمتاع ، وإنما ارتبط الشعر عندهم بشكل واضح بالمعايير الأخلاقية والتعليمية والنفسية ، وهي معايير مرتبطة بفنية الشعر ، لأن البناء المحكم مع القول الخبيث لا يلتقيان . وقد اتضح في المختارات انسجام قوي وترابط متين بين المعيار الجمالي ، والمعيار التعليمي ، والمعيار الأخلاقي ، وتبين أن الاختلاف بين مختار وآخر يكمن في تغليب معيار على آخر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المختارات بهذا استطاعت أن تكشف عن وظيفة الشعر من الجانب الأخلاقي ، والتعليمي ، والنفسي ، والجمالي ، وكل هذه الجوانب لها أثر عميق في تربية الفرد تربية سليمة . فالجوهر المعرفي مع الرؤى الجمالية له قيمة رفيعة يُغني الإبداع ، فيقترب العمل من المتلقي ويؤثر فيه .

– من الظواهر الملموسة في الحياة الأدبية تعدد وجوه النقد الأدبي ومحاولاته المستمرة للتطوير وفق تطور الحياة الأدبية ، وكانت النتيجة تطور النظر إلى القضايا النقدية عبر العصور .

وهذه الدراسة حاولت إبراز تطور القضايا النقدية ، ومدى تأثر المختارات الشعرية بهذا التطور . وهذه القضايا هي :

قضية اللفظ والمعنى ، وقضية السرقات ، وقضية البديع ، وقضية القديم والحديث .

ثم كشفت الدراسة عن توافق المقاييس التي اعتمدها أصحاب المختارات مع النظريات النقدية المطروحة على الساحة النقدية ، وأظهرت مدى اختلاف هذه المقاييس عن القضايا النقدية . فقد انعكست مقولات النقاد على المختارات فكانت نظرتهم في قضية اللفظ والمعنى توافق نظرة النقاد وتتمشى معها ، وكذلك الحال في قضية السرقات إذ التمس أصحاب المختارات العذر للمتأخر إن وجدوا تشابهاً بين شعره وشعر المتقدمين وأطلقوا عليه اسم "الأخذ الحسن" لذلك لم يجعل كثير من أصحاب المختارات السرقة أساساً لإسقاط الجودة الشعرية .

وقد وقف كثير من أصحاب المختارات من الشعر الحديث موقف المعجب به ويرجع ذلك إلى :

١– أن كثيراً من أصحاب المختارات من أهل الأندلس الذين يحاولون اثبات تفوق شعراء أهل الأندلس على شعراء المشرق .

٢– أن سلطة القديم عند النقاد قد خفت وطأتها ، وكان لهذا صدى عند أصحاب المختارات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قضية البديع التي عُدت الظاهرة البارزة في أدب هذه المرحلة حيث وجد فيها الأدباء طاقة انفعالية ومجازية تمنح المعنى التأكيد .

وقد تعددت أبواب البديع واختلفت واختلطت -في كثير من الأحيان- بفني المعاني والبيان . إلا أن الإغراق في البديع جعل الشعر متكلفا ممجوجا ، وجعل أصحاب المختارات يعزفون عن الشعر المثقل بالبديع . ويبحثون عن شعر يشكل لوحة تصويرية ، فحفلوا بشعر التشبيه ، ومدى قدرة الشاعر على رسم صورة فنية .

هذه الملاحظات -وإن كانت لا تدّعي الإحاطة- فهي مؤشرات تسهم في بيان المقاييس والمعايير التي اعتمدها أصحاب المختارات وتلقي بعض الضوء على خصوصية المختارات الشعرية في مرحلة زمنية محددة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ – المصادر

– الإربلي ، بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى المنشئ الإربلي (ت ٦٩٢ هـ) – التذكرة الفخرية ، ط١ ، ١م ، تحقيق نوري القيسي ، وحاتم الضامن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

– الأزدي ، علي بن ظافر الأزدي المصري (ت ٦٢٣ هـ) – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، ١م، تحقيق محمد زغلول سلام ومصطفى الجويني ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .

– أسامة بن منقذ ، أبو مظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني (ت ٥٨٤ هـ) – المنازل والديار ، ط١ ، ١م ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٦٥ .

– البصري ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ) – الحماسة البصرية ، ٢م، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٣م .

– الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت ، ط١ ، ١م ، شرحه وضبطه عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجراوي ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي (ت ٦٠٩ هـ) - الحماسة المغربية ، ط١ ، ٢م ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩١ م .

- الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) - المختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، ١م ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ن .

- جنيد بن محمود بن محمد (ت نحو ٧٩٠ هـ) - حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ، ط١ ، ١م ، تحقيق هلال ناجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

- ابن سعيد الأندلسي ، علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ) - رايات المبرزين وغايات المميزين ، ١م ، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

- ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت ٥٤٢ هـ) -

-الحماسة الشجرية ، ٢م ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وأسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ م .

- مختارات شعراء العرب ، ١م ، تحقيق علي محمود البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ) - المختار من شعر ابن دانيال ، ١م ، تحقيق محمد نايف الدليمي ، مكتبة بسام ، الموصل ، ١٩٧٩م .

- أبو صفوان ابن ادريس التحيبي المرسي (ت ٥٩٨ هـ) - زاد المسافر وغرة مُحيّا الأدب السافر ، ١م ، تعليق عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م .

- ابن الصيرفي ، علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٣ هـ) - المختار من شعر شعراء الأندلس ط١ ، ١م ، تحقيق عبد الرزاق حسين ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٥م .

- الطبيب الكتاني ، أبو عبد الله محمد بن الكتاني (ت ٤٢٠ هـ) - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ط٢ ، ١م ، تحقيق إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨١م .

- العبدلكاني الزوزني ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٤٣١ هـ) - حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، ٣م ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، د.ن ، البصرة ، ١٩٧١م .

- العبيدي ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد (ت ٧٠٦ هـ)- التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، ١م ، تحقيق عبد الله الجبوري ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨١م .

- العنابي ، شهاب الدين أبو العباس (ت ٧٧٦ هـ) - نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، ط١ ، ١م ، تحقيق مصطفى السنوسي ، وعبد اللطيف أحمد لطف الله ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مؤلف مجهول (من رجال ق ٥ هـ) - مجموعة المعاني ، ط١ ، ١م ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٨م .

- مؤلف مجهول (ت نحو ٦٧٤ هـ) - مختار ديوان علم الدين ايدمر المحيوي ، ط١ ، ١م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١م .

- ابن ميمون ، أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، (ت ٥٩٧ هـ) - منتهي الطلب من أشعار العرب ، ١م ، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٦ م . مصور عن مخطوط مكتبة السليمانية ، استانبول ، ١٩٤١ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المراجع :

(١) باللغة العربية :

- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد السر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) - التكملة لكتاب الصلة ، تصحيح عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي مصر ، والمثنى بغداد ، ١٩٥٦ م .

- ابراهيم أنيس - موسيقى الشعر ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٢م .

- ابراهيم سلامة - تيارات أدبية بين الشرق والغرب "خطة ودراسة في الأدب المقارن" ، ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ - ١٩٥٢م .

- ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ط٢ ، تحقيق أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

- إحسان عباس

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط٤ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

- فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .

- أحمد ابراهيم موسى - الصبغ البديعي في اللغة العربية ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أحمد أمين - النقد الأدبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م .

- أحمد الشايب - أصول النقد الأدبي ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م ،

- أسامة بن منقذ ، أبو المظفر ابن مرشد بن علي بن مقلد (ت ٥٨٤ هـ) - الاعتبار ، حرره فيليب حتي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

- ابن أبي الأصبع المصري ، عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤ هـ) - تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن ، تقديم وتحقيق حنفي شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، د.ت .

- أفلاطون - جمهورية أفلاطون ، نقلها إلى العربية حنا خباز ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

- الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠ هـ) - الموازنة بين الطائيين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت .

- الباخرزي ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت ٤٦٧ هـ) - دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ط١ ، تحقيق محمد التونجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م .

- بدوي طبانة -

- السرقات الأدبية ، دار نهضة مصر ، ١٩٥٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- السرقات الأدبية ، دار نهضة مصر ، ١٩٥٦م .

- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨م .

- قضايا النقد الأدبي ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية ، د.ن ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

- أبو البركات الأنباري ، كمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٧٧ هـ) - نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ط٣ ، تحقيق ابراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٥ م .

- البغدادي ، اسماعيل بن محمد أمين الباباني (ت ١٣٣٩ هـ) - ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط٣ ، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين يالتقايا ، ورفعت الكليسي ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، ١٣٧٨ هـ .

- أبو بكر الصولي ، محمد بن يحي الصولي (ت ٣٣٥ هـ) - أخبار أبي تمام ، تحقيق خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده عزام ، تقديم أحمد أمين ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .

- بندتو كروتشه - المجمل في فلسفة الفن ، ترجمة سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

- ت. س. ماثيس - إليوت الشاعر الناقد ، ترجمة إحسان عباس ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التلمساني ، أحمد بن محمد المقرى (ت ١٠٤١ هـ) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شرح وضبط مريم قاسم طويل ، ويوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) - الديوان ، شرح الخطيب التبريزي ، ط٤ ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦ م .

- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ط٢ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

- ج. أ. أورمسون ، ومجموعة من العلماء - الموسوعة الفلسفية المختصرة ، تعريب فؤاد كامل ، وجلال العشري ، وعبد الرشيد الصادق ، راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية زكي نجيب محمود ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- جابر عصفور

- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

- مفهوم الشعر ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥ هـ)

– البيان والتبيين ، ط٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، المقدمة مؤرخة ١٩٤٨ .

- الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

– رسائل الجاحظ ، رسالة الجد والهزل ، شرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة د.ت .

– جان ماري جوتيو – مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ط٢ ، ترجمة سامي الدروبي ، دمشق ، ١٩٦٥م .

– جيروم ستولنيتز – النقد الفني ، تعريب فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت .

– حازم القرطاجني ، أبو الحسن حازم محمد بن الحسن (ت ٦٨٤ هـ) – منهاج البلغاء وسراج الادباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ،.تونس ، ١٩٦٦م .

– حامد عبد القادر – دراسات في علم النفس الأدبي ، لجنة البيان العربي ، د.ن. ١٩٤٩م .

– ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) – رسالة مراتب العلوم ، ط١ ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسان بن ثابت ، ابن المنذر الخزرجي (ت ٥٤ هـ) - الديوان ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ت .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) - مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط٣ ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد "ت ٦٨١ هـ" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

- دني هويسمان - علم الجمال ، ترجمة ظافر الحسن ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٣م.

- رئيف خوري - الأدب المسؤول ، ط١ ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨م .

- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن الأزدي (ت ٤٥٦ هـ)

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م .

- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، نشر الخانجي ، مطبعة مصر ، ١٩٢٦ م .

- روز غريب - النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رينيه ويليك ، ووارين أوستن - نظرية الأدب ، ط٢ ، ترجمة محيي الدين صبحي ، مراجعة حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م .

- الزركلي ، خير الدين الزركلي - الأعلام ، ط٢ ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ، ١٩٥٤ م .

- أبو زيد القرشي ، محمد بن أبي الخطاب (من رجال ق ٤هـ) - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت .

- ستانلي هايمن - النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ترجمة إحسان عباس ، ويوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨م - ١٩٦٠م .

- ابن سعيد الأندلسي ، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ)

- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار المعارف ، مصر ، المقدمة مؤرخة ١٩٤٥م .

- المغرب في حُلى المغرب ، عُني بنشره وتحقيقه زكي محمد حسن وشوقي ضيف ، وسيدة كاشف ، جامعة فؤاد الأول ، كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

- ابن سلام الجمحي ، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ) - طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن سينا ، أبـو علي الحسين بـن عبـد اللـه (ت ٤٢٨ هـ) - الشـفا ، النفس ، تحقيـق جـورج قنواتي ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط٢ ، تحقيـق محمـد أبـو الفضـل ابراهيـم ، دار الفكر ، ١٩٧٩ م .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولـى ، مكتبـة عيسـى البـابي الحلبي ، مصر ، د.ت .

- شكري عياد - كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

- الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسـام (ت ٥٤٢ هـ) - الذخيرة فـي محاسـن أهـل الجزيـرة ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- شهاب الدين محمود الحلبـي (ت ٧٢٥ هـ) - حسن التوسـل إلـى صناعـة الترسـل ، المطبعـة الوهبية ، مصر ، ١٢٩٠هـ .

- شوقي ضيف - في النقد الأدبي ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بين أيبك (ت ٧٦٤ هـ) - الوافي بالوفيات ، ط٢ ، تحقيق محمد ابن الحسن بن عبد الله ، ومحمد بن عبد الله الشبلي ، بإعتناء س.ديدرينغ . فرانز شتايز بفيسبادن للنشر ، ١٩٧٤ م .

- ابن طباطبا العلوي ، محمد بن أحمد (ت ٣٢٢ هـ) - عيار الشعر ، ط٢ ، تحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- طه ابراهيم - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، منشورات دار الحكمة ، دمشق ، ١٩٧٤م .

- طه حسين

- حديث الأربعاء ، ط٩ ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .

- من حديث الشعر والنثر ، ط١٠ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م .

- أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي (ت ٣٥١ هـ) - مراتب النحويين ، ط٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٤م .

- عباس حسن - المتنبي وشوقي ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .

- عبد القاهر الجرجاني ، ابن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١ هـ)

- أسرار البلاغة ، تحقيق محمد رشيد رضا ، بيروت ، ١٩٨٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبده عبد العزيز قلقيلة - النقد الأدبي في العصر المملوكي ، ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

- عز الدين اسماعيل - الأسس الجمالية في النقد العربي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٥٥م .

- العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ط٢ ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٦٦م .

- أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩ هـ) - رسالة الغفران ، ط٧ ، تحقيق بنت الشاطئ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨١م .

- علي النجدي ناصف - دراسة في حماسة أبي تمام ، ط١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

- أبو عمران ، نور الدين علي بن الوزير (ت ٦٧٣ هـ) - المرقصات والمطربات ، دار حمد ومحيو ، بيروت ، ١٩٧٣م .

- عناد غزوان - آفاق في الأدب والنقد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د.ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن أبي عون ابراهيم بن محمد (ت نحو ٣٢٢هـ) - التشبيهات ، ط١ ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، مطابع كمبردج ، لندن ، ١٩٥٠م .

- ابن فارس ، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) -الصاحبي ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ، ١٩٦٣م .

- فريدريك هيغل - فكرة الجمال ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١م .

- فوزي القش - مشاكل الفن الحديث ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٨م .

- القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز بن الحسن (ت ٣٩٢ هـ) - الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)

- الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦م .

- عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م .

- قدامة بن جعفر ، أبو الفرج (ت ٣٣٧ هـ) - نقد الشعر ، ط١ ، تحقيق عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- القزويني ، جـلال الديـن محمـد بـن القـاضي سـعد الديـن القزوينـي (ت ٧٣٩ هـ) - الايضـاح لمختصـر تلخيص المفتاح ، ط٢ ، تحقيق محمد على صبيح ، د.ت .

- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) - صبـح الأعشـى فـي صناعـة الإنشـاء ، نسخة مصورة من المطبعة الأميرية ، طبعة وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ، د.ت .

- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) - فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

- لاسل ألبر كرومبي - قواعدالنقد الأدبي ، ط٣ ، ترجمة محمـد عـوض محمـد ، لجنـة التـأليف والترجمة ، والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

- لسان الدين بن الخطيب ، أبو عبد الله (ت ٧٧٦ هـ) . السحر والشعر .

- ماثيو أرنولد - مقالات في النقد ، ترجمة علي جمال الدين عـزت ، مراجعـة لويـس مرقـص ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مـرة الكنـدي (ت ٣٥٤ هـ) - الديـوان ، شـرح أبـي البقاء العكبري ، ضبط وتصحيح مصطفى السقا ، وابراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ الشـلبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مجهول - المنتخب في محاسن أشعار العرب المنسوب للثعالبي ، ط١ ، تحقيق عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- محمد بركات أبو علي

- التصور الأدبي في كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٤م .

- فن الاختيار والبلاغة العربية ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، ١٩٩٦م .

- محمد حسن عبد الله - مقدمة في النقد الأدبي ، الكويت ، ١٩٨٥م .

- محمد خلف الله أحمد - بحوث ودراسات في العربية وآدابها ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

- محمد الربداوي - الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٦٧م .

- محمد زغلول سلام - تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع ، ط١ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م .

- محمد عبد الرحمن شعيب - النقد الأدبي "تاريخه ونظرياته" ، دار التأليف ، ١٩٦٨م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، ودار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢م .

- محمد مصطفى هدارة - مشكلة السرقات في النقد العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

- محمد مندور - النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د.ت .

- محمود حسني - المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨٦م.

- محمود السمرة

- القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، ط٢ ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- مدخل إلى النقد الأدبي ، ط١ ، سلطنة عمان ، دائرة التربية والتعليم ، ١٩٨٥م .

- مقالات في النقد الأدبي ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .

- المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) - شرح ديوان الحماسة ، ط١ ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٥١م .

- المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ) - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ط٢ ، باعتناء محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) - تهذيب الأخلاق ، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

- ابن المعتز ، عبد الله بن محمد (ت ٢٩٦ هـ)

- البديع ، اعتنى بنشره أغناطيوس كراتشكوفسكي ، لندن ، ١٩٣٥م .

- رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع ، ط١ ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٤٦م .

- ابن النديم ، أبو الفرج بن أبي يعقوب محمد بن اسحاق (ت٤٣٨هـ) ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، مكتبة الأسدي ، طهران ، المقدمة مؤرخة ١٩٧١م .

- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) - كتاب الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١م .

- ابن وهب الكاتب ، أبو الحسن اسحاق بن ابراهيم البغدادي ، من علماء القرن الرابع - البرهان في وجوه البيان ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٧م .

- ويلبرس سكوت - خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، ترجمة عناد غزوان وصادق الخليلي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ١٩٨١م .

- ويليام ويمزات وكلينث بروكس - النقد الأدبي "تاريخ موجز" ، ترجمة حسام الخطيب ، ومحيي الدين صبحي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٧٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) - معجم الأدباء ، الطبعة الأخيرة . مراجعة وزارة المعارف العمومية ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، د.ت .

- يحيى بن حمزة العلوي ، ابن علي بن ابراهيم اليمني (ت ٧٤٩ هـ) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، طبعة دار الكتب الخديوية ، مصر ، ١٩١٤ م .

- يوهان فك - العربية "دراسات في اللغة العربية واللهجات والأساليب" ترجمة عبد الحليم النجار ، تصدير أحمد أمين ومحمد يوسف موسى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥١م .

(٢) باللغة الإنجليزية :

- T. S. Eliot, Selected Prose, The Appreciation of Poetry, Edited by John Hayward - Harmond - Sworth, Penguin Books, 1953.

- Garritt, E. F. , Philosophies of Beauty, Oxford, Clarendon Press, 1931.

(٣) الرسائل الجامعية :

- آمنة أبوعبيد، أسس الاختيار وخصائصه في كتاب الاشباه والنظائر للخالديين ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ، اربد ،الاردن ، ١٩٨٧م .

- عايش العايش ، مختارات عبد القاهر الجرجاني ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، اربد ، الاردن ، ١٩٨٥ م .

- موسى ذيبان ، النقد العربي والوظيفة الاجتماعية ، رسالة ماجستير ،جامعة اليرموك ، اربد ، الاردن ، ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- بحوث منشورة في :

الدوريات :

- شكري عياد – النقد الأدبي بين العلم والفن ، مجلة الفكر العربي ، ع٢٥ السنة الرابعة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٢١٠ –٢٢٠ .

- عبد الحميد حنورة – التذوق الفني بين المبدع والمتلقي "خصائص التذوق الفني" ، مجلة البيان ، ع١٦٥ ، الكويت ، ديسمبر ، ١٩٧٩م ، ص٨٠ – ٩٦ .

- فؤاد مرعي – المفاهيم الجمالية ، مجلة المعرفة ، ع ٢٤٧ ، دمشق ، أيلول ١٩٨٢م ، ص٧–٢٤.

- محمد رجب النجار – الشعر الشعبي السافر في عصور المماليك ، عالم الفكر ، مج ١٣ ، ع٣ الكويت ، ١٩٨٣م ، ص ٦٣ – ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Critical Standards In Poetic Anthologies From The Fifth To The Eight Century

By

Hanan Mohammad Mousa Hammodah

Supervisor :

Dr. Mahmoud Al-Samra

This study aimed at revealing critical criteria in selected poetry from the fifth to the tenth century A. H. The study consisted of an introduction and four chapters. The introduction included selected poetry throughout history. The researcher attempted to display the idea of selected poetry from its emergence in addition to throwing light on the interest of uriters and critics in this type of classification which contained a great deal of implied criticism. The first chapter dealt with classifying the selections. The researcher showed that writers classified selected poetry according to certain criteria. For example a great number of writers based their

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

classifications on the topic ; other used the poets' environment as a criterion. There were few poets who didn't follow a straight forward criterion.

The second chapter was about the relationship between selected poetry and the education of the writer. The researcher tried to reveal the influence of the writers education in his selections. In fact , writers utilized experienced appreciation in their selection of poetry whereas critics made use of poetry attributes to judge poets so as to choose poems. Besides, critics tried to satisfy the dominate appreciation at that time. As for linguists, they searched for the evidence and the example while scientists were interested in poetry which was in harmony with the criticism of that time. On the other hand, chapter three concentrated on the purposes of selected poetry. This chapter indicated that selected poetry was a creative process. It was also a form of interaction between writers and society. Therefore, no one can deny the benefit presented by the writer through his selections. Furthermore, selected poetry discussed the process of poetry from the different aspects of beauty, education and morality. Some writers preferred the aspects of beauty ; others were interested in the educational aspect while the rest were more concerned with morals and behaviour . Consequently, the selections explained the three functions of poetry : morality, education , and beauty.

Chapter four consisted of selections and critical matters. The

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

researcher discussed some critical matters from its origin to stress the relationship between selections and these matters from the view of similarity and difference. Another purpose was revealing the role of selection in serving Arabic literature at that stage. Finally, the researcher studied many issues such as pronunciation, meaning, stealing and rhetoric. Chapter four ended with the issue of traditional and modern criticism .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit